النسخة الإلكترونية خاصة بالموقع
صيد الفوائد
saaid.net

الإبَانَة

عَنْ أصُول الدِّيَانَةِ

لأبي الحَسَنْ الأشْعَري

٣٢٤هـ/ ٩٢٩م

نسخة مضبوطة ومصححة

دِرَاسَة وَتَحْقِيق

مُحَمَّد حَامِد مُحَمَّد

الإِبَانَة

عَنْ أُصُول الدِّيَانَةِ

لأبي الحَسَنْ الأشْعَري

٣٢٤هـ/ ٩٢٩م

نسخة مضبوطة ومصححة

دِرَاسَة وَتَحْقِيق

مُحَمَّد حَامِد مُحَمَّد

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله المتفرد بصفات الكمال والجمال والجلال، أحمده تعالى وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ألوهيته، ولا ند له في ربوبيته، ولا مثيل له في أسمائه وصفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى: ١١ ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد: فقد كان الناس قبل مبعث محمد - صلى الله عليه السلام- في جاهلية جهلاء؛ يعيشون في ظلمات من الشرك والجهل، وتسيطر عليهم الخرافات، ويتطاحنون في نزاعات وصراعات قبلية، يسبي بعضهم بعضا، ويقتل بعضهم بعضا، يعيشون في تخلف وهمجية وفرقة، شعارهم:

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه ... يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

حتى إذا أذن الله لشمس الإسلام أن تشرق بعث محمدا - صلى الله عليه السلام- ليعلن للبشرية أنه: " لا إله إلا الله، ولا معبود بحق سواه ".

لقد جاء بالتوحيد الذي هو حق الله على العبيد، والغاية العظمى من الخلق: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ ، ورفع من أجله علم الجهاد.

ثلاث عشرة سنة في مكة والنبي- صلى الله عليه السلام- يدعو إليه، ويغرس جذوره في أعماق النفوس، ويبني أسسه ودعائمه في سويداء القلوب، ويثبت أركانه في الوجدان؛ حتى اتضحت سبيله للسالكين، وبانت معالمه للراغبين، فأظهر الله الحق وأزهق الباطل، وأضاءت القلوب أنوار التوحيد الخالص، فجلته من أوضار الشرك، وصقلته من أدران التنديد.

لقد جاء النبي- صلى الله عليه السلام- والقلوب أرض جرداء فسقاها من نمير التوحيد، وأرواها من سلسبيل الإخلاص، وساقها إلى الله دليل المتابعة، فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، فعزت الأمة بعد ذلتها، واجتمعت بعد فرقتها، وصارت غالبة بعد أن كانت مغلوبة.

بقيت العقيدة على صفائها ونقائها وطهرها، حتى إذا قضى الله أمرا كان مفعولا، ودخل في دين الله من لم يتشرب قلبه التوحيد الخالص، حدث في الناس الخلل، وتفرقت بهم السبل، وراجت المذاهب المنحرفة، والأفكار الهدامة، وأطلت الفتن برأسها، وفشت البدع ببؤسها، حتى إذا زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا؛ قيض الله من أئمة الهدى، وأعلام الدجى من يعيد الناس إلى مشكاة النبوة وقلعة الإيمان، ويكشف لهم زيوف الباطل، ويدحض شبه المبطلين، ويردهم إلى منهج السلف الصالح.

إن المتبصر في تاريخ الأمة الإسلامية؛ ليرى أن عزتها وعلوها وغلبتها ودينونة الأمم لها مرتبطة بصفاء عقيدتها، وصدق توجهها إلى الله، واتباعها لأثر النبي- صلى الله عليه السلام- وسيرها على منهج السلف الصالح، واجتماعها على أئمتها، وعدم منازعتهم في ذلك، وأن ذلها وضعفها وانخذالها، وتسلط الأمم عليها مرتبط بانتشار البدع والمحدثات في الدين، واتخاذ الأنداد والشركاء مع الله، وظهور الفرق الضالة، ونزع يد الطاعة، والخروج على الأئمة.

إن الانحرافات العقدية، والحيدة عن منهج السلف الصالح، والانخداع بزخرف قول أرباب المذاهب المنحرفة هو الذي فرق الأمة، وأضعف قوتها، وكسر شوكتها، والواقع شاهد على ذلك، ولا مخرج لها من ذلك إلا بالرجوع إلى ما كان عليه النبي- صلى الله عليه السلام- وأصحابه وأئمة الهدى، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها. وإن النكوص عن جادة التوحيد، والرغبة عن منهج السلف الصالح، ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾الحديد: ٢٥.

وإن أعظم القسط التوحيد، وهو رأس العدل وبه قوامه، وإن أظلم الظلم الشرك، قال تعالى حكاية عن لقمان في وصيته لابنه: ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ لقمان: ١٣

وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه السلام- قال: «قال الله عز وجل: " وإني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر غيري» [رواه الطبراني في " مسند الشاميين " والبيهقي في " شعب الإيمان " والديلمي في " مسند الفردوس ".

وإن أعظم الفرية أن تشرك بالله وقد خلقك.

وإذا كان الله- سبحانه وتعالى- قد أمر بالإصلاح، ونهى عن الفساد والإفساد، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الأعراف: ٥٦ فإن أعظم الإفساد أن تفسد عقائد الناس، وتصوراتهم، وأفكارهم، ويقطع عليهم الطريق في مسيرهم إلى الله ويحاد بهم عن الفطرة التي فطرهم الله عليها، ففي الحديث:

«كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» رواه مسلم .

ويعضده قول النبي صلى الله عليه السلام:

«ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا: كل ما نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا. . .» رواه مسلم.

ولا شك أن هذا أعظم الظلم وأشنعه، كيف لا، وقد صار عاقبة ذلك خسران الدنيا والآخرة.

وفي هذه الأزمنة المتأخرة التي حدثت فيها الغير، وتزينت الدنيا لخطابها، كشف أهل الأهواء عن أقنعتهم، وانتشرت بدعهم، وأحييت مذاهب أسلافهم بعد أن كانت بائدة، ونبشت كتب لهم كانت منسية، وظهرت أفكار جديدة،

وبرزت جماعات معاصرة متباينة في مقاصدها، مختلفة في توجهاتها، متناقضة في غاياتها ووسائلها، كلما خرجت جماعة أو فرقة لعنت أختها، وتطاول أناس على قامة التوحيد والسنة، ولوثرا أفكار الناس، وأفسدوا عليهم عقائدهم، وهونوا عليهم أمر الشرك، ورفعوا أعلام الفتن، ونازعوا ذوي السلطان في سلطانهم، وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى، واتبعوا غير سبيل المؤمنين.

مما يوجب على الغيورين من علماء الأمة ودعاة السنة المقتفين للأثر؛ القيام بواجب الإبانة عن أصول الديانة، وتبيين معالم منهج السلف، وإيضاح سبيله، وتقريب كتب أئمة الهدى، وإبرازها بالتحقيق وشرح عبارات الأئمة، وبيان مقاصدهم والعناية بأمر التوحيد والمنهج في دروسهم وخطبهم ومحاضراتهم ومؤلفاتهم، وإرشاد العباد إلى اتباع خطى النبي- صلى الله عليه السلام- ولزوم سنته، والسير على أثر أصحابه امتثالا لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ آل عمران: ٣١

وقول النبي صلى الله عليه السلام:

«أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن كان عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كبيرا؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» رواه أبو داود .

فهذا هو الصراط المستقيم، الموصل إلى رضا رب العالمين.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٣

وهو السبيل الذي دعا إليه رسوله محمد – صلى الله عليه السلام– قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ يوسف: ١٠٨

وهو عقيدة الفرقة الناجية التي أخبر عنها النبي– صلى الله عليه السلام– بقوله:

« لا تزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم؛ حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك» . رواه البخاري: (٣٦٤١).

وهي التي بقيت على ما كان عليه النبي– صلى الله عليه السلام– وأصحابه؛ ففي الحديث أنه– صلى الله عليه السلام– قال: «وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة؛ كلهم في النار إلا ملة واحدة» قال– أي عبد الله بن عمرو راوي الحديث–:

من هي يا رسول الله؟ قال:

«ما أنا عليه وأصحابي» رواه الترمذي .

ومن هنا تأتي أهمية العناية بهذا الأمر، وتربية الناشئة عليه، وتصحيح مسيرة الصحوة إليه؛ حتى لا تتشعب بها السبل، فتضل في متاهات الأهواء والفتن.

وإن هذا الكتاب وأمثاله لمما تقر به عيون الموحدين، وتفرح به قلوبهم، وتشرق به حلوق المناوئين، وتضيق به صدورهم:

وقد وضع الله سبحانه وتعالى للكتاب القبول بين عباده ، فتناقله العدو قبل الصديق ، والمبغِض قبل المحِب .

وللكتابِ عدة طبعات مختلفة ، وكلها لا يخلو من عيوب ، حتى طبعة الدكتورة فوقية حَسين محمود ، وهي المعتمدة لدى طلبة العلم وأهله ،لم تسلم من هَنَّات ، وجنوح في بعض تعليقات الدكتورة .

ومما قفتُ عليه – وبالمقارنة – تبين لي أنها أفضل الطبعات – وما ذاك إلا أنها رسالة علمية – وهي من تحقيق الشيخ الفاضل / صالح بن مقبل العصيمي ، لنيل درجة الدكتوراه ، بإشراف العلامة عبد الله بن محمد الغنيمان، والتي اعتمد فيها على ست نسخ خطية .

فارتأيتُ بعد مقارنة بين النسخ التي تحت يدي ، وهي :

- طبعة دائرة المعارف النظامية بالهند ، وهي الطبعة الأولى .
- طبعة محمد بشير عيون .
- طبعة دار ابن زيدون ببيروت ، بدون اسم للمحقق ، ويبدو اعتمادها على نسخ خطية في تحقيق الكتاب .
- طبعة الدكتورة فوقية .

- طبعة دار الإبانة بتحقيق محمد ريحان .

- طبعة دار الآثار ، بتحقيق أحمد بن سعد بن ناصر شفان الأهجري.

أن أفضل هذه النسخ، وأوثقها للنص هي الرسالة العلمية بتحقيق الشيخ الفاضل صالح بن مقبل العصيمي .

وعليهفقد اعتمدتُ على نص هذا التحقيق لمتن الكتاب[1] ، والذي أسأل أن يتقبله الله سبحانه وتعالى ، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم ، هو ولي ذلك والقادر عليه .

هذا وقد قدمت للكتاب بدراسة مستفيضة عن أبي الحسن الأشعري رحمه الله ، وقد استفدتها من كتاب " **موقف ابن تيمية من الأشاعرة** " للشيخ عبد الرحمن بن صالح بن صالح المحمود ، وهو الفصل الثالث من الكتاب ، فجزاه الله خير الجزاء .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد حامد محمد

Mohamed-hamed-mohamed@hotmail.com

[1] إلا في النذر اليسير من مطبوعة الدكتورة فوقية ، مشيرًا إلى ذلك في الهامش .

قسم الدراسة

أبو الحسن الأشعري

أولا: عصره.

ثانيا: نسبه ومولده ووفاته.

ثالثا: ثناء العلماء عليه.

رابعا: شيوخه.

خامسا: تلاميذه.

سادسا: مؤلفاته.

سابعا: أطوار حياته العقدية:

أ- طور الأشعري الأول (الاعتزال) .

ب- رجوعه عن الاعتزال وتاريخه وأسبابه.

ج- مذهب الأشعري بعد رجوعه: وهل كان طورا أو طورين.

ثامنا: عقيدته.

أولا: عصر الأشعري

عاش أبو الحسن الأشعري-رحمه الله- بين سنتي ٢٦٠ هـ- ٣٢٤ هـ- على الأرجح، وعاش في البصرة وبغداد في العراق، بلد الخلافة العباسية التي بقيت داخلة تحت حكمهم إلى أن شطت الخلافة سنة ٦٥٦ هـ.

ويتميز عصر الأشعري بما يلي:

١- ضعف الدولة العباسية، بسبب ضعف الخلفاء، الذي بدأ في عهد الخليفة أبى إسحاق محمد المعتصم بالله [خلافته: ٢١٨- ٢٢٧ هـ] ، وذلك حين بدأ نفوذ الأتراك يزداد لما اكثر منهم، حتى ضاقت فيهم بغداد فبنى لهم سامراء التي أصبحت عاصمة الخلافة وكان ذلك سنة ٢٢١ هـ، وقد استمرت عاصمة للخلفاء من بعده إلى أن تحول عنها الخليفة أبو العباس أحمد المعتمد على الله [خلافته: ٢٥٦- ٢٧٩ هـ] ، حيث استقرت دار الخلافة مرة أخري في بغداد[1].

وهؤلاء الأتراك- الذين أصبحوا جند الخلافة- أصبح نفوذهم كبيرا حتى أنهم صاروا ينصبون من يشاءون ويعزلون أو يقتلون من يشاءون من الخلفاء، وكان الوزير هو الذي يتولى تدبير شؤون البلاد، وليس للخليفة إلا الاسم.

---

[1] انظر: العالم الاسلامي في العصر العباسي (ص: ٣٢٣) ومابعدها، والكامل (٤٥٥/٧) .

وقد عاصر أبو الحسن الأشعري ستة من الخلفاء أولهم المعتمد على الله وآخرهم أبو العباس أحمد الراضي بالله [خلافته: ٣٢٢- ٣٢٩ هـ] .

٢- كما يتميز عصره ببعض القلاقل والأحداث من أهمها ثورة الزنج التي استمرت قرابة خمسة عشر عاما من سنة ٢٥٥ هـ إلي سنة ٢٧٠ هـ[١] ، وفها ابتداء أمر القرامطة سنة ٢٧٨ هـ الذين أشاعوا الفتن وحربوا الخلافة العباسية واستمرت تحركاتهم ردحا من الزمن[٢].

وإقامة الدولة العبيدية الفاطمية في المغرب سنة ٢٩٦ هـ[٣] ، ثم في مصر بعد ذلك، واستقلال الطولونيين بحكم مصر وسوريا من سنة ٢٦٤ هـ إلي سنة ٢٩٢ هـ بعد أن كانوا ولاة على مصر من قبل العباسيين [٤] وبلغ من قوة هذه الدولة وضعف الخلفاء أن الخليفة المعتمد عزم على الذهاب إلى ابن طولون في مصر لاستبداد أخيه الموفق، ثم عمل أخوه على إرجاعه، وكان ذلك سنة ٢٦٩ هـ قبل وفاة أحمد بن طولون بعام [٥] .

---

[١] انظر: الكامل (٧/ ٥ ٠ ٥،٢٤٤،٢٤١،٢٣٥،٢ ٠ ٤) ،والعبر (١/٣٨٧، ٣٨٨) .

[٢] انظر: تاريخ الطبرى (١٠/٢٣) ، وفضائح الباطنية (ص: ١٢) ، والمنتظم (٥/ ١١٠) ،وتثبيت دلائل النبوة: عبد الجبارالهمذاني (٢/٣٧٦) ، وكشف أسرار الباطنية (ص: ١ ٠ ٢) مطبوع في آخر التبصير بالدين، والقرامطة: محمود شاكر (ص: هـ) وما بعدها.

[٣] انظر في نشأة الدولة العبيدية الفاطمية: عيون الأخبار للداعي الإسماعيلى إدريس القرشي، السبع الخامس (ص: ٤٤) وما بعدها، ورسالة افتتاح الدعوة للقاضي النعمان الإسماعيلى (ص: ٥٤) وما بعدها، واتعاظ الحنفاء (١/٥٥) وما بعدها، وانظر: القوى السنية في المغرب (١/٩٨) وما بعدها.

[٤] انظر حسن المحاضرة (١/٥٩٤) ، وتاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة (١/١٢٨

[٥] انظر: الكامل (٧/ ٣٩٤) ، والعبر (١/ ٣٨٦) .

٣- أما من الناحية العلمية، فتميز هذا العصر بوجود عدد من العلماء في الحديث والفقه والعقيدة ومن أبرز أعلام هذا العصر:

- داود بن على الظاهري، الذي توفي سنة ٢٧٠ هـ[١].

- والربيع بن سليمان، صاحب الشافعي، توفي سنة ٢٧٠ هـ[٢].

- وابن ماجه، صاحب السنن، توفي سنة ٢٧٣ هـ[٣].

- وأبو بكر المروزى- أحد أجلاء أصحاب الإمام أحمد، توفي سنة ٢٧٥ هـ[٤]

- وأبو داود السجستاني- صاحب السنن- ت ٢٧٥ هـ وهو من تلاميذ الإمام أحمد، توفي بالبصرة [٥].

- ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم عالم وخطيب أهل السنة. ت ٢٧٦ (٣) هـ في بغداد[٦].

- الترمذى- صاحب السنن- ت ٢٧٩ هـ[٧].

- عثمان بن سعيد الدارمي، الذى كان " جذعا في أعين المبتدعة، قيما بالسنة" توفي سنة ٢٨٠ هـ[٨].

---

[١] العبر (٣٨٩/١) ، والكامل (٤١٧/٢) ، والبداية والنهاية (٤٧/١١) .

[٢] العبر (٣٩٠/١) ، والبداية والنهاية (٤٨/١) .

[٣] الكامل (٤٢٥/٧) ، والبداية والنهاية (٥٢/١١) .

[٤] العبر (٣٩٦/١) .

[٥] العبر (٣٩٦/١) ، والبداية والنهاية (٥٤/١١)

[٦] الكامل (٤٣٨/٧) ، والعبر (٣٩٧/١) ، وجعله ابن كثير في وفيات ٢٧٠ هـ، البداية (٤٨/١١) .

[٧] الكامل (٤٦٠/٧) ، والعبر (٤٠٢/١) ، والبداية (٦٦/١١) .

[٨] العبر (٤٠٣/١) ، والبداية (٦٩/١١) .

- إبراهيم بن إسحاق الحربي، أحد تلامذة الامام أحمد، وكان يشبه به في وقته، توفي سنة ٢٨٥ هـ[١] .

- عبد الله بن الإمام أحمد ت ٢٩٠ هـ .[٢]

- محمد بن نصر المروزي، المحدث الشافعي، ت ٢٩٤ هـ[٣] .

- النسالمط- صاحب السنن، ت ٣٠٣ هـ[٤] .

- الطبري- صاحب التفسير، ت ٣١٠ هـ[٥] .

- ابن خزيمة- إمام الأئمة محمد بن إسحاق- ت ٣١١ هـ[٦] .

- الطحاوي- أحمد بن محمد بن سلامة- ت ٣٢١ هـ[٧] .

وغيرهم من العلماء، وهم كثير، لكن لم نشر إليهم اختصارا.

---

[١] الكا مل (٤٩٢/٧) ، والعبر (٤١٠/١) ، والبداية (٧٩/١١) .

[٢] الكامل (٥٣٩/٧) ، والعبر (٤١٨/١) ، والبداية (٩٦/١١) .

[٣] العبر (٤٢٦/١) ، والبداية (١٠٢/١١)

[٤] الكامل (٨/ ٩٦) ، والعبر (٤٤٤/١) ، والبداية (١٢٣/١١) .

[٥] الكامل (١٣٤/٨) ، والعبر (٤٦٠/١) ، والبداية (١٤٥/١١) .

[٦] العبر (٤٦٢/١) ، وسير أعلام النبلاء (٣٦٥/١٤) ، وطبقات السبكي (١٥٩/٣) .

[٧] العبر (٢/ ١١) ، والبداية (١٧٤/١١) .

٤-كما وجد عدد من أهل الكلام والاعتزال والتصوف، وغيرهم، كما وجدت بعض الأحداث، فإضافة إلى القرامطة كان للخوارج بعض التحركات[١] ، كما عزم الخليفة المعتضد سنة ٢٨٤ هـ على لعن معاوية- رضي الله عنهـ على المنابر[٢] ، كما كان عام ٣٢١ هـ ابتداء ظهور دولة بني بويه الشيعية [٣] .

ومن أشهر أهل الكلام والتصوف والرفض:

- أحمد بن مخالد، مولى المعتصم، وكان من دعاة المعتزلة، ت ٢٦٩ هـ[٤] .

- وابن الراوندي الملحد، كان معتزليا ثم خرج عليهم، ت ٣٠٠ هـ[٥] .

- والجبائي، أبو على محمد بن عبد الوهاب، ت ٣٥٣ هـ [٦] .

- والكعبى، عبد الله بن أحمد البلخي شيخ المعتزلة، ت ٣١٩ هـ[٧] .

- والجبائي، أبو هاشم، ت ٣٢١ هـ[٨] .

- سهل بن عبد الله التستري، ت ٢٨٣ هـ[٩].

---

[١] انظر: الكامل (٤٢٣/٧، ٤٣٧،٤٥٣، ٤٦٢، ٤٧٠، ٤٧٦) ، أحداث سنة ٢٧٣ هـ- ٢٨٣ هـ.

[٢] انظر: الكامل (٤٨٥/٧) ، والعبر (٤٠٨/١) ، والبداية (٧٦/١١) .

[٣] الكامل (٢٦٤/٨) .

[٤] الكامل (٣٩٨/٧) .

[٥] العبر (٤٣٩/١) .

[٦] الكامل (٩٦/٨) .

[٧] العبر (٤/٢) .

[٨] الكامل (٢٧٣/٨- ٢٧٤) ، والعبر (١٢/٢) .

[٩] العبر (٤٠٧/١) .

- والحزاز أحمد بن عيسى، أول من تكلم في الفناء والبقاء، ت ٢٨٦ هـ[١]

- الجنيد، أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريرمم! ا، سيد الطائفة الصوفية، ت ٢٩٨ هـ[٢] .

- الحلاج، قتل سنة ٣٠٩ هـ[٣] .

- الشلمغاني، قتل سنة ٣٢٢ هـ[٤] .

- الكليني الرافضي: محمد بن يعقوب صاحب الكافي، توفي سنة ٣٢٩ هـ[٥] كما كان من العلماء الذين كانت لهم ميول إلى أقوال أهل الكلام:

- وأبو علي الثقفي: محمد بن عبد الوهاب، من ولد الحجاج، ولد سنة ٢٤٤ هـ وتوفي سنة ٣٢٨ هـ، قال عنه الصبغى: " ما عرفنا الجدل والنظر حتى ورد أبو علي الثقفي العراق "[٦] ، وكان ممن خالف ابن خزيمة.

- الماتريدي: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، إمام الماتريدية، توفي سنة ٣٣٣ هـ .

---

[١] العبر (٤١٢/١) .

[٢] المصدر السابق (٤٣٥/١) .

[٣] الكا مل (١٢٦/٨- ١٢٩) ، والعبر (٤٥٤/١) .

[٤] اسمه محمد بن علي المعروف بابن أبي القراقر، وشلمغان قرية بنواحي واسط، انظر: الكامل (٢٩٠/٨-٢٩٤) ، والعبر (١٤/٢) .

[٥] سير أعلام النبلاء (٢٨٠/١٥) .

[٦] سير أعلام النبلاء (٢٨٢/١٥)

٥-كما كان للحنابلة أحيانا نفوذ في بغداد، وكانت تقع بينهم وبين غيرهم بعض الفتن [١] ، وفي سنة ٣٢٣ هـ كان لهم نفوذ عظيم في عهد عالمهم البربهاري- أبو محمد الحسن بن على بن خلف الذي توفي سنة ٣٢٨ هـ[٢] - ثم خرج توقيع الخليفة الراضى ضدهم بتهمة التشبيه حتى اختفى واستتر شيخهم وتوفى وهو مستتر [٣] .

هذا عصر الأشعري الذي عاش فيه، وهو يدل على قوة أهل السنة بأعلامهم الكبار، الذي كان لهم نفوذ كبير وصل إلى أن يصدر الأمر من المعتضد إلى الوراقين ببغداد- سنة ٢٧٩ هـ- أن يحلفوا أن لا يبيعوا كتب الكلام والفلسفة، وأن لا يمكن أحد من القصاص والطرقية والمنجمين ومن أشبههم من الجلوس في المساجد ولا في الطرقات [٤] .

---

[١] انظر: الكامل (٢١٣/٨) حوادث عام ٣١٧ هـ.

[٢] انظر: حول نفوذ الحنابلة الكامل (٣٠٧/٨) ، والعبر (١٨/٢) .

[٣] انظر: الكامل (٣٠٨/٨- ٣٠٩) .

[٤] انظر: الكامل (٤٥٣/٧) ، والعبر (٤٠٠/١) ، والبداية والنهاية (٦٤/١١) .

ثانيا: نسبه ومولده ووفاته

هو الشيخ أبو الحسن على بن إسماعيل بن أبي بشر- إسحاق- بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري - صاحب رسول الله - صلى الله عليه السلام - فأبو الحسن الأشعري ينتهي نسبه الى هذا الصحابي الجليل، واسمه عبد الله بن قيس بن حضار الأشعري اليماني[١] .

اختلف في تاريخ ولادته فقيل سنة ٢٦٠ هـ، وقيل سنة ٢٦٦ هـ[٢] ، وقيل سنة ٢٧٠ هـ[٣] ، والأول هو الأرجح الذي عليه أكثر مترجميه، كما أنه يتناسب مع

---

[١] انظر في ترجمة الأشعري: تاريخ بغداد (٣٤٦/١١) والفهرست (ص:٢٣١) - ط طهران-، والمنتظم لابن الجوزي (٣٣٢/٦) ، والكامل في التاريخ (٣٩٢/٨) ، والأنساب للسمعاني (٢٧٣/١) ، واللباب (٦٤/١) ، وتكملة تاريخ الطبري للهمذاني (ص: ٣٣٤) ت- أبو الفضل إبراهيم- و (ص: ١٣٠) من الطبعة الكاثوليكية. وترتيب المدارك (٥/ ٢٤) - الطبعة المغربية-، ووفيات الأعيان (٢٨٤/٣) ، والعبر (٢٣/٢) ، وسير أعلام النبلاء (١٥/ ٨٥) ، والبداية والنهاية (١٨٧/١١، ٢٠٤، ٢٠٦) ، وطبقات الشافعية لابن قاضى شهبة (٨١/١) ، وللسبكي (٣٤٧/٣) ، وللأسنوي (٧٢/١) ، والمختصر لأبي الفداء (٨٩/٢) ، وتتمة المختصر لابن الوردي (٤٠٩/١) ، والدبياج المذهب (٩٤/٢) ، والجواهر المضية (٥٤٤/٢، ٣٣/٤) ، والخطط للمقريزي (٣٥٨/٢) - ط- بو لاق-، وشذرات الذهب (٣٠٣/٢) ، والنجوم الزاهرة (٢٥٩/٣) ، وطبقات المفسربن للداودي (٣٩٠/١) ، وشجرة النور الزكية (٧٩/١) ، وجلاء العينين (ص: ٢٤٧) - ط المدني-، ومفتاح السعادة (١٥٢/٢) ، وبروكلمان (٣٨/٤) ، وسزكين (م١ج ٤ ص: ٣٥) ، ومعجم أعلام الفكر الإنساني (٥٨٧/١) ، والأشعري حمودة غرابة، ومذاهب الإسلاميين: بدوي (٤٨٧/١) ، ونشأة الأشعرية وتطورها (ص: ١٦٥) ، وفي علم الكلام أحمد صبحى (ج٢) عن الأشاعرة (ص: ٣٥) ، ومقدمة تحفيق الإبانة لفوقية حسين محمود (ص: ٩) وما بعدها، والأعلام (٢٦٣/٤) ، ومعجم المؤلفين (٣٥/٧) وغيرها.

[٢] انظر: الخطط (٣٥٩/٢) .

[٣] انظر: السير للذهبى (٨٥/١٥) ذكر هذا القول والقول الأول، وابن خلكان (٢٨٤/٣) .

ما ذكر [١] في حياته من تحوله عن الاعتزال وهو في الأربعين، وهو الذي رجحه الخطيب البغدادي وابن عساكر.

فأما أبوه إسماعيل فكان سنيا جماعيا حديثيا، ويدل على ذلك أنه أوصى عند وفاته إلى زكريا بن يحى الساجى[٢] ، وفيه دلالة علي أن أباه توفي وابنه أبو الحسن صغير، ولذلك عاش في كنف زوج أمه الجبائي.

وكان مولد أبي الحسن في البصرة ولذلك يقال له البصري، وكانت أسرته من ولد الصحابي أبي موسى الأشعري- رضى الله عنهـ قد سكنوا هذه المدينة. أما وفاته، فقد قيل: إنه توفي سنة ٣٢٠ هـ وقيل: ٣٣٠ هـ وهو أرجحها، وقد رجحه ابن عساكر[٣].

---

[١] انظر: تاريخ بغداد (٣٤٧/١١) ، والتبيين (ص: ١٤٦) .

[٢] انظر: التبيين (ص: ٣٥) .

[٣] انظر: التبيين (ص: ١٤٦- ١٤٧) ، ووفيات الأعيان (٢٨٥/٣) .

ثالثا: ثناء العلماء عليه

أثنى عليه العلماء- وخاصة علماء الأشاعرة- وتركز ثناؤهم على ما كان له من نسب، وما قام به من الرد على المعتزلة والملحدة وغيرهم، فيقول الخطيب البغدادي: " أبو الحسن الأشعري المتكلم صاحب الكتب والتصانيف في الرد على الملحدة وغيرهم من المعتزلة والرافضة والجهمية والخوارج، وسائر أصناف المبتدعة " [١] ، ويروى عن أبي بكر بن الصيرفي [٢] أنه قال: " كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعري فجحرهم في أقماع السمسم "[٣] .

ويقول القاضى عياض عند ترجمته: " وصنف لأهل السنة التصانيف،وأقام الحجج على إثبات السنة وما نفاه أهل البدع من صفات الله تعالى ورؤيته وقدم كلامه وقدرته، وأمور السمع الواردة من الصراط، والميزان، والشفاعة، والحوض وفتنة القبر التى نفت المعتزلة، وغير ذلك من مذاهب أهل السنة والحديث، فأقام الحجج الواضحة عليها من الكتاب والسنة والدلائل الواضحة العقلية، ودفع

---

[١] تاريخ بغداد (١١/٣٤٦-٣٤٧) .

[٢] هو: محمد بن عبد الله، أبو بكبر الصيرفي، الامام الأصولي، توفي سنة ٣٣٠ هـ، كانت له مناظرة مع أبي الحسن الأشعري حول وجوب شكر النعم، طبقات السبكي (٣/١٨٦) .

[٣] تاريخ بغداد (١١/٣٤٧) ، وتبيين كذب المفترى (ص: ٩٤) وقال: إسناد هذه الحكاية مضيء كالشمس، ورواتها لا يخالط عدالتهم شك في النفس، والأنساب (١/٢٧٤) ، وطبقات السبكي (٣/٣٤٩) ، وعزا الزركشي في المعتبر في تخرج أحاديث المنهاج والمختصر (ص: ٢٦٨) هذه العبارة إلي أبي بكر بن العربي، ولعله وهم، وقد نبه على ذلك في الحاشية محقق المعتبر.

شبه المبتدعة ومن بعدهم من الملحدة والرافضة، وصنف في ذلك التصانيف المبسوطة التي نفع الله بها الأمة "[١] .

ويقول الذهبى: " ولأبى الحسن ذكاء مفرط، وتبحر في العلم، وله أشياء حسنة، وتصانيف جمة تقضى له بسعة العلم "[٢]ويقول: " رأيت لأبي الحسن أربعة تواليف في الأصول يذكر فيها قواعد مذهب السلف في الصفات وقال فيها: تمر كما جاءت، ثم قال: وبذلك أقول وبه أدين، ولا تؤول "[٣] .

أما ابن عساكر في الكتاب الذي أفرده في ترجمته والدفاع عنه، فقد مدحه كثيرا، وجعله من المجددين، وذكر الروايات الواردة في مدح قومه وأسرته. وكذلك السبكي في طبقات الشافعية- ذلك الكتاب الذي يصح أن يسمي " طبقات الأشاعرة "- فقد بالغ في مدح شيوخ الأشاعرة ونقل أقوالهم وعقائدهم[٤] ، ولذلك فمن المتوقع أن يمدح الأشعري عندما يصل إلي ترجمته، وكان مما قال فيه: " شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى، الشيخ أبو الحسن الأشعري البصري شيخ طريقة أهل السنة والجماعة، وإمام المتكلمين، وناصر سنة سيد المرسلين والذاب عن الدين، والساعي في حفظ عقائد المسلمين، سعيا يبقى أثره

---

[١] ترتيب المدارك (٢٤/٥) .

[٢] سير أعلام النبلاء (٨٧/١٥) .

[٣] المصدر السابق (٨٦/١٥) .

[٤] يتهم السبكى الذهبى أنه يعلى من شأن الحنابلة ويحط من شأن الأشاعرة، وليس هذا موضع مناقشة هذه التهمة، وقد ناقشها بشار عواد في مقدمته لسير أعلام النبلاء (ص: ١٢٧-١٣٥) ، ولكن نقول. أن السبكي وقع في تراجم الأشاعرة في طبقاته في نفس الشيء الذى اتهم به الذهبي.

إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين، إمام حبر، وتقى بر، حمى جناب الشرع من الحديث المفترى وقام في نصرة ملة الإسلام فنصرها نصرا مؤزرا...."[١].

وغيرهم من العلماء الذين مدحوه وأثنوا على ما قام به من نصر السنة والرد على المبتدعة من المعتزلة وغيرهم، لكنه لم يسلم من القدح والذم، فقد ذمه أبو على الأهوازي [٢] وألف كتابا في مثالبه [٣] ، كما شنع عليه ابن حزم [٤] ، وابن الجوزي والمقبلى[٥].

---

[١] طبقات السبكي (٣٤٧/٣) .

[٢] هو: الحسن بن على بن إبراهيم، أبو على الأهوازى مقرئ الشام في عصره، ولد سنة: م ٣٦٢ هـ، صنف كتابا في الصفات أتى فيه بموضوعات، اتهم بوضعها الأهوازى نفسه منها حديث: رأيت ربي بعرفات على جمل أحمر عليه إزار، وغيره، فصل القول فيه الذهبي في ميزان الاعتدال (٥١٢/١-٥١٣) . وقال:"لو حابيت أحدا لحابيت أبا على لمكان علو رواتي في القراءات عنه"، توفي سنة ٤٤٦ هـ، وانظر: معرفة القراء الكبار (٤٠٢/١) ، وغاية النهاية في طبقات القراء (٢٢٠/١) .

[٣] رد عليه ابن عساكر في تبيين كذب المفترى.

[٤] انظر: ترتيب المدارك (٢٦/٥) .

[٥] ابن الجوزي في المنتظم (٣٣٢/٦) ،والمقبلى في العلم الشامخ (ص:٢٩٠-٣٦٣) وغيرها ط دار البيان.

رابعا: شيوخه

لم يكن الأشعري مشهورا بالرواية عن أهل الحديث، سوى بعض الروايات التي رواها في تفسيره عن بعض شيوخه، أما مذهبه الفقهي فقد تنازع الانتساب إليه كل من الشافعية والمالكية والحنفية، كما هو واضح في قائمة الكتب التي ترجمت له، وكما صرح بذلك بعض العلماء[١]، والأرجح أنه كان شافعي المذهب، وهو الذى عليه أكثر.

وأهم شيوخه:

١- أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي، شيخه في الاعتزال قبل رجوعه.

٢- زكريا بن يحيى الساجي، محدث البصرة وشيخها ومفتيها، المتوفي سنة ٣٠٧ هـ، يقول الذهبي: " أخذ عنه أبو الحسن الأشعري مقالة السلف في الصفات، واعتمد عليها أبو الحسن في عدة تآليف "[٢]وسبقت الإشارة إلى أن والده لما توفي أوصى إلى الساجى، وممن ذكر تتلمذه على الساجى ابن عساكر[٣] والسبكى[٤] والبغدادي[٥].

---

[١] من الذين قالوا إنه مالكي المذهب القاضي عياض بي ترتيب المدارك (٢٤/٥) ، وابن فرحون في الديباج (٦٤/٢) ، ومن الذين قالوا إنه حنفي المذهب: القرشى في الجواهر المضية (٥٤٥/٢) .

[٢] سير أعلام النبلاء (٩٨/١٤) وانظر ترجمته أيضا في طبقات السبكي (٢٩٩/٣) ، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٧٠٩)

[٣] انظر: التبين (ص: ٤٠٠) .

[٤] طبقات السبكي (٣٥٥،٢٩٩/٣) .

[٥] الملل والنحل للبغدادي (ص: ١٢٨-١٢٩) .

٣- أبو إسحاق المروزي: إبراهيم بن أحمد المروزي، صاحب أو العباس بن سريج وأكبر تلامذته، انتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي، توفي سنة ٣٤٠ هـ[١]، وممن ذكر تتلمذ الأشعري عليه الخطيب البغدادى وابن خلكان[٢]، فقد ذكروا أنه كان يجلس إلى حلقته في بغداد.

٤- أبو العباس بن سريج: أحمد بن عمر بن سريج القاضي البغدادى ولد سنة ٢٤٠ هـ، توفي سنة ٣٠٣ هـ[٣]، قال ابن كثير عن الأشعري: " وتفقه بابن سريج "[٤].

٥- أبو بكر القفال الشاشي: محمد بن على بن إسماعيل القفال الكبير، توفي سنة ٣٦٥ هـ[٥]، ذكر السبكي: " أن القفال أخذ علم الكلام عن الأشعري، وأن الأشعري كان يقرأ عليه الفقه، كما كان هو يقرأ عليه الكلام "[٦]، وذكر ابن عساكر عن القفال أنه " كان في أول أمره مائلا عن الاعتدال قائلا بمذاهب أهل الاعتزال[٧] " وذكر السبكي أنه رجع إلى مذهب الأشعرى[٨].

---

[١] ترجمته في تاريخ بغداد (١١/٦)، وسير أعلام النبلاء (٤٢٩/١)، وشذرات الذهب (٣٥٥/٢).

[٢] انظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٤٧)، ووفيات الأعيان (٢٨٤/٣).

[٣] انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠١/١٤)، وطبقات السبكي (٢١/٣).

[٤] البداية والنهاية (١٨٧/١١).

[٥] انظر: تبيين كذب المفترى (ص: ١٨٢)، وطبقات السبكي (٣/ ٢٠٠)، وسير أعلام النبلاء (٢٨٣/١٦).

[٦] طبقات السبكى (٢٠٢/٣).

[٧] التبيين (ص: ١٨٣).

[٨] الطبقات (٢٠١/٣)، وقد دافع عنه الذهبي فقال بعد ذكره ماقاله أبو سهل الصعلوكي عن تفسير القفال من أنه دنسه من جهة نصره للاعتزال، قال الذهبى معلقا:" الكمال عزيز وانما يمدح العالم بكثرة ماله من الفضائل، فلا تدفع المحاسن لورطة، ولعله رجع عنها، وقد يغفر له باستفراغه الوسع في طلب الحق، ولا قوة إلا بالله " السير (٢٨٥/١٦)

٦- أبو خليفة الجمحي: الفضل بن الحباب، واسم الحباب: عمرو بن محمد بن شعيب، ولد أبو خليفة سنة ٢٠٦ هـ، وتوفي ٣٠٥ هـ، قال عنه الذهبي: " وكان ثقة، صادقا مأمونا أديبا، فصيحا مفوها، رحل إليه من الآفاق وعاش مئة عام سوى أشهر " [١] . وممن ذكر تتلمذ الأشعري عليه ابن عساكر والذهبي والسبكي [٢] .

٧- سهل بن نوح.

٨- عبد الرحمن بن خلف الضبي.

٩- محمد بن يعقوب المقبري، أو المقري.

ذكر تتلمذ الأشعري على هؤلاء الثلاثة ابن عساكر والسبكي [٣] .

---

[١] سير أعلام النبلاء (١٤/٨) ، وانظر أيضا في ترجمته البداية والنهاية: (١٢٨/١١)

[٢] وذلك في التبيين (ص: ٤٠٠) ، وسير أعلام النبلاء (٨٦/١٥) ، وطبقات (٣٥٥/٥) .

[٣] التبين (ص: ٤٠٠) ، والطبقات (٣٥٥/٣) ، وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه التسعينية (ص: ٢٠١) عن ابن الراوندي أنه يقال: إنه أحد شيوخ أبي الحسن الأشعري.

خامسا: تلاميذه

تتلمذ على الأشعري كثيرون، ولا شك أن قصة رجوعه وما صاحبها كان سببا في انكباب كثير من التلاميذ عليه، والظاهر أن هذه التلمذة إنما كانت- في الغالب- في مجال العقيدة وما آمن به الشيخ الأشعري بعد رجوعه عن الاعتزال.

وإذا كان تلاميذه كثيرين فإن أخصهم به كما يقول السبكي أربعة:

ابن مجاهد، وأبو الحسن الباهلي، وبندار خادمه، وأبو الحسن الطبري [١] . ونذكر هؤلاء، ثم نذكر بعض تلاميذه:

١- ابن مجاهد: محمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب الطائي البغدادي، توفي سنة ٣٧٠ هـ، تتلمذ عليه الباقلاني [٢] .

٢- أبو الحسن الباهلي: توفي في حدود سنة ٣٧٥ هـ، تتلمذ عليه أبو إسحاق الإسفراييني، وابن فورك والباقلاني، وكان يلقي عليهم دروسه من وراء حجاب بسبب أنهم يرون السوقة فلا يريد أن يروه بالعين التي رأوا فيها اولئك، وكان زاهدا صوفا [٣] .

---

[١] طبقات السبكي (٣/٣٦٨-٣٦٩) .

[٢] تبيين كذب المفتري (ص: ١٧٧) ، وسير أعلام النبلاء (١٦/٣٠٥) ، والديباج المذهب (٢/٢١٠) .

[٣] التبيين (ص: ١٧٨) ، وسير أعلام النبلاء (١٦/٣٠٤) ، والوافي بالوفيات (١٢/٣١٢) .

٣- أبو الحسين بندار بن الحسين الشيرازي الصوفي: خادم أبي الحسن الأشعري، وكان من أصحاب الشبلي، توفي سنة ٣٥٣ هـ.[١]

٤- أبو الحسن علي بن مهدي الطبري، توفي في حدود سنة ٣٨٠ هـ[٢].

٥- أبو بكر القفال الشاشي، وهو من شيوخ الأشعري أيضا وتقدم.

٦- ابن خفيف: أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي الصوفي، توفي سنة ٣٧١ هـ، كانت له رحلة إلى الأشعري وله معه حكايات[٣].

٧- أبو الحسن عبد العزيز بن محمد الطبرى المعروف بالدمل، نشر مذهب الأشعري بالشام[٤].

٨- أبو سهل الصعلوكي، محمد بن سليمان بن محمد، ولد سنة ٢٧٦ هـ وتوفي سنة ٣٦٩ هـ[٥].

٩- أبو زيد المروزي: محمد بن أحمد بن عبد الله، ت ٣٧١ هـ[٦]. وغيرهم.

---

[١] التبيين (ص: ١٧٩) ، حلية الأولياء (٣٨٥/١٠) ، وطبقات الصوفية (ص: ٤٦٧) ، وسير اعلام النبلاء (١٠٨/١٦) ، وطبقات السبكي (٢٢٤/٣) .

[٢] التبيين (ص:١٩٥) ، وطبقات السبكي (٤٦٦/٣) .

[٣] التبيين (ص:١٩٠) ، وحلية الأولياء (٣٨٦/١٠) ، وسير أعلام النبلاء (٣٤٢/١٦) ، وطبقات السبكى (١٤٩/٣) .

[٤] تبيين كذب المفترى (ص: ١٩٥)

[٥] تبيين كذب المفترى (ص: ١٨٣) ، وسير أعلام النبلاء (٢٣٥/١٦) .

[٦] التبيين (ص: ٨٨ ١) ، وسير أعلام النبلاء (٣١٣/١٦) .

سادسا: مؤلفاته

لأبي الحسن الأشعري مؤلفات كثيرة، قال ابن حزم إنها خمسة وخمسون مصنفا، وقال غيره: إنها اكثر من ثمانين وثلاثمائة مصنف[١] .

ولا حاجة إلى سرد هذه المصنفات، فقد سبق أن سردها غير واحد[٢] ،ولكن أشير الى مؤلفاته التي وصلت الينا، ثم إلى كتاب ابن فورك " مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري.

فمصنفاته التي وصلت إلينا حتى الآن:

١ – مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين:

وهو من أهم كتب المقالات وأوثقها وأدقها في نسبة الأقوال إلى أصحابها، ويلاحظ في هذا الكتاب:

أ- التكرار، فكثيرا ما يكرر الأقوال، وخاصة حين يتكلم عن الطوائف وأقوالها، ثم يعيد الكلام عن بعض الموضوعات وأقوال الطوائف فيها.

---

[١] انظر: التبيين (ص: ٩٢، ١٣٦) وفيه (ص: ١٣٦) "مئتين وثلاثمائة" وهو خطأ والتصويب من النقض (٨٧/١)

[٢] منهم ابن فورك وابن عساكر في التبيين (ص: ١٢٨) وما بعدها، وبدوي في مذاهب الأسلاميين (٥٥/١) ، ومقدمة الإبانة تحقيق فوقيه محمود (ص: ٣٨) .

ب- معرفة الأشعري بمذاهب أهل الكلام، وخاصة المعتزلة، ولذلك فصل أقوالهم ومذاهبهم، وفروق أقوالهم الدقيقة.

ج- ذكره بالتفصيل لأقوال شيخه في الاعتزال، الجبائي، ويعتبر من أهم المصادر لأقوال الجبائي- الذي لم يصل إلينا من مؤلفاته شيء-، وهو يدل على مدى تأثير الجبائي على الأشعري في المرحلة الأولي من حياته.

د- ذكره لأقوال السلف- الذين يسميهم أهل الحديث وأهل السنة بإجمال، لأنه لم يكن خبيرا بتفاصيل أقوالهم، ولهذا نسب إليهم ما لم يقولوه، فمثلا قال عنهم: إنهم يقولون عن الله إنه " ليس بجسم...."[1] وليس مذهب السلف بهذا الإطلاق، كما ذكر عنهم أنهم يقولون: " ان أحدا لا يستطع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله ... "[2] وهذا أيضا ليس مذهب أهل السنة.

وأهم طبعات الكتاب طبعة ريتر، وطبعة محمد محي الدين عبد الحميد التي أضاف إليها حواشي جيدة، وإن كان قد اعتمد على طبعة ريتر ولم يشر إلى فروق النسخ.

٢- اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع:

لم يشك أحد في نسبته إلى الأشعري، وقد بين فيه كثيرا من القضايا الكلامية التي رد فيها على المعتزلة، وشرح فيها مذهبه خاصة في مسائل: وجود الصا نع،

---

[1] مذاهب الإسلاميين (ص: ٢١١) - ت- ريتر.

[2] المصدر السابق (ص: ٢٩١) .

والقرآن، والإرادة، والرؤية، والقدر- والكسب- والاستطاعة، ثم مسائل التعديل والتجوير والايمان، والوعد والوعيد والإمامة.

وسيأتي- إن شاء الله تفصيل آخر عنه، وقد طبع مرتين: بتحقيق مكارثي، وحمودة غرابة.

٣- رسالته إلى أهل الثغر:

وسماه ابن عساكر: " جواب مسائل كتب بها إلى أهل الثغر [١] في تبيين ما سألوه عنه من مذهب أهل الحق [٢] ، وهذا الثغر العظيم المسمي باب الأبواب يسكن فيه أناس كثيرون مختلفوا اللغات، وقد ذكر الإصطخري أنها نيف وسبعون لغة حتي أن الجار لا يعرف لغة جاره، ومع ذلك فهو من ثغور الإسلام العظيمة، فهو يحمي ظهور المسلمين وينذرهم إذا قدم العدو، والذين سألوا الأشعري يظهر أنهم كانوا من العلماء ولهذا قال في مقدمة الرسالة: أما بعد أيها الفقهاء والشيوخ من أهل الثغر ... [٣].

---

[١] يسمي باب الأبواب، وهو على ساحل نهر طبرستان المسمي بحر الخزر (قزوين) وباب الأبواب دربند او شروان، ويقع في اقليم الران بين القوقاز وأذربيجان، وكان هذا الثغرعلى حدود الدولة الإسلامية. انظر: تفصيلات أخرى في كتاب الأقاليم للإصطخرى (ص: ٧٩) "مخطوطة مصورة"، ومعجم البلدان (٣٠٣/١) ، وآثار العباد (ص: ٥٠٦) ، والروض المعطار (ص:٧٧) .

[٢] تبيين كذب المفترى (ص: ١٣٦) ، وهذه الرسالة ثابتة للأشعري، وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية نصا طويلا في درء النعارض (١٨٦/٧) .

[٣] رسالة أهل الثغر (ص: ٣١) تحقيق الجليند.

أما موضوعها فيشتمل على مقدمة طويلة حول الاستدلال ومنهج الرسل فيه، مع بيان أنهم لم يدعوا إلى دليل الاعراض الذي دعا إليه المعتزلة وأهل الكلام، ويستغرق هذا ما يقرب من نصف الرسالة، ثم بعد ذلك عرض لما أجمع عليه السلف في مسائل العقيدة المختلفة، الصفات، والرؤية، والقدر، والنبوة، والإيمان، ومرتكب الكبيرة، وعذاب القبر، والصراط، والشفاعة، والصحابة. وغيرها.

والشيء الملفت في هذه الرسالة ما ورد في مقدمتها من قول الأشعري: "ووقفت أيدكم الله على ما ذكرتموه من إحمادكم جوابي على المسائل التى كنتم أنفذتموها إلي في العام الماضي وهو سنة سبع وستين ومئتين "[1] ، هكذا في المخطوطة التي اعتمد عليها من طبع هذه الرسالة، والأشعري ولد علي القول الراجح سنة ٢٦٠ هـ وهو أيضا أقدم ما أرخت به ولادته؛ إذ الأقوال الأخرى فيها أن ولادته بعد هذا إما في سنة ٢٦٦ هـ أو سنة ٢٧٠ هـ ، وعلي أقصى التقديرات يكون عمر الأشعري ثماني سنوات، والرسالة إنما ألفها بعد رجوعه عن الاعتزال.

والحل الأقرب ما أشار إليه بعض الباحثين [2] من أنه ربما يكون هناك سهو من الناسخ للمخطوطة وأن صوابه ٢٩٧ هـ، فيكون تاريخ رسالته هذه الى أهل الثغر سنة ٢٩٨ هـ، وهذا التاريخ يعطى دلالة على زمن تحول الأشعري عن

---

[1] نفس المصدر والصفحة .

[2] انظر: مذاهب الإسلاميين (١/٥٢٢-٥٢٣) ، ومقدمة الجليند للرسالة (ص: ١٢-١٣، ٣١) .

الاعتزال وأنه كان قبل الثلاثمائة- ولو بقليل- وبه يظهر خطأ من جعل هذه الرسالة مما ألفه الأشعري بعد سنة ٣٢٠ هـ بدون دليل يذكره[١] .

وهذه الرسالة طبعت في بعض الدوريات في تركيا[٢] ، وأخيرا طبعت عام ١٤٠٧ هـ بتحقيق محمد السيد الجليند، كما أنها حققت فى الجامعة الاسلامية في المدينة وطبعت أيضا، وهى بتحقيق عبد الله شاكر.

٤- الإبانة عن أصول الديانة:

وهو من أهم كتب الأشعري، وأكثرها إثارة للجدل، لأنه يحوي جوانب من العقيدة تخالف ما عليه متأخرو الأشعرية، خاصة في مسائل الصفات الخبرية والعلو والاستواء.

ونسبته إلى الأشعري مشهورة، ففضلا عن النسخ الخطية التي تنسب هذا الكتاب إليه فإن جمهرة من جلة العلماء نسبوه إليه، وفيهم من دافع عن الأشعرية- في المحن التي مروا بها- من خلال بيان صحة اعتقاد الأشعري الذي ينتسبون إليه، وذلك بالنقل من هذا الكتاب مما يوافق مذهب أهل السنة، ومن هؤلاء

---

[١] انظر: مقدمة تحقيق الإبانة (ص:٩٠-٩١) ، ويلاحظ أن في عبارة ابن فورك بعد أن عدد مؤلفات الأشعري مايدل على أن هذه الرسالة ألفها الأشعري قبل سنة ٣٢٠ هـ فإنه قال:"هذا هو أسامي كتبه التي ألفها إلي سنة عشرين وثلاثمائة سوى أماليه والجوابات المتفرقة عن المسائل الواردات من الجهات المختلفات، تبيين كذب المفترى (ص: ١٣٥) فهذا يعطي ظنا غالبا تقدم هذه الرسالة عن التاريخ المذكور.

[٢] نشرها قوام الدين في مجلة دار الفنون بإستانبول، ثم نشرها في مجلة كلية الإلهيات سنة ١٩٢٨م في (ج٧،٨) ، مذاهب الإسلاميين (٥٢١/١) ، ودرء التعارض (١٨٦/٧) ، حاشية المعلق،وانظر: بروكلمان- تاريخ الأدب العربي (٤/ ٤٠) - من الطبعة العربية.

العلماء: البيهقي، والصابوني، وابن عساكر، ونصر المقدسي، وأبو بكر، السمعاني[١] ، وابن تيمية وابن القيم [٢] ، حتى الأهوازي الذى ألف في مثالب، الأشعري ورد عليه ابن عساكر لم ينكر نسبة الإبانة الى الأشعري، بل قال: إن الحنابلة لم يقبلوا من الأشعري ما أظهره فى الإبانة [٣] ، وهذا دليل على أنه يقر بانه له [٤] .

ومع ذلك لم يسلم هذا الكتاب من اعراض بعض الأشعرية المتقدمين عنه، وصل إلى حد الانكار، مما أوقع الشك عند بعض المعاصرين حول نسبته الى الأشعري[٥].

---

[١] انظر: الاعتقاد للبيهقي (ص: ١٠٨-١٠٩) تحقيق أحمد عصام الكاتب، وتبين كذب المفترى (ص: ١٥٢، ص: ٣٨٩) ، ورسالة في الذب عن الأشعري فإنها كلها تثبت أن الأبانة للأشعرى، وذلك لإثبات العلماء له، وانظر: ما يأتي عند الحديث عن أطوار الأشعري.

[٢] ابن تيمية في غالب كتبه ومنها الحموية، ودرء التعارض، ونقض التأسيس، وابن القيم اجتماع الجيوش (ص: ١٨٢) .

[٣] انظر: التبيين (ص: ٣٨٩) .

[٤] يذكر ابن درباس في رسالته في الذب عن أبي الحسن الأشعري (ص: ١١٤) – ت الفقيهي – أن من العلماء الذين أثبتوا الابانة للأشعري إمام القراء أبا علي الحسن بن على بن ابراهيم الفارسى، ثم ترجم المحقق في الحاشية له علي أنه الأهوازي، ولكن في الإسناد مايثير الشك، وذلك أن أبا الحسن بن نجية المولود سنة ٥٠٨ هـ وزوجته فاطمة بنت سعد الخير المولودة سنة ٥٢٢ هـ قالا في الإسناد " أنبأنا الإمام أبو علي الحسن بن على بن ابراهيم المقري وذكر الإمام أبا الحسن الأشعري ... "، والأهوازي توفي سنة٤٤٦ هـ، فكيف يرويان عنه بقولهما " أنبأنا" حتى على القول بأنها قد تستخد م- عند بعض العلماء – في الإجازة؟ وقد بحثت طويلا في كتب التراجم عمن يسمى بهذا الاسم مما يناسب الإسناد فلم أجد سوى ماذكره المحقق مع مافي سند الرواية اليه من الإشكال، والله أعلم.

[٥] من هؤلاء المستشرقان مكارثي وآلار، انظر: مذاهب الإسلاميين- بدوي- (١/٥١٧- ٥١٨) ، ومقدمة تحقيق الإبانة: فوقية محمود (ص: ٧٥-٧٩) .

ومن أمثلة الانكار ما ذكره ابن درباس المتوفي سنة ٦٠٥ هـ في معرض حديثه عن إحدى نسخ الإبانة الموجودة عند بعض العلماء فإنه قال: ولقد عرضها بعض أصحابنا على عظيم من عظماء الجهمية المنتمين افتراء إلى أبي الحسن الأشعري ببيت المقدس فأنكرها وجحدها، وقال: ما سمعنا بها قط ولا هي من تصنيفه، واجتهد آخرا في إعمال رويته ليزيل الشبهة بفطنته فقال بعد تحريك لحيته: لعله ألفها لما كان حشويا فما دريت من أي أمريه أعجب؟ أمن جهله بالكتاب مع شهرته وكثرة من ذكره في التصانيف من العلماء، أو من جهله بحال شيخه الذي يفتري عليه بانتمائه إليه واشتهاره قبل توبته بالاعتزال بين الأمة عالمها وجاهلها".[1]

ومن أسباب الشك أن ابن فورك لم يذكر الإبانة عند ذكره لمؤلفات الأشعري، بل ولم ينقل منها حين جمع مقالات الأشعري، أو مقالات ابن كلاب مع مقارنتها بأقوال الأشعري، وهذا مثير للانتباه فعلا، لأن الأشعرية يفتخرون بهذا الكتاب ويؤكدون نسبته إلى الأشعري ليبينوا عدم انحراف أمامهم وأنهم تبع له، فكيف يجهل ابن فورك هذا الكتاب المهم؟.

وإذا كان ابن فورك قد توفي سنة ٤٠٦ هـ فإن تلميذه الذى يروى عن شيخه ابن فورك في أسانيده الإمام الحافظ أبا بكر البيهقي المولود سنة ٣٨٤ هـ- أثبت

---

[1] رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري (ص ١٣١) تحقيق الفقيهي.

نسبة الإبانة للأشعري ونقل عنه في بعض كتبه كما تقدم قريبا- والبيهقي- المحدث الفقيه أجل من ابن فورك الذي غلب عليه علم الكلام[1].

ولابن تيمية كلام مهم حول هذا الموضوع- نثبته هنا لعلاقته بكتاب الإبانة ونسبته إلى الأشعري، فإنه قال بعد ذكره للعلماء الذين أثبتوه ونقلوا عنه - " فإن قيل: فابن فورك وأتباعه لم يذكروا هذا؟، قيل له سببان:

أحدها: أن هذا الكتاب ونحوه صنفه ببغداد في آخر عمره لما زاد استبصاره في السنة، ولعله لم يفصح في بعض الكتب القديمة بما أفصح به فيه وفي أمثاله وإن كان لم ينف فيها ما ذكره هنا في الكتب المتأخرة، ففرق بين عدم القول وبين القول بالعدم ... ثم نقل ابن تيمية ما ذكره ابن عساكر عن ابن فورك وما ذكره من مؤلفات الأشعري وتعقب ابن عساكر له،....

السبب الثاني: أن ابن فورك وذويه كانوا يميلون الى النفي في مسألة الاستواء ونحوها، وقد ذكرنا فيما نقله هو من ألفاظ ابن كلاب- وهو من المثبتين لذلك- كيف تصرف في كلامه تصرفا يشبه تصرفه في ألفاظ النصوص الواردة في إثبات

---

[1] ومع ذلك فقد يتحرز ابن فورك في بعض الأحيان في الرواية والضبط، حتى أنه عندما تكلم في مشكل الحديث وبيانه (ص: ٣٦-٣٧) ط المكتبة العصرية، حول تأويل الحديث " رأيت ربي في أحسن صورة،- وذكر القول بأنه منام- قال بعد ذلك " وقد تهور بعض المتكلمين في ذلك أيضا فغير اللفظ المسموع الى ما لم يضبط و لم ينقل تعسفا في التأويل فقال: إنما هو"ربي" بكسر الراء وهو اسم عبد كان لعثمان- رضي الله عنهـــ رآه - صلى الله عليه وسلم - في النوم على تلك الصفات، وهذا غلط، لأن التأويل والتخريج إنما يكون لمسموع مضبوط منقول، و لم يثبت سماع ذلك على هذا الوجه ... ". فهذايدل على احترامه لنصوص السنة، وإن كان قد وقع في كثير من التأويل الباطل.

ذلك كما فعله في كتابه تأويل شكل النصوص، فكان هواه في النفي يمنعه من تتبع ما جاء في الاثبات من كلام أئمته وغيرهم، وكذلك فيما نقله من كلام الأشعري كيف زاد فيه ونقص مع أن المنقول نحو ورقتين [1] ، فلعله قد عمل ذلك فيما نقله من كلام ابن كلاب، إذ لم نجد نحن نسخة الأصول التي نقل منها، حتى نعلم كيف فعل فيها. وفيما نقله تحريف بين، لكن مأخذه في ذلك مأخذ من ينسب فتاويه وعقائده إلى السنة والشريعة النبوية لظنه أن هذا هو الحق الذي لا تأتي بخلافه، فكذلك هو يظن أن ما زاده ونقصه يوجبه بعض أصول ابن كلاب والأشعري، وإن كان فيما ظهر من كلامهما خلافه، وهذا أصل معروف لكثير من أهل الكلام والفقه يسوغون أن ينسب إلي النبي – صلى الله عليه السلام – نسبة قولية توافق ما اعتقدوه من شريعته حتي يضعوا أحاديث توافق ذلك المذهب ولينسبونها إلى النبي، لكن ابن فورك لم يكن من هؤلاء ، وإنما هو من الطبقة الثانية الذين ينسبون إلي الأئمة ما يعتقدون هم أنه الحق فهذا واقع في كثير من طائفته، حتي أن في زماننا في بعض المجالس المعقودة قال كبير القضاة: إن مذهب الشافعي المنصوص عنه كيت وكيت، وذكر القول الذى يعلم هو وكل عالم أن الشافعي لم يقله، ونقل القاضيان الآخران عن أبي حنيفة ومالك مثل ذلك، فلما روجع ذلك القاضي قيل له: هذا الذى نقلته عن الشافعي من أين هو؟، أي أن الشافعي لم يقل هذا، فقال: هذا قول العقلاء، والشافعي عاقل لا يخالف العقلاء، وقد رأيت في مصنفات طوائف من هؤلاء ينقلون عن أئمة الإسلام المذاهب التي لم ينقلها أحد عنهم لاعتقادهم أنها حق، فهذا أصل ينبغى أن يعرف.

---

[1] يشير ابن تيمية الى ماسبق من مناقشة (ص: ٥٤-٥٥) من الجزء الأول المخطوط.

" ومن أسباب ذلك أيضا أن الأشعري ليس له كلام كثير منتشر في تقرير مسألة العرش والمباينة للمخلوقات، كما كان لابن كلاب إمامه، وذلك لأنه تصدى للمسائل التي كان المعتزلة تظهر الخلاف فيها كمسألة الكلام والرؤية وانكار القدر والشفاعة في أهل الكبائر ونحو ذلك، وأما العلو فلم يكونوا يظهرون الخلاف فيه إلا لخاصتهم لإنكار جمهور المسلمين لذلك، وانما كان سلف الأمة وأئمتها يعلمون ما يضمرون من ذلك بالاستدلال، فالأشعري تصدي لرد ما اشتهر من بدعهم فكان اظهر خلافهم في القرآن والرؤية من شعار مذهبه التي لم يتنازع فيها أصحابه وإن كانوا قد يفسرون ذلك بما يقارب قول المعتزلة بخلاف مالم يكونوا يظهرون مخالفته فإنه كان أدخل في السنة وأعظم في الأمة وأثبت في الشرع والعقل مما أظهروا مخالفته...." [1].

ولعل هذا النص- الطويل- يعين على فهم تجاهل بعض الأشاعرة لهذا الكتاب الذى يعتبر من الكتب التي ترد على نفاة العلو والاستواء من الأشعرية المنتسبين إلى مؤلفه. وهذا الذى ذكره شيخ الإسلام عن ابن فورك ليس ببعيد وسيأتي مثال عملي على ذلك عند الكلام على كتاب " مجرد مقالات الأشعري". والخلاصة: أن كتاب الإبانة ثابت للأشعري، أما طبعاته فقد طبع عدة طبعات في الهند ومصر ولبنان كما طبعته جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية. وأهم طبعاته ـ التي اشتهرت مؤخرا- تلك الطبعة المحققة على أربع نسخ خطية مع دراسة مطولة عن الأشعري ومؤلفاته ونهجه، وقامت بها الدكتورة فوقية حسين محمود، ونشرته دار الأنصار سنة ١٣٩٧ هـ ، ومع ذلك فهناك ملاحظات على

---

[1] نقص أساس التقديس المخطوط (١/٨٥-٨٩) .

هذه الطبعة لا يجوز السكوت عنها، أهمها ملاحظتان: الأولى: كثرة الأخطاء والتحريفات، إما بسبب الطباعة، أو بسبب الخطأ في قراءة بعض الكلمات أو الجمل، وقد يوضع ما هو خطأ حتما في الأصل، ثم تجد الصواب في الحاشية جاءت به إحدى النسخ الخطية، ولأجل هذه الملاحظات أصبحت قراءة النص متعبة وتحتاج الى أن تكون بين يديك الطبعات الأخرى.

أما الملاحظة الأخرى: فتهون الأولى أمامها، ألا وهي اعتماد إحدى النسخ الخطية التي انفردت بزيادات ليست موجودة في النسخ الأخرى، وقد أثبت هذه الزيادات في النص الأصلى وأشير إليها في الحاشية، وهذه النسخة حفلت بزيادات من نوع خاص- وهو ما يضفي ظلالا من الشك عليها- وقد أثار هذا انتباه المحققة فقالت في حديثها عن هذه النسخة في الدراسة: (وقد اعتبرتها النسخة الأم لأنها تخلو من التقديم والتأخير المخلين بالمعنى، وليس بها خروم ذات قيمة، بخلاف النسخ الأخرى، ولأن ناسخها كان يضبط الألفاظ الى حد كبير، غير أنه يجب أن يلاحظ أن ما بها من زيادات في حاجة إلى المراجعة الدقيقة، لاستبعاد ما علق به من عبارات مدسوسة، فقد ظهر رغم أن هذه الزيادات تؤكد بصفة عامة اتجاه السلف تصريح يخالف هذا الاتجاه، مثال ذلك ما ورد في صفحة (٨١) لتفسير الاستواء من أنه بالقهر والقدرة، فهذا تصريح لابد وأنه بيد أحد قراء المخطوط الميالين إلى الاعتزال والذين هم في نفس الوقت على جهل بحقيقة الأمور، ويؤكد هذا تعليقة بصفحة (٨٢) نصها [وهي في المطبوعة في الحاشية ص ١٢٠] ،: " قف على هذا الباب، فإن المؤلف تسامح في إيراده هذه العبارات فإنها تدل على الجهات تصريحا وعلي الجسمية ضمنا، يدل الكلام هنا على أن صاحبه

يتجه إلى التنزيه المطلق الذى يقول به المعتزلة والذي ترتب عليه نفي الصفات، على نحو ما بينا قبل ذلك، خاصة وأن الالتزام باتجاه السلف في هذه الزيادات واضح لكل فاحص مدقق.

ويلاحظ أننا لم نقع على تاريخ نسخ هذا الأصل يسبب انتهاء الميكروفيلم مباشرة بعد نهاية النص، كما أنه بدأ ببدايته، وهي بخط معتاد، وقد رمزت إليها بالحرف " س "[1] . هذا ما قالته المحققة عن هذه النسخة.

وهنا لابد من التعليق بما يلي:

١- كيف تجعل هذه النسخة هي الأصل- عند التحقيق- مع أنها مجهولة التاريخ والناسخ؟ وهل كون ناسخها يضبط الألفاظ مسوغا لذلك؟ ثم هى مخرومة الآخر فعيبها مثل عيب النسخ الأخرى، ووجود الزيادات المدسوسة تقتضي صرف النظر عنها لا جعلها أصلا ثم إدخال الزيادات في النص المحقق، على الأقل جعلها نسخة ثانوية.

٢- القول بأن هذه الزيادات كتبت بيد أحد الميالين إلى الاعتزال لا دليل عليه، بل الراجح أنه أحد متأخري الأشعرية النافين للعلو [الجهة] وللصفات الخبرية كالوجه واليدين بناء على أنها مستلزمة للتجسيم.

٣- حفلت هذه النسخة بزيادات لا تتمشي مع الإثبات الذي جاء به هذا الكتاب، خاصة في مسألة الاستواء والعلو، وإذا كانت زيادة "بالقهر والقدرة" في

---

[1] الإبانة. المقدمة (ص: ١٨٨) تحقيق فوقية حسين محمود.

تفسير الاستواء واضحة في هذا، ولذلك لم تثبتها المحققة فهناك عبارات أخري قريبة من هذه العبارة وقد انفردت بها هذه النسخة ومن ذلك:

أ- في ص ٢١ في فصل إبانة قول أهل الحق والسنة ورد في النسخ الثلاث ما يلي: " وأن الله مستو علي عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه: ٥ أما في نسخة (س) صاحبة الزيادات فجاءت العبارة هكذا:

" وأن الله تعالى استوى على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعني الذي أراده، استواء منزها عن المماسة "في المطبوعة الممارسة"، والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش، وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش، وفوق كل شيء الى تخوم الثرى، فوقية لا تزيده قربا إلي العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو علي كل شيء شهيد".

فانظر إلى الفرق بينهما، وهل هذه الزيادة متوافقة مع مذهب السلف كما تدعى المحققة؟ هل قوله "استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال " وقوله "فوقية لا تزيده قربا إلي العرش والسماء" هل هذا موافق لما يثبته السلف من صفة العلو؟ والأشعري في هذه المسألة انما قال بقول السلف خلافا لمتأخري الأشعرية.

ثم إن هذا النص المقحم منقول بحروفه من كتاب الأربعين للغزالي[١] .

ب- في ص ١٢٦- حول اثبات صفة اليدين لله تعالى ورد ما يلي تعقيبا على أحد الأحاديث:" وغرس شجرة طوبى [في المطبوعة طولى] بيده، (أى بيد قدرته سبحانه) ، فهذه العبارة الشارحة انفردت بها نسخة (س) ، دون باقى النسخ، وهو تأويل لصفة اليد بما يوافق قول متأخري الأشعرية وليس هو قول الأشعري، بل رد عليه وناقشه فيما بعد ص ١٣٠- ١٣٢، ولا شك أن هذه الزيادة مدسوسة.

ج- هناك زيادات أخرى أو نقص انفردت به هذه النسخة وهي إن لم تكن ذات بال إلا أنها تدل على ما نحن بصدده، فمثلا في ص ١٥٦ سطر ٣ ورد عبارة " وجب أن ينفي ذلك عن الله تعالى" بينما الصواب ما في النسخ الأخرى " وجب أن لا ينفى ذلك عن الله تعالى"، وفي ص ١٩٣ سطر ١٠- ١١ وردت زيادة "أعاذنا الله من ذلك" وقد انفردت بها نسخة "س" وهي عبارة زائدة مخلة بسياق الكلام إلا إذا وضعت في مكان آخر كأن تكون بعد قوله " وأجلهم".

د- وهناك فروق أخرى- ملفتة للانتباه ـ لكن شاركتها نسخة أخرى- خاصة نسخة "د"- لكنها مخالفة للنسخ المطبوعة الأخرى[٢] .

---

[١] انظر الأربعين في أصول الدين للغزالي (ص: ٧-٨) ط: دار الآفاق.

[٢] من الأمثلة على ذلك ماورد (ص: ١١٢) من الإبانة- ت فوقية- بعد إيراد حديث النزول من عبارة "نزولا يليق بذاته من غير حركة وانتقال تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا " فهذه العبارة ليست " موجودة في نسختي ك- ز، كما أنها ليست موجودة في الطبعة الهندية (ص: ٤٨) ، ولا المصرية (السلفية) (ص: ٣٨) ، ومثلها عبارة؛ في (ص: ١١٣) "استواء منزها عن الحلول والاتحاد"ليست موجودة إلا في نسخة س- د.

هذا ما يتعلق بكتاب الإبانة، نسبته إلى الأشعري، ونسخه، وقد طال الكلام حوله لأن له علاقة بما سيأتي من الكلام عن أطوار الأشعري وعقيدته ،ولو اعتمدت الدراسة علي ما في هذه الطبعة بزياداتها لصار للدراسة مسار مختلف.

٥- رسالة استحسان الخوض في علم الكلام:

وتسمي " رسالة في الرد على من ظن أن الاشتغال بالكلام بدعة" [١]، ومضمونها الرد على من زعم أن الاشتغال بعلم الكلام والمصطلحات الحادثة بدعة لم تكن في زمن النبي - صلى الله عليه السلام - وأصحابه رضي الله عنهم-

وقد طبعت هذه الرسالة مرتين[٢] ، وقد شكك بعض الباحثين في نسبتها إلى الأشعري[٣] ، لكن الرسالة مروية بالإسناد، ولها نسخة خطية، كما أن هناك تشابها في بعض العبارات مع اللمع الثابت نسبته الى الأشعري [٤] ، ولعلها هي المقصودة برسالة الحث على البحث التي ذكرها ابن عساكر [٥] ، ولا يمنع أن تكون من مؤلفات الأشعري الأولى.

---

[١] انظر: تاريخ التراث، سزكين (م١ ب ٤ ص ٣٨) .

[٢] طبعت في الهند- حيدرأباد- سنة ١٣٢٣ هـ، ومرة ثانية سنة ١٣٤٤ هـ، ثم طبعها على هذه الطبعة مكارثي مع كتاب اللمع سنة ١٩٥٢ م، المطبعة الكاثوليكية بيروت.

[٣] منهم عبد الرحمن بدوى في مذاهب الإسلاميين (٥١٩/١- ا ٥٢) ومحققة الابانة (ص: ٧٢-٧٤) من الدراسة، وأحالت على كتاب لها تحت الطبع بعنوان " كتب منسوبة للأشعري".

[٤] قارن مثلا بين اللمع ورسالة استحسان الخوض- في طبعة مكارثي التي جمعت بين الكتابين - (ص: ٩٠- سطر ١٠) ومابعده من اللمع، وأيضا (ص: ٩٢ سطر ١٥) ومابعده من الاستحسان بصفحة (٧ سطر ١٣) من اللمع.

[٥] التبيين (ص: ١٣٦) .

٦- رسالة في الايمان- في ورقتين-، حققها شبيتا [١] .

٧- العمد في الرؤية: وصلت قطعة صغيرة منه ذكرها ابن عساكر وفيها ذكر الأشعري أسماء مؤلفاته [٢] .

٨- كتاب تفسير القرآن: رد فيه على شيخه الجبائي، وعلى البلخي، وقد وصلت قطعة منه أثبتها ابن عساكر [٣]، وقد سماه أبو بكر بن العربي بالمختزن [٤]فقال: "وانتدب أبو الحسن الى كتاب الله فشرحه في خمسمائة مجلد وسماه بالمختزن، فمنه أخذ الناس كتبهم ومنه [في المطبوعة ومنهم] أخذ عبد الجبار الهمذاني كتابه في تفسير القرآن الذي سماه بالمحيط في مائة سفر قرأته في خزانة المدرسة النظامية بمدينة السلام [ثم ذكر قصة إحراق نسخة تفسير الأشعري، ثم قال:] ففقدت بين أيدي الناس إلا أني رأيت الأستاذ الزاهد الإمام أبا بكر ابن فورك يحكي عنه، فلا أدري وقع على بعضه أم أخذه من أفواه الرجال" [٥] .

---

[١] انظر: تاريخ التراث، سزكين (م١ ب ٤ ص ٣٨) .

[٢] التبيين (ص: ١٢٩-١٣٤) .

[٣] المصدر السابق (ص: ١٣٧ -١٣٩) .

[٤] ذكر ابن عساكر في التبيين (ص: ١١٧) أن الأشعري ألف في القرآن كتابه الملقب بالمختزن، وانه بلغ فيه سورة الكهف، لكن نقل في (ص: ١٣٣) عن الأشعري أنه قال في الحمد:"وألفنا كتابا في ضروب من الكلام سميناه: المختزن، ذكرنا فيه مسائل للمخالفين لم يسألونا عنها ولا سطروها في كتبهم ولم يتجهوا للسؤال وأجبنا عنها بما وفقنا الله تعالى له"، فهل هما كتابان مختلفان اسمهما واحد، أم أن الأشعري قال في تفسيره: انه في ضروب من الكلام لغلبة هذه المسائل عليه، ولذلك قال أبو بكر بن العربي منه أخذ الناس كتبهم " لعل هذا أرجح "والله أعلم.

[٥] العواصم من القواصم (ص: ٩٧-٩٨) - ت عمار طالبي- كما ذكره في قانون التأويل (ص:٤٥٦) .

هذه مؤلفات الأشعري التي وصلت الينا، وهي قليلة جدا بالنسبة لمؤلفاته الكثيرة التي عرفت أسماؤها، وقد وصلت بعض أقوال الأشعري عن طريق مصادر أخرى نسبت بعض الأقوال إليه ومن أهمها كتب الأشاعرة أمثال: الجويني، والبغدادي، والشهرستاني، والرازي، إلا أن هناك كتابا لابن فورك حاول فيه أن يجرد مقالات أبي الحسن الأشعري معتمدا علي مجموعة كبيرة من كتبه أكثرها لم يصل الينا، ولأهمية هذا الكتاب بالنسبة لأقوال الأشعري نذكر نبذه عنه في هذا المكان: كتاب ابن فورك هذا اسمه " مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري" [1]، وكان مخطوطا ثم طبع هذا العام ١٩٨٧ م بتحقيق دانيال جيماريه، وقد اعتمد ابن فورك في كتابه على كتب الأشعري التالية:

الادراك، الأصول الكبير، الإيضاح، التفسير، الرد على البلخي في أدب الجدل، الرؤية الكبير، زيادات النوادر، الصفات الكبير، العمد، في أدب الجدل، في أصول الفقه، في أفعال النبي، في الإمامة، اللمع، المختزن، المختصر في التوحيد والقدر، المسائل المنثورة، مسألة في الاجتهاد، مسألة تعريف عجز المعتزلة عن جواب الجسمية، مسألة العجز، المعرفة، المقالات، الموجز، نقض الاستطاعة على الجبائي، النقض على ابن الرواندي في الصفات، النقض على أصول الجبائي،

---

[1] في المخطوطة التي فيها ذكر اسم مؤلف الكتاب والموجودة في مكتبة عارف حكمة، كتب اسم المملى لهذا الكتاب " الشيخ الإمام أبي بكر محمد بن المبارك، وقد رجح المحقق بأدلة ذكرها أنه ابن فورك، انظر: المقدمة (ص: ٣-٤) ، ويؤيد ذلك أن ابن فورك ذكر ذلك فقال:"وكان ذلك على اثر ماجمعت من متفرق مقالات شيخنا الأشعري " (درء التعارض ٦/١٢١) .

النقض على أوائل الأدلة للبلخى، النقض على الجبائي والبلخي، نقض اللطيف على الإسكافي، النوادر [١].

فهذه ٣٢ كتابا من مؤلفات الأشعري اعتمد عليها ابن فورك ونقل عنها، وكان من المفترض أن يكون هذا المجرد من أهم الكتب التي تدل على أقوال الأشعري خاصة في مؤلفاته المفقودة- وهي كثيرة- الا أن منهج ابن فورك في كتابه هذا وطريقته في النقل لم تسلم من ملاحظة جوهرية تؤثر على قيمة الكتاب إلى حد كبير.

يقول ابن فورك في المقدمة: " أما بعد، فقد وقفت على ما سألتم أسعدكم الله بطاعته من شدة حاجتكم إلى الوقوف على أصول مذاهب شيخنا أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري- رضي الله عنهـ، وما تبنى عليه أدلته وحججه على المخالفين، وأن أجمع لكم منها متفرقها في كتبه ما يوجد منها منصوصا له، ومالا يوجد منصوصا له أجبنا فيه على حسب ما يليق بأصوله وقواعده، وأعرفكم مع ذلك ما اختلف قوله فيه في كتبه، وما قطع به منهما، ومالم يقطع بأحدهما، ورأينا أن أحدهما أولي بمذهبه وأليق بأصوله فنبهنا عليه" [٢] ، ويوضح أكثر في الخاتمة فيقول: " وقد كنا شرطنا في أول الكتاب أنا نذكر ما وجدنا عنه فيه نصا منه عليه في كتاب له معروف وننسبه الى ذلك الكتاب إذا لم يكن ذلك من المشهور الذى لا يحتاج الي ذكره الحكاية عنه لشهرته وإن لم نجد عنه فيه نصا عليه ووجدنا أصوله تشهد بذلك وقواعده عليه تبني نسبناه إليه على هذا الوجه، وما وجدنا له معنى ما

---

[١] اعتمدت في هذا التعداد فهرس كتب الأشعري المذكورة في المتن للمجرد (ص: ٣٦١-٣٦٢)

[٢] مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري (ص: ٩) .

حكيناه عنه أضفناه إليه على أنه معنى مذهبه، وقلنا في جميع ذلك: انه كان يقول كذا وكذا، وتفصيل ذلك على الوجه الذي بينا، وطريقنا في نسبة ذلك إليه من جهة القول ومن طريق أنه قال جارية على الرسم الذى كشفنا عنه"[1] .

ومن هذين النصين يتبين منهجه في كتابه، وكيف أنه أجاز لنفسه أن ينسب اليه مالم يقله، ويقول- لأنه يرى أنه جار على أصول مذهبه:- إنه كان يقول كذا وكذا، فما الذي يميز نصوص الأشعري عن نصوص ابن فورك التي أدخلها، وكيف ينسب الانسان إلى الأشعري قولا من هذا الكتاب ومؤلفه نهج فيه هذا النهج؟ لو أن ابن فورك نقل نصوص الأشعري من كتبه ثم أضاف أو علق، وميز هذا من هذا لكانت للكتاب مكانة وأهمية لا تقدر.

وحتى لا يصبح الكلام نظريا، وحتى يتبين مستوي التغيير الذى أحدثه ابن فورك في أقوال الأشعري، نضرب لذلك بأمثلة مما نقله من كتبه الموجودة ين أيدينا:

أ- يقول ابن فورك في المجرد- في مسألة رؤية الله ـ: "وحكى في كتاب المقالات عن رقبة بن مصقلة وسليمان التيمي أنه قال: " رأيت الله تعالى في النوم فقال لي: اكرمت مثوى سليمان التيمي" [2] .

---

[1] مجرد مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري (ص: ٣٣٨-٣٣٩) .

[2] المصدر السابق (ص ٨٧٠) .

لكن عبارة الأشعري في المقالات هكذا: " وروى عن رقبة بن مصقلة أنه قال: رأيت رب العزة في النوم فقال: لأكرمن مثواه، يعني سليمان التيمي، صلي الفجر بطهر العشاء أربعين سنة" [١] . ومن يدقق يجد فروقا كثيرة.

ب- ذكر ابن فورك في كتابه هذا في مسألة القدرة المحدثة وهل تخلو عن العلم في اكتساب الفعل المحكم بها، فذكر أن الأشعري اختلف جوابه، وأنه ذكر في بعض كتبه أن ذلك سائغ، ثم قال: " وهو ما ذكره في كتاب اللمع" في قوله: " ولو وجدت قدرة الحياكة مع عدم الإحسان لها لوجدت مع قدرتها لا محالة" [٢] .

وعند الرجوع إلى اللمع نجد العبارة مختلفة، ولتوضيح المعنى نذكر النص كاملا ونشير الي العبارة التي نقلها ابن فورك، يقول الأشعري في الكلام عن الاستطاعة:" فإن قالوا: إذا كان في عدم الإحسان للحياكة عدم الحياكة، فلم لا يكون في وجود الإحسان لها وجودها؟ قيل: إن الحياكة تعدم لعدم قدرتها لا لعدم إحسانها، ولو عدمت الحياكة لعدم الإحسان لها لوجدت بوجود الإحسان لها. فلما لم يكن ذلك كذلك، وكان الإحسان لها يجامعه العجز علم أنها إنما تعدم لعدم القدرة عليها، [ولو أجرى الله تعالى العادة أن يخلق القدرة عليها مع عدم الإحسان لها لوقعت القدرة عليها لا محالة] " [٣] ، والعبارة- الأخيرة هي العبارة التي نقلها ابن فورك، ويلاحظ ما بينهما من فرق، إذ عبارة اللمع تربطها بإجراء الله العادة.

---

[١] مقالات الإسلاميين (ص: ٢١٤) - ت ريتر، (٢٦٣/١) - ت محمد محيي الدين عبد الحميد.

[٢] المجرد (ص: ٩٣) .

[٣] اللمع (ص: ٥٧) - ت مكارثي، (وص: ٩٨) - ت غرابة.

ج- ذكر في المجرد عبارة حول العلم [١]، وحين تبحث عن العبارة في الكتاب المنقول عنه وهو اللمع تجد أول العبارة ولا تجد باقيها[٢].

فهذه المقارنات تدل على أن حكاية ابن فورك لأقوال الأشعري لا تؤخذ قضية مسلمة على أنها عبارته وكلامه، خاصة وأن المسائل التي ذكرها في كتابه هذا- مما لا يوجد في كتب الأشعري المطبوعة- كثيرة جدا، سواء في جليل المسائل أو دقيقها، ولعل المقارنة بين هذا الكتاب، ما يذكره الأشعري في كتبه المطبوعة، أو ما ينسبه اليه من ينقل أقوال الأشعري من بقية علماء الأشعرية كالجويني، والبغدادى والشهرستاني والرازي، تؤدى إلى استخلاص فائدة علمية من هذا الكتاب.

وهذا الكتاب يعطي مضمون ما في كتب الأشعري الكلامية التي لم تصل إلينا، وكيف أنه خاض في كثير من المسائل على منهج المتكلمين، وذلك حين خاض في قضايا كثيرة من دقيق المسائل التي نجدها عند بعض علماء الأشعرية كالشهرستاني والجويني والرازي والآمدي وغيرهم.

---

[١] انظر المجرد (ص: ٢٦٧) سطر ١٣-١٤.

[٢] قارن المصدر السابق- نفس الصفحة باللمع (ص: ١٢) سطر ١٧- ت مكارثي

سابعا: أطوار حياته العقدية

مر الشيخ أبو الحسن الأشعري في حياته بأطوار، منها ما هو متفق عليه بين العلماء والمترجمين له، ومنها ما وقع حوله خلاف، وقد شغل الناس قديما وحديثا في هذا الأمر، ولا شك أن التطور الذي حدث لمذهب الأشعرية- بعد الأشعري- كان من أسباب طرق هذا الموضوع الذي يتصل بمؤسسه ومن ينتسبون إليه؛ وذلك من خلال علاقته ودوره في هذا التطور الذي حدث للمذهب الأشعري، وشيء آخر وهو محاولة الدفاع عن هذا المذهب من خلال بيان سلامة عقيدة من ينتسبون إليه ورجوعه إلى مذهب السلف.

والملاحظ أن بعضا ممن كتب عن الأشعري وتطرق لهذا الموضوع لم يتجرد من مغالبة الهوي والميل مع أو ضد الأشعري، فجاء كلامه وأسلوبه متضمنا للمدح أو الذم، ومع ذلك فهناك من حاول الإنصاف، ووضع الأمر موضعه الصحيح، والتوفيق بيد الله سبحانه وتعالى.

وسيكون الكلام حول هذا الموضوع من خلال ما يلي:

أ- طور الأشعري الأول، المتفق عليه.

ب- رجوعه عن الاعتزال وتاريخه وأسبابه.

ب- مذهب الأشعري بعد رجوعه: هل كان طورا واحدا أو طورين؟.

أ- طور الأشعري الأول (مرحلة الاعتزال) :

لم يشك أحد في أن الأشعري نشأ على مذهب المعتزلة، وأنه أقام علي ذلك فترة طويلة من الزمن، وليس أدل على ذلك من اعترافه هو حين قال فى كتابه " العمد" يعدد مؤلفاته: " وألفنا كتابا كبيرا في الصفات [وهو أكبر كتبه] سميناه كتاب: الجوابات في الصفات عن مسائل أهل الزيغ والشبهات، نقضنا فيه كتابا كنا ألفناه قديما فيها على تصحيح مذهب المعتزلة، لم يؤلف لهم كتاب مثله، ثم أبان الله سبحانه لنا الحق فرجعنا عنه فنقضناه وأوضحنا بطلانه" [١] ، وفي هذا النص نلمح المستوى الذى وصل إليه في مرحلة الاعتزال، وكيف أنه صار يؤلف الكتب على مذهبهم، بل إن هذا الكتاب المنقوض يذكر أنه لم يؤلف للمعتزلة مثله.

أما المصادر التي ترجمت له فتذكر ذلك، فابن النديم يقول: " ابن أبي بشر وهو أبو الحسن على بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري من أهل البصرة، وكان أولا معتزليا ثم تاب من القول بالعدل وخلق القرآن في المسجد الجامع بالبصرة في يوم الجمعة" [٢] .

---

[١] التبيين (ص:١٣١) .

[٢] الفهرست (ص: ٢٣١) - ط طهران.

ويذكر السجزي [١] المتوفي سنة ٤٤٤ هـ في رسالته إلى أهل زبيد المسماة: " الرد على من أنكر الحرف والصوت "رواية عن خلف المعلم[٢] – المتوفي سنة ٣٧١ هـ– من فقهاء المالكية أنه قال: "أقام الأشعري أربعين سنة على الاعتزال، ثم أظهر التوبة، فرجع عن الفروع وثبت على الأصول" [٣] ، أي أصول المعتزلة التي بنوا عليها نفي الصفات، مثل دليل الاعراض وغيره.ويذكر ابن عساكر أن أبا القاسم حجاج بن محمد الطرابلسي قال:

"سألت أبا بكر إسماعيل بن أبي إسحاق الأزدي القيرواني المعروف بابن عزرة [٤] –رحمه الله– عن أبي الحسن الأشعري–رحمه الله– فقلت له: قيل لى عنه: أنه كان معتزليا، وأنه لما رجع عن ذلك أبقي للمعتزلة نكتا لم ينقضها، فقال لي: الأشعري شيخنا وإمامنا ومن عليه معولنا، قام على مذاهب المعتزلة أربعين سنة، وكان لهم إماما، ثم غاب عن الناس فى بيته خمسة عشر يوما، فبعد ذلك خرج الى الجامع فصعد المنبر....." [٥]وذكر قصته.

---

[١] هو: الإمام الحافظ أبو نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوايلي السجزي، انظر الأكمال (٣٩٧/٧) ، والأنساب (٢٧٩/١٣) ، والتمييز والفصل لإسماعيل بن باطيش (ص: ٧٥٨) .

[٢] اسمه خلف بن عمر، وقيل عثمان بن عمر، وقيل عثمان بن خلف، ويعرف بابن أخي هشام الربعي، من أهل القيروان، اختلف في وفاته فقيل ٣٧١ هـ وقيل ٣٧٣ هـ، ترتيب المدارك (٢١٠/٦) ، ومعالم الإيمان (٩٩/٣)

[٣] الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ١٦٨)

[٤] هكذا في التبيين لابن عساكر، والذى ترتيب المدارك بن عذرة، وذكر المحقق في الحاشية إن في احدى النسخ عزرة كما في التبيين، وهو فقيه من أصحاب ابن أبي زيد القيرواني وطبقته، رحل الى المشرق ولقي ابن مجاهد الطائي المتكلم– تلميذ الأشعري– وأخذ عنه وعن غيره، لم يذكر له تاريخ ولادة ولا وفاة، ترتيب المدارك (٢٧٤/٧) .

[٥] التبيين (ص: ٣٩) .

ومما ينبغي ملاحظته أن بداية نبوغه وطلبه للعلم قد لا تكون بدأت على مذهب المعتزلة، لأن أباهـ الذي لا يعرف متى كانت وفاتهـ قد أوصى بولده إلى الساجي الإمام المحدث، ومن المحتمل أن يكون قد تتلمذ عليه وعلى أمثاله من العلماء فترة، إلى أن تحول إلى مذهب الاعتزال على يد الجبائي، ويذكر بعض مترجمي الأشعري سببا وجيها لهذه الصلة القوية بينه وبين الجبائي، وذلك حين يذكرون أن الجبائي تزوج بأمه[1] ، وبذلك صار الأشعري ربيبا عنده ، خاصة إذا كان هذا الزواج في حياة الأشعري المبكرة، حيث يكون التأثير أقوى، والتتلمذ على يد علماء السنة- إن حصل- لم يكن قد بلغ مرحلة النضج والاستقلال.

وعلى أي حال فمما لا خلاف فيه أن الأشعري تتلمذ على يد الجبائي المعتزلي فمن الجبائي وما أهم آرائه؟.

الجبائي هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمران بن أبان، مولي عثمان بن عفان- رضى الله عنهـ، الجبائي [2] البصري، ولد سنة ٢٣٤- أو- ٢٣٥ هـ ودرس الاعتزال على شيخ المعتزلة أبي يعقوب يوسف ابن عبد الله الشحام الذى انتهت عليه رئاسة المعتزلة في البصرة، ولما توفي الشحام سنة ٢٦٧ هـ تبوأ مكانه في رئاسة المعتزلة تلميذه أبو على الجبائي، الذي عده ابن المرتضي على

---

[1] انظر: المختصر لأبي الفداء (٩٠/٢) ، وتاريخ ابن الوردي (٤١٠/١) ، والوافي للصفدي (٧٤/٤) ، وخطط المقريزي (٣٥٩/٢) - ط بولاق.

[2] نسبة الى "جبي"بلد من أعمال خوزستان (الأهواز) قريبة من البصرة وليست من أعمالها،انظر كتاب الأقاليم للإصطخرى- المخطوط- (ص: ٥٤) ، والروض المعطار (ص: ١٥٦) ، ومعجم البلدان (٩٧/٢) ، وكلهم ذكر أبا علي الجبائي ونسبته اليها.

رأس الطبقة الثامنة من طبقات المعتزلة [١] ، وبقي أبو علي ينافح عن مذهب المعتزلة ويرد على من خالفه من المعتزلة وغيرهم، فكان ممن رد عليه أبو الحسن الخياط، والصالحي والجاحظ والنظام وغيرهم من المعتزلة، كما رد على تلميذه أبي الحسن الأشعري الذى كانت له أيضا كتب كثيرة في الرد كل من شيخه الجبائي، ولم يصل إلينا شيء من كتبه، وآراؤه مبثوثه في كتب المقالات - وأهمها كتاب الأشعري- وفى كتب المعتزلة وأهمها كتب عبد الجبار الهمذاني. ومن أبرز تلاميذ الجبائي أبو الحسن الأشعري- الذى ترك الاعتزال- وابنه أبو هاشم الجبائي الذى صار إماما للمعتزلة بعد والده، وقد توفي أبو على الجبائي سنة ٣٠٣ هـ[٢].

وأهم ما يلاحظ في حياة الجبائي أنه عاش في فترة انحسار الاعتزال، التي بدأت في عهد المتوكل- تولي الخلافة سنة ٢٣٢ هـ-، حين أبطل ما دعا إليه من قبله من الخلفاء من محاربة أهل السنة والدعوة إلي مذهب المعتزلة من القول بخلق القرآن وغيره، والإمام أحمد الذى نصر الله به أهل السنة توفي في أول حياة الجبائي سنة ٢٤١ هـ.

ومع ذلك فلم يصل الأمر الى منع دراسة وتدريس الجدل وعلم الكلام، وإنما أبطل المتوكل ما تبنته الدولة من نصرة المعتزلة وفرض مذهبهم على الناس،

---

[١] انظر: كتاب المنية والأمل، تحقيق محمد جواد مشكور (ص: ١٧٠) .

[٢] انظر ترجمته فى: الأنساب (١٧٦/٣) ، والمنتظم (١٣٧/٦) ، ووفيات الأعيان (٢٦٧/٤) ، وسير أعلام النبلاء (١٨٣/١٤) ، والوافي (٤/ ٧٤) ، والبداية والنهاية (١٢٥/١١) ،وطبقات المفسرين للداودى (١٨٩/٢) ، ولسان الميزان (٥/ ٢٧١) ، والمنية والأمل (ص:١٧٠) ، والفرق بين الفرق (ص: ١٨٣) ، والملل والنحل للبغدادي (ص:١٢٨) ، والتبصير بالدين (ص:٧٩) ، والملل والنحل للشهرستاني (٧٨/١) ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص: ٤٣) ،- ت النشار-، و (ص: ٣٥) مع المرشد الأمين.

ولذلك بقيت بعض المساجد في البصرة وبغداد وغيرها يتولى التدريس فيها أو في بعض حلقاتها بعض المعتزلة [١] .

وقد سبق في بيان أحوال عصر الأشعري؛ أنه في عام ٢٧٩ هـ صدر الأمر بمنع الوراقين من بيع كتب الفلسفة والكلام ، وقد استمر هذا الانحسار بالنسبة للمعتزلة إلى مجيء البويهيين الذين دخلوا بغداد سنة ٣٣٤ هـ، ومالوا إلى التشيع والاعتزال.

في هذه الفترة عاش الجبائي، وتزعم حركة الاعتزال بعد شيخه الشحام، واستطاع بتبنيه لمذهب شيوخه، وبآرائه التجديدية في مذهب الاعتزال أن يكون له طائفة أو فرقة سميت بالجبائية.

ومن الملفت للنظر حقا أن يكون رجوع الأشعري عن الاعتزال في هذه الفترة التي انحسر فيها مذهب المعتزلة، فكيف يفسر هذا الفرح العظيم لأهل السنة؟ هل كان الجدل بين أهل السنة والمعتزلة في تلك الفترة قويا دون أن يبرز على السطح، أم أن الصراع الذي تلا هذه الفترة حين ظهرت للمعتزلة مكانة وسلطة في عهد البويهيين جعلت علماء السنة يستعيدون الأحداث السابقة التي تدعم مواقفهم ومنها قصة الأشعري؟. فصاروا ينشرونها ويؤلفون حولها.

أما أهم آراء أبي علي الجبائي، فهي مبنية على مذهب المعتزلة القائم على أصولهم الخمسة، ومع أن الجبائي يعتبر إماما للمعتزلة في زمانه الا أنه انفرد بآراء

---

[١] انظر: الجبائيان (ص:٦٦)

تستوقف الناظر، ولن نتعرض لجميع آرائه فقد كتبت حولها مع آراء ابنه أبي هاشم رسالة علمية [١] ، ولكن نذكر منها ما يلفت النظر ويعين على فهم الأجواء التي عاشها الأشعري في فترة تتلمذه عليه:

١- في مسألة كلام الله، قال بقول المعتزلة: أنه مخلوق، لكنه أتى برأي جديد وهو قوله: " إن الله تعالى يحدث عند قراءة كل قارئ كلاما لنفسه في محل القراءة"[٢] ، وقوله " كلام الله يوجد مع قراءة كل قارئ ، ثم الكلام عنده حروف تقارن الأصوات المتقطعة على مخارج الحروف، وليست هي أصواتا"[٣] وقوله "إذا اجتمع طائفة من القراء على تلاوة آية، فيوجد بكل واحد منهم كلام الله، والموجود بالكلام كلام واحد" [٤] ، فهل كان قوله: إن الله يحدث عند قراءة كل قارئ كلاما لنفسه، وقوله إن الكلام بلا أصوات يقرب من الكلام النفسي الذى قال به الأشعرية [٥] ؟.، ومما يلاحظ أن الأشعري شنعوا عليه في قوله: إن الصوت كامن في الحروف في المصاحف، وقد علق ابن المرتضي على ذلك بقوله: " فالشيخ أبو على خاف ما خاف أهل الأثر في المرتبة الأولى من الكفر في مخالفة السمع، فتكلف مخالفة المعقول في كون الصوت في الحروف المكتوبة، وفي إحداث صوت

---

[١] بعنوان: الجبائيان أبو على وأبو هاشم، تأليف على فهمي خشيم، حصل عليها من جامعة عين شمس بمصر، كلية الآداب بإشراف محمد عبد الهادى أبو ريدة، وقد طبعت في ليبيا- دار الفكر سنة ١٩٦٨. م- ويظهر الباحث تعاطفه الشديد معهم وقد قال في المقدمة (ص: هـ) " كان المعتزلة استولوا على عقلي بعقلهم منذ زمن بعيد".

[٢] الملل والنحل للشهرستاني (٨١/١) .

[٣] الإرشاد للجويني (ص: ١٢٣) .

[٤] السابق نفسه .

[٥] انظر: الجبائيان (ص: ١١٧) .

من الله مع صوت كل قارئ، حتى يكون السامع لكل قارئ سامعا لكلام الله على الحقيقة كما سمعه موسى عليه السلام "[١] .

٢- وهو ينكر الرؤية لكنه لا يكفر من أثبتها كما يقول المعتزلة[٢] .

٣- من أصول المعتزلة إنفاذ الوعيد وأن أهل الكبائر لابد أن يخلدوا في النار وقد قال الجبائي بذلك، لكنه قال بأنه يجوز على الله العفو وهذا مخالف لسائر المعتزلة، يقول الأشعري عن المعتزلة: "واختلفوا هل كان في العقل يجوز أن يغفر الله لعبده ذنبا ويعذب غيره على مثله، أم لا على مقالتين: فأجاز ذلك بعضهم وهو الجبائي، وأنكره أكثرهم "[٣] .

٤- يرى أن العلة لا توجب معلولها، والسبب لا يجوز أن يكون موجبا للمسبب، ومعلوم أن أكثر المعتزلة يقولون: ان الأسباب موجبة لمسبباتها[٤] ، والجبائي "يصف ربه بالقدرة على أن يجمع بين النار والقطن ولا يخلق إحراقا وأن يسكن الحجر في الجو فيكون ساكنا لا على عمد من تحته، واذا جمع بين النار

---

[١] إشار الحق عل الخلق (ص: ٣١٩) - رسالة محققة في جامعة الإمام، ت أحمد مصطفي حسين صالح. وهو في الطبعة الأولى (ص: ١٢٥) .

[٢] انظر: شرح الأصول الخمسة (ص:٢٧٥) .

[٣] مقالات الإسلاميين (ص:٢٧٦) - ريتر-، ويرى الجبائي: أن الفاسق الملى مؤمن من أسماء اللغة بما فعله من الإيمان، وهذا مخالف لسائر المعتزلة الذين يقولون: إن الفاسق في منزلة بين المنزلتين، بل زعم الجبائي أن في اليهودي إيمانا نسميه به مؤمنا مسلما من أسماء اللغة، انظر: المقالات (ص:٢٦٩) ، فهل الجبائي يقرب هنا من أقوال المرجئة؟.

[٤] انظر: المقالات (ص: ٤١٢- ٤١٣) .

والقطن فعل ما ينفي الا حراق وسكن النار فلم تدخل بين أجزاء القطن فلم يوجد إحراق" [١] .

فهذا القول يقرب مما أخذ به الأشعرية من إنكار الأسباب[٢]

٥- وفي الكسب كان له رأي متميز عن المعتزلة، يقول الأشعري:

" واختلف الناس في معني مكتسب، فقال قوم من المعتزلة: معناه أن الفاعل فعل بآلة وبجارحة وبقوة مخترعة، وقال الجبائي: معني المكتسب هو الذي يكتسب نفعا أو ضررا أو خيرا أو شرا، أو يكون اكتسابه للمكتسب غيره كاكتسابه للأموال وما أشبه ذلك واكتسابه للمال غيره، والمال هو الكسب له في الحقيقة وإن لم يكن له فعلا، قال الأشعري: والحق عندي أن معني الاكتساب هو أن يقع الشيء بقدرة محدثة فيكون كسبا لمن وقع بقدرته" [٣] .

وقد خالف الجبائي سائر المعتزلة في معنى أن الله خالق [٤] ، بل وقال: إن الله " لا يقدر على عين فعل العبد بدليل التمانع ... "[٥].

---

[١] مقالات الإسلاميين (ص:٥٧٠) .

[٢] انظر: الجبائيان (ص:١٧٢) .

[٣] المقالات (ص: ٥٤٢) .

[٤] انظر: المصدر السابق (ص: ٥٣٩) .

[٥] المواقف (ص: ٢٨٤) ، ومع شرحه (٦٤/٨) ، وقد شرح الإيجي معنى التمانع هنا على رأي الجبائي بأنه "لو أراد الله تعالى فعلا، وأراد العبد عدمه، لزم اما وقوعهما فيجتمع النقيضان أو لا وقوعهما فيرتفع النقيضان، أو وقوع أحدهما فلا قدرة للآخر، لايقال يقع مقدور الله لأن قدرته أعم، لأنا نقول معنى كون قدرته أعم تعلقها بغير هذا المقدور ولا أثر له في هذا المقدور، فهما في هذا المقدور سواء".

٦- وقوله في إرادة العبد خالف فيه سائر المعتزلة، يقول الأشعري: " وأجمعت المعتزلة إلا الجبائي أن الإنسان يريد أن يفعل ويقصد إلى أن يفعل، وإن إرادته لأن يفعل لا تكون مع مراده ولا تكون إلا متقدمة للمراد، وزعم الجبائي: أن الإنسان إنما يقصد الفعل في حال كونه، وأن القصد لكون الفعل لا يتقدم الفعل، وأن الإنسان لا يوصف بأنه في الحقيقة مريد أن يفعل، وزعم أن إرادة البارئ مع مراده"[١] .

٧- قوله بالشريعة العقلية، يقول الشهرستاني عنه وعن ابنه أبي هاشم:" وأثبتا شريعة عقلية وردا الشريعة النبوية الى مقدرات الأحكام ومؤقتات الطاعة التي لا يتطرق اليها عقل ولا يهتدى اليها فكر، وبمقتضي العقل والحكمة يجب على الحكيم ثواب المطيع وعقاب العاصي، إلا أن التأقيت والتخليد فيه يعرف بالسمع "[٢] ، وهذا كلام خطير يدل على مقدار النبوة عند هؤلاء، فالصلاة تجب بالعقل، لكن توقيتها فجرا وظهرا وعصرا يعرف عن طريق النبي، فالنبي جاء بالحكم الوضعي دون الحكم التكليفي، وهذا القول- لشناعته- يظهر أن الجبائي لم يسطره في كتاب ولم يكن مذهبا مصرحا به عنده كما يقول عبد الجبار الهمذاني[٣] ، وهذه عادة الجبائي[٤] .

---

[١] مقالات الإسلاميين (ص:٤١٨) .

[٢] الملل والنحل للشهرستاني (٨١/١) .

[٣] انظر: المجموع المحيط بالتكليف (ج:٣،ص:١٩٥) و مخطوط- عن الجبائيان (ص:٢٧٦) .

[٤] انظر: الجبائيان (ص:٢٧٦) مع الحواشي.

٨- ومن الأمور المثيرة والتي قال بها الجبائي قولهـ على مذهبهـ إن بغداد- في عهدهـ دار كفر، يقول الأشعري: "واختلفوا هل الدار دار إيمان أم لا؟ فقال اكثر المعتزلة والمرجئة: الدار دار إيمان، وقالت الخوارج من الأزارقة والصفرية: هي دار كفر وشرك، وقالت الزيدية: هي دار كفر نعمة، وقال جعفر بن مبشر ومن وافقه هي دار فسق. وقال الجبائي: كل دار لا يمكن فيها أحد أن يقيم بها أو يجتاز بها إلا بإظهار ضرب من الكفر، أو بإظهار الرضي بشيء من الكفر، وترك الإنكار له فهي دار كفر، وكل دار أمكن القيام بها والاجتياز بها من غير اظهار ضرب من الكفر أو إظهار الرضي بشيء من الكفر وترك الإنكار له فهي دار إيمان"، ويعلق الأشعري على رأى الجبائي قائلا:" وبغداد على قياس الجبائي دار كفر لا يمكن المقام بها عنده الا بإظهار الكفر الذي هو عنده كفر أو الرضي، كنحو القول إن القرآن غير مخلوق، وأن الله سبحانه وتعالى لم يزل متكلما به، وأن الله سبحانه أراد المعاصي وخلقها، لأن هذا كله عنده كفر، وكذلك القول في مصر وغيرها على قياس قوله، وفي سائر أمصار المسلمين، وهذا هو القول بأن دار الإسلام دار كفر ومعاذ الله من ذلك" [١] .

٩- ومن أقواله العجيبة أيضا رأيه في النبوة، يقول الأشعري: " واختلفوا في النبوة هل هي ثواب أو ابتداء، فقال قائلون: هي ابتداء، وقال قائلون: هي جزاء على عمل الأنبياء، هذا قول عباد، وقال الجبائي: يجوز أن تكون ابتداء" [٢] ، فهل

---

[١] مقالات الإسلاميين (ص:٤٦٣- ٤٦٤) .

[٢] مقالات الإسلاميين (ص:٤٤٨) .

قوله يجوز أن تكون النبوة ابتداء فيه ميل إلى أولئك الذين يقولون: إن النبوة قد تكون مكتسبة؟.

١٠- والجبائي كان يتوقف في المفاضلة بين علي وأبي بكر- رضي الله عنهما- ،[١] ثم مال أخيرا إلى تفضيل على، وألف كتابا لعباد بن سليمان في تفضيل أبي بكر[٢] ، ويروي أن الجبائي هم أن يجمع بين المعتزلة والشيعة [٣] .

١١- أما موقفه من السنة فهو موقف باقي المعتزلة، وقد أورد بعض مترجميه أن أحدهم سأله عن حديث في الاحكام ورد بإسناد فقبله، ولما أورد نفس هذا الإسناد في حديث حجاج آدم وموسى رده [٤] .

هذه أهم آراء الجبائي- البارزة- مع ملاحظة أنه يتبني مذهب المعتزلة ويقول بأقوالهم، فهل كان لهذه الأقوال والتناقضات أثر في موقف الأشعري ورجوعه عن مذهب الاعتزال؟ إن أقوال وحياة الجبائي يلاحظ فيها ما يلي:

أ- خروجه عن بعض آراء أهل الاعتزال، قد يكون أحيانا خروجا على إجماعهم.

ب- شناعة بعض أقواله: كقوله بالشريعة العقلية، أو دار الكفر، أو أن النبوة يجوز أن تكون ابتداء.

---

[١] انظر: المصدر السابق (ص:٤٥٨-٤٥٩) .

[٢] انظر: المنية والأمل (ص:١٧١-١٧٢) ، ت مشكور.

[٣] انظر: الجبائيان (ص:٢٩٤) .

[٤] انظر: المنية والأمل (ص:١٧١) .

ج- عدم تصريحه ببعض آرائه ومواقفه، ولعل الأشعري الذي كان قريبا منه مطلع عليها كلها، وحين نعلم أن الجبائي قد تعرض لمصادرة أمواله، وأن شيخه الشحام كان مقدما عند قائد الزنج، الذين أثاروا فتنة عظيمة [١] ، وأن ذلك كان وقت أفول نجم المعتزلة، فلا يستبعد أن تكون له بعض المواقف. والله أعلم.

هذه مرحلة الأشعري الأولى، وقد تبوأ فيها مكانة عالية خاصة عند شيخه الجبائي، الذى كان ينيبه في بعض مناظراته، يقول ابن عساكر- عن العسكرى-: " كان الأشعري تلميذ الجبائي يدرس عليه فيتعلم منه ويأخذ عنه، لا يفارقه أربعين سنة، وكان صاحب نظر في المجالس، وذا إقدام على الخصوم، ولم يكن من أهل التصنيف، وكان اذا أخذ القلم يكتب وربما ينقطع وربما يأتي بكلام غير مرضي، وكان أبو على صاحب تصنيف وقلم، إذا صنف يأتي بكل ما أراد مستقصي، وإذا حضر المجالس وناظر لم يكن بمرض، وكان إذا دهمه الحضور في المجالس يبعث الأشعري ويقول له نب عني، ولم يزل على ذلك زمانا"[٢] ، وقد دافع ابن عساكر عما في هذه الحكاية من رداءة تصنيفه بأن ذلك كان في أول أمره قبل اهتدائه [٣] .

ب- رجوعه عن الاعتزال وأسبابه:

---

[١] انظر: الجبائيان (ص:٣٧٧-٢٨٣) .

[٢] تبيين كذب المفترى (ص:٩١) .

[٣] انظر المصدر السابق (ص:٩١-٩٢) .

أعلن الأشعري رجوعه عن الاعتزال، فقد غاب في بيته ثم خرج إلى الناس بعد صلاة الجمعة وأعلن رجوعه عليهم، وإنه يتبرأ من جميع أقواله السابقة، وأظهر بعض مؤلفاته الجديدة، والملاحظ أن مترجمي الأشعري يشيرون الى أن مدة مقامه في الاعتزال أربعين سنة، فإذا كان الأشعري ولد سنة ٢٦٠ هـ والجبائي توفي سنة ٣٠٣ هـ ورجوع الأشعري كان قبل وفاة الجبائي لأن الجبائي نفسه رد على الأشعري، فالأولى أن يعتبر هذا الكلام تقريبيا وأن المقصود أن رجوع الأشعري كان وهو قريب من الأربعين في عمره، ولذلك عبر البعض بأن إقامة الأشعري في الاعتزال كانت عدة سنين[1].

ولما كان رجوع الأشعري عن الاعتزال بعد هذه المدة التي تعتبر طويلة إضافة الى المفاجأة في ذلك، فقد كثرت الأقوال في أسباب رجوعه، ويمكن حصر أهمها فيما يلي:

١- فالنوع الأول من الأسباب المباشرة للتحول: الرؤيا، وتتعدد الروايات في ذلك، فمنها ما ورد " أن الشيخ أبا الحسن-رحمه الله- لما تبحر في علم كلام الاعتزال وبلغ غاية، كان يورد الأسئلة على أستاذيه في الدرس، ولا يجد فيها جوابا شافيا فتحير في ذلك، فحكى عنه أنه قال: وقع في صدري في بعض الليالي شيء مما كنت فيه من العقائد، فقمت وصليت ركعتين، وسألت الله تعالى أن يهديني الطريق المستقيم، وقمت فرأيت رسول الله - صلى الله عليه السلام - في المنام فشكوت إليه بعض ما بي من الأمر فقال رسول الله - صلى الله عليه السلام

---

[1] انظر: الخطط للمقريزي (٢/٣٥٩) ، بولاق.

- عليك بسنتي، فانتبهت وعارضت مسائل الكلام بما وجدت في القرآن والأخبار، فأثبته ونبذت ما سواه ورائي ظهريا" [١] ، وهذه الرواية ينتهي اسنادها الى بعض الأصحاب، دون تحديد، وفي رواية أخرى أطول: وأنه رأى النبي - صلى الله عليه السلام - في المنام في رمضان عدة مرات، ويطلب منه نصرة المذاهب المروية، وان الأشعري قال له في رؤياه اياه ليلة سبع وعشرين: كيف أدع مذهبا تصورت مسائله وعرفت أدلته منذ ثلاثين سنة لرؤيا، فقال لي لولا أني أعلم أن الله تعالى يمدك بمدد من عنده لما قمت عنك حتى أبين لله وجوهها وكأنك تعد إتياني اليك هذا رؤيا، أو رؤيا جبريل كانت رؤيا، إنك لا تراني في هذا المعنى بعدها، فجد فيه فإن الله سيمدك بمدد من عنده، قال فاستيقظت وقلت ما بعد الحق الا الضلال، وأخذت في نصرة الأحاديث في الرؤية والشفاعة والنظر وغير ذلك، فكان يأتيني شيء ما سمعته من خصم قط، ولا رأيته في كتاب فعلمت أن ذلك من مدد الله تعالى الذي بشرني به رسول الله - صلى الله عليه السلام - " [٢] ، وهي رواية تنتهي إلى مجاهيل، ويورد القاضي عياض هذه الرواية بلا إسناد ويذكر أن الرسول - صلى الله عليه السلام -قال لي في المنام: " إنما قلت لك اطلب علم الكلام، واعمل بمسألة الرؤية، ولم أقل لك نح الكلام، وأنه لما رآه ليلة سبع وعشرين قال له الأشعري لما سأله ما الذى عملت فيما قلت لك؟: " فقلت: يا رسول الله، كيف أدع مذهبا نصرته أربعين سنة، وصنفت فيه، ورسخت؟ يقول الناس: هذا رجل موسوس يدع المذاهب بالمنامات"، فغضب غضبا شديدا وقال: كذلك كانوا يقولون لي: موسوس ومجنون، و ما ضيعت حق

---

[١] التبيين (ص: ٣٨-٣٩) .

[٢] المصدر السابق (ص:٠ ٤- ٤١) ، وطبقات السبكي (٣/٣٤٨-٣٤٩) .

الله تعالى لقول الناس، وتعد هذه من جملة المنامات؟ أتردد اليك في الشهر ثلاث مرات، ثم تقول: إنه منام، هذه اعتذارات كلها باطلة فدعها، ولا تعرج عليها...."[1].

ويلاحظ ما دخل هذه الروايات من زيادات حتى يقول الرسول: انظر علم الكلام، وقد يكون لمسألة الرؤية أصل، لكن ليس بهذه الأساليب والروايات التي لم يتصل سند شيء منها.

٢- النوع الثاني من الأسباب: مناظراته لشيخه الجبائي، وأشهر هذه المناظرات: مناظرته حول الصلاح والأصلح فقد أوردها ابن خلكان في ترجمة الجبائي فقال:" وعنه أخذ الشيخ أبو الحسن الأشعري شيخ السنة وعلم الكلام، وله معه مناظرة روتها العلماء، فيقال: إن أبا الحسن المذكور سأل أستاذه أبا على الجبائي عن ثلاثة إخوة: أحدهم كان مؤمنا برا تقيا، والثاني كان كافرا فاسقا شقيا، والثالث كان صغيرا، فماتوا، فكيف حالهم؟ فقال الجبائي: أما الزاهد ففي الدرجات، وأما الكافر ففي الدركات، وأما الصغير فمن أهل السلامة، فقال الأشعري: ان أراد الصغير أن يذهب الى درجات الزاهد هل يؤذن له؟ فقال الجبائي: لا، لأنه يقال له: إن أخاك إنما وصل إلى هذه الدرجات بسبب طاعاته الكثيرة، وليس لك تلك الطاعات، فقال الأشعري: فإن قال ذلك الصغير: التقصير ليس مني، فإنك ما أبقيتني ولا أقدرتني على الطاعة، فقال الجبائي: يقول الباري جل وعلا: كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت وصرت مستحقا للعذاب

---

[1] ترتيب المدارك (٥/٢٨-٢٩) .

الأليم، فراعيت مصلحتك، فقال الأشعري: فلو قال الأخ الكافر: يا إله العالمين، كما علمت حاله فقد علمت حالي، فلم راعيت مصلحته دوني؟ " [وفي بعض نسخ الوفيات الخطية] : فقال الجبائي للأشعري: إنك مجنون، فقال: لا، بل وقف حمار الشيخ في العقبة" [١] ، وبسبب انقطاع الجبائي رجع الأشعري عن الاعتزال[٢] ، وهناك مناظرة أخرى حول هل يسمي الله عاقلا فقد " دخل رجل على الجبائي فقال: هل يجوز أن يسمي الله تعالى عاقلا؟ فقال الجبائي: لا، لأن العقل مشتق من العقال، وهو المانع، والمنع في حق الله محال، فامتنع الإطلاق. قال الشيخ أبو الحسن فقلت له: فعلى قياسك لا يسمي الله سبحانه حكيما؟ لأن هذا الاسم مشتق من حكمة اللجام، وهي الحديدة المانعة للدابة من الخروج ويشهد لذلك قول حسان بن ثابت- رضي الله عنه ـ:

فنحكم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلط الدماء .[٣]

وقول الآخر:

أبني حنيفة حكموا سفهاءكم إني أخاف عليكم أن أغضبا [٤]

---

[١] وفيات الأعيان (٤/٢٦٧-٢٦٨) ، وانظر طبقات السبكي (٣/٣٥٦) ، وانظر رأي الجبائي في هذه المسألة في مقالات الأشعري (ص: ٥٧٥) ، وانظر: تعليق المقبل القاسي على هذه القصة في العلم الشامخ (ص: ٢٩٧) .

[٢] انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/٩٣) ، ويذكر الرازى في تفسيره "سورة الأنعام، آية ١٢٥" انها بعد رجوع الأشعري (١٣/١٨٥) .

[٣] ديوان حسان (ص: ٧٤) ، ت سيد حنفي وحسن كامل الصيرفي، الهيئة المصريةالعامة ١٣٩٤هـ، ١٩٧٤م.

[٤] البيت لجرير، ديوانه (١/٤٦٦) وفيه " أحكموا".

أي نمنع بالقوافي من هجانا، وامنعوا سفهاكم، فإذا كان اللفظ مشتقا من المنع، والمنع على الله محال لزمك أن تمنع إطلاق حكيم عليه سبحانه وتعالى قال: فلم يحر جوابا، الا أنه قال لي: فلم منعت أنت أن يسمي الله سبحانه عاقلا، وأجزت أن يسمي حكيما؟ قال: فقلت له: لأن طريقي في مأخذ أسماء الله الإذن الشرعي دون القياس اللغوي، فأطلقت حكيما لأن الشرع أطلقه، ومنعت عاقلا لأن الشرع منعه، ولو أطلقه الشرع لأطلقته"[1].

والمناظرات بين الأشعري والجبائي كثيرة، وواضح أن بعضها كان بعد رجوع الأشعري[2]، وقد تكون من عوامل عدم ثقته بمذهب الاعتزال.

٣- أن سبب رجوعه حيرته وتكافؤ الأدلة عنده،-روي ابن عساكر عن ابن عذرة أنه قال عن الأشعري: " قام على مذاهب المعتزلة أربعين سنة، وكان لهم إماما ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوما، فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر وقال: معاشر الناس: اني تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي حق على باطل، ولا باطل كل حق، فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني إلى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده؟ انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه

---

[1] طبقات السبكي (٣/٣٥٧-٣٥٨) ، وانظر: ظهر الإسلام (٤/٦٨-٦٩) .

[2] انظر: ما أشار اليه الأشعري في المقالات (ص:٣٥٥-٣٥٦) حول الحركة والسكون، و (ص: ١٩،) حول هل يريد الإنسان إرادته، وانظر عيون المناظرات للسكوني، فقد أورد للأشعري عدة مناظرات، فإضافة الى مناظراته حول الصلاح والأصلح، وهل يسمي الله عاقلا (ص:٢٢٦،وص:٢٢٨) ذكر مناظرات أخرى: (ص:٢٢٦ حول الرؤية، وص:٢٣٢) مع أحد النصارى حضرها بعض المعتزلة منهم الجبائي، وأخرى (ص:٢٣٤) لكن ليس فيها الجبائي.

ورمى به ودفع الكتب الى الناس فمنها: كتاب اللمع، وكتاب أظهر فيه عوار المعتزلة سماه بكتاب كشف الأسرار وهتك الأستار، وغيرهما، فلما قرأ تلك الكتب أهل الحديث والفقه من أهل السنة والجماعة أخذوا بما فيها، وانتحلوه واعتقدوا تقدمه واتخذوه إماما حتى نسب مذهبهم اليه"[١] .

٤- وبعضهم يربط أسباب رجوعه بعوامل خارجية، فمحنة الامام أحمد، ثم ما جرى بعد ذلك من انتصاره وأفول نجم أعدائه من المعتزلة في عهد المتوكل، وأن الناس ملوا كثرة المماحكات والمحن التي شهدوها فكرهوا هذه الطائفة، فولد هذا لدى الأشعري كراهية هذا المذهب فرجع عنه[٢] .

٥- أن أسباب رجوعه نشأة الأشعري الحديثية، والفقهية، فأبوه كان محدثا جماعيا، وأوصي به الى الساجي المحدث، ثم بعد ذلك صار الأشعري يتردد على حلقة الفقيه أبو إسحاق المروزى الشافعي، فتأثر بذلك خاصة وأن موقف أهل الحديث من المعتزلة معروف، كذلك الإمام الشافعي كان له موقف من آراء المعتزلة بل وعلم الكلام، فلم يستطع الأشعري أن يجمع بين كونه شافعي المذهب يتعبد به ويدرس على شيوخه وبين آرائه الاعتزالية التي تعظم العقل، وترد أحاديث السنة فرجع عن مذهب المعتزلة[٣] .

---

[١] التبيين (ص:٣٩-٤٠) .

[٢] انظر ظهر الإسلام (٦٦/٤) ، منهج علماء الحديث والسنة (ص ١٦٠) ، نشأة الأشعرية وتطورها (ص:١٧٩)

[٣] انظر: في علم الكلام (ج ٢) ، الأشاعرة (ص:٤٢-٤٣) .

والبعض عرض هذا السبب بأسلوب آخر، وهو أن الأشعري أراد أن يجمع بين الفقهاء والمحدثين وبين أهل الكلام، الذين اشتد بينهم العداء، وأن الأشعري لما رأى ذلك سائل نفسه وما الذي يمنع من الجمع بين الفقه وعلم الكلام، فأتي بمذهبه الذى توسط فيه بين المعتزلة والمحدثين [١] .

والبعض يذكر هذا السبب وأن الذى دعا الأشعري إلي تحوله ما رآه من انقسام المسلمين عقائديا، ما بين معتزلة يفرطون في النزعة العقلية، ومن يقابلهم من أهل النص، فأراد أن يسهل للأمة الإسلامية مخرجا وسطا بينهما [٢] .

٦- وهناك أسباب أخرى ذكرها أعداؤه ليشنعوا عليه [٣] .

هذه أهم ما أورد من أسباب لتحول الأشعري، وقد سبق عند الحديث عن الجبائي وآرائه التلميح إلى ما قد يكون من أسباب نبذه لمذهب المعتزلة، ومع ذلك فكل ما ذكر لا يرقى أي منها إلى درجة اليقين، إذ لم يرد عن الأشعري بطريق صحيح أو في أحد كتبه المعتمدة السبب المباشر لتحوله ورجوعه، لذلك لابد من التماس ذلك في أكثر من سبب، علما بأن الرجوع إلى الحق ونبذ الباطل إنما هو

---

[١] انظر: مقدمة الكوثرى لتبيين كذب المفترى (ص: ١٥) ونشأة الأشعرية وتطورها: (ص:١٨٦).

[٢] انظر: تاريخ الفلسفة الإسلامية: هنرى كوربان (ص:١٨٠-١٨٢) ، ويقول سبيتا"عكف على دراسة الحديث وضح له مابين رأى المعتزلة وروح الإسلام من تناقض، دائرة المعارف الإسلامية (٢١٨/٢) ، وانظر: تاريخ الفلسفة العربية: الفاخورى، الجر (١٧٧/١) .

[٣] مثل قول بعض المعتزلة: إن السبب تغير في عقله، تبيين كذب المفتري (ص:٨٠) ، وقول البعض: انه مات له قريب فخاف أن يمنع من الميراث، ومثل أنه فارق مذهب المعتزلة لأنه لم يظفر عند العامة بسمو المترلة (التبيين ص: ٣٨١) . ومثل القول: إن السبب الضغط من أسرته وإغرائه بالمال، أو أنه أراد أن يبني لنفسه بطولة، أو مجاملته للحنابلة، انظر المدرسة السلفية (ص: ٥٦٤-٥٦٥)

عودة إلى الهداية الموافقة للفطرة، وهو أمر يقذفه الله في قلب عبده المؤمن، فليس الأمر غريبا أو مخالفا للمعقول حتي يتلمس له السبب، والله أعلم.

ج- مذهب الأشعري بعد رجوعه [هل كان طورا أو طورين؟] :

اختلف العلماء والباحثون- بعد اتفاقهم علي العطور الأول الذي هو طور الاعتزال- هل مر الأشعري بعد تحوله بطور أو طورين؟، ويمكن تحديد الأقوال كما يلي:

الأول: أن الأشعري- بعد تحولهـ بقي على طور واحد، وأنه في هذه المرحلة تابع ابن كلاب، لكن كانت له آراء مستقلة توسط فيها بين المعتزلة والمثبتة، نشأ عنها ما يسمى بالمذهب الأشعري، وهذا قول الأشعرية، أما كتاب الإبانة فإما أن يتغافلوا عنه، أو يقولوا بإثباته، لكنهم يفسرون ما فيه من الإثبات بأن ذلك جاء على طريقة "التفويض" وأن هذا لا يتعارض مع القول بتأويل بعض الصفات[1] .

وهذا القول يقول به أيضا بعض العلماء من غير الأشاعرة، وهؤلاء يقولون: إن الأشعري سار علي طريقة ابن كلاب، فبقيت عليه بقايا من مذهب الاعتزال، أما كتاب الإبانة فيرون أنه مع أنه يقرب فيه كثيرا من مذهب السلف ق الاستدلال بالنصوص، إلا أن ما أثبت فيه هو مذهبه قبل ذلك، ولذلك فليس فيه ما يعارض كتبه السابقة، والمباحث التي ركز عليها في كتاب " اللمع" لم يركز

---

[1] انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٩٣/١) ، ولسان الميزان لابن حجر (٣/ ٢٩١) الذى يرى أن الأشعري مشى على طريقة ابن كلاب في كتابه الإبانة، وهذا رأي ابن فورك الذي يرى أن أصولهما واحدة، انظر: نص كلامه فيما جمعه من مقالات ابن كلاب، نقض التأسيس المخطوط (٣٧/١-٤١) .

عليها في كتاب الإبانة، فليس بينهما تعارض، وليس في الإبانة ما بدل على رجوعه عن مذهب ابن كلاب[١] .

فهذان رأيان يتفقان في أن الأشعري مر بعد الاعتزال بمرحلة واحدة، ويختلفان في التفسير والتحليل.

الثاني: أن الأشعري بعد تحوله مر بطورين:

أ- طور التوسط والسير علي طريقة ابن كلاب.

ب- وطور الإثبات والتخلي عن طريقة ابن كلاب والسير علي منهاج أهل السنة والجماعة كما في " الإبانة".

لكن أصحاب هذا القول اختلفوا علي قولين متعارضين:

أحدهما: أن الأشعري مر أولا بطور التوسط والسير علي طريقة ابن كلاب وألف في ذلك كتبه المختلفة التي اشتهرت وتناقلها الناس، ثم رجع في الآخر إلى مذهب السلف من خلال تأليفه للإبانة وذلك في آخر عمره في بغداد[٢]

---

[١] ويرى الدكتور فاروق دسوقي أن الأشعري، رجع مرة واحدة الي مذهب السلف، ولم يتغير موقفه ولا منهجه، ولا فرق بين الإبانة واللمع، انظر: رأيه وحججه بالتفصيل في كتابه القضاء والقدر (٢/٢٨٦-٣٠٤) ، وهو رأي الدكتورة فوقية محمود، الإبانة- الدراسة- (ص: ٩١) .

[٢] من الذين نصوا على أن الأشعري مر بثلاثة أطوار آخرها الرجوع الي مذهب السلف ابن كثير كما نقل عنه الزبيدى في إتحاف السادة المتقين (٢/٤) ، والشيخ محب الدين الخطيب في حواشيه عل الروض الباسم (ص: ١٧٤) ، ومعارج القبول (١/٣٤٦) ، والمنتقي (ص: ٤١، ٤٣) ، والشيخ أحمد بن حجر أبو طامي في العقائد السلفية (١/١٤٣) ، والشيخ محمد الصالح العثيمين في القواعد المثلى (ص: ٨٠-٨١) ، ومصطفي حلمي في ابن

الآخر: العكس: وهو أن الأشعري، انتقل أولا إلى مذهب السلف، - الذي يسمونه مذهب الحنابلة- فألف الابانة في حال الحماس والاندفاع، ثم بعد ذلك انتقل إلى الطور الأخير الذي توسط فيه، وألف فيه كتبه ومنها اللمع، فهؤلاء يبنون قولهم علي أن الإبانة قبل اللمع[1] .

هذه أهم الأقوال الواردة في مسألة رجوع الأشعري-رحمه الله- ويمكن تلخيصها كما يلي:

١- إن الأشعري تحول عن الاعتزال إلى التوسط، أو ما يسمي بمذهب الأشعري، وان ما رجع إليه هو الحق.

٢- أنه رجع الى مذهب السلف والقول الحق- الذي هو مذهب الإمام أحمد -ولم تختلف أقواله ولا كتبه.

٣- أنه رجع الى المذهب الحق لكنه تابع ابن كلاب وبقيت عليه بقايا اعتزالية.

تيمية والتصوف (ص: ١٦) وفي قواعد المنهج السلفي - ط الثانية (ص: ٣٠) وغيرهم، ومن الباحثين: هادى طالبي في رسالته أبو الحسن الأشعري بين المعتزلة والسلف (ص: ٣٩) ومابعدها، وخليل إبراهيم الموصلى في رسالته بين أبي الحسن الأشعري والمنتسبين اليه في العقيدة (ص: ٣٩) ومابعدها، ومحمد باكريم باعبد الله في مقدمة تحقيقه لكتاب الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزي (ص: ٨) من الدراسة ومابعدها.

[1] وهذا رأي الكوثري كما في تعليقه عل تبيين كذب المفترى (ص: ٣٩٢) ، وتعليقه على كتاب اللمعة (ص: ٥٧) ، وحمودة غرابة في كتابه عن الأشعري (ص: ٦٧-٦٩) ، وفي مقدمة تحقيقه للمع (ص:٦-٩) ، وهو رأي عرفان عبد الحميد في دراسات في الفرق والعقائد (ص:١٤٨) ، وجلال موسى في نشأة الأشعرية (ص: ١٩٤-١٩٥) ، وأحمد صبحي في كتابه عن الأشاعرة (ص:٤٥-٤٦) ، وفوقية محمود في مقدمة الإبانة (ص ٧٩-. ٨، ٩٠، ١٩١) ، والسقا في كتابه: الله وصفاته (ص:١٠٠-١٠٣) .

٤- أنه رجع أولا إلى التوسط ومتابعة ابن كلاب، ثم رجع إلى مذهب السلف رجوعا كاملا..

٥- أنه رجع أولا إلى مذهب السلف، ثم انتقل إلى التوسط واستقر عليه.

مناقشة هذه الأقوال:

أما بالنسبة للقول الأول والثاني فمبنيان علي أن ما سطره الأشعري في كتبه إنما هو المذهب الحق الذي يقولون به، فالأشاعرة المتأخرون الذين انحرفوا كثيرا عن مذهب السلف إذا نوقشوا في أقوالهم وانها مخالفة لأقوال السلف ولأقوال شيخهم الأشعري لا يقرون بذلك، وانما يقولون: ان السلف والأشعري قصدوا من الاثبات التفويض، ولا مانع من تفويض النصوص، أو تأويلها بما يوافق المعقول، وأن الأشعري ومن جاء بعده انما أرادوا دعم العقيدة بالحجج والقواعد الكلامية، لذلك تنتقل القضية مع هؤلاء من مسألة رجوع الأشعري الى مسألة أوسع الا وهي مذهب الأشعرية ومدى قربه أو بعده من مذهب السلف، وفصول الرسالة القادمة متضمنة لمناقشة ذلك.

أما رأى الدكتور فاروق دسوقي- ومن وافقهـ فبناه على أن الأشعري من المثبتة، وأنه قال بأقوال أهل السنة والإمام أحمد، وبنى ذلك على أنه ليس هناك تعارض بين اللمع والإبانة، وأن مباحثهما متقاربة، وإنما الاختلاف فقط في الأسلوب والطريقة، لأن الأشعري هدف من اللمع الرد على أهل الزيغ والبدع، وهدف من الابانة بيان الأدلة على أصول الديانة، فخلص من هذه الدراسة والمقارنة الى أن الأشعري رجع إلى مذهب الإمام أحمد، وهذا القول ربما يكون له

وجاهة- مع بعض التحفظ أيضا- لو أن الأشعري ليس له الا هذان الكتابان، أما وقد ثبت أن للأشعري كتبا كثيرة نقل منها العلماء، وهي تدل علي أن للأشعري بعض الآراء الكلامية التي لا توافق مذهب السلف، فبصبح هذا الرأي ضعيفا جدا.

ثانيا: أما بالنسبة للقول الرابع والخامس، فالخلاف بينهما مبني على الإبانة واللمع أيهما أسبق، وبتحقيق الأمر في ذلك يتبين رجحان أحدهما.

وخلاصة أدلة من يرى أن كتاب الابانة ألفه الأشعري أولا ما يلي:

أ- قول ابن خلكان بعد ذكره لقصة رجوع الأشعري وانخلاعه من ثوب كان عليه:" ودفع للناس ما كتبه علي طريقة الجماعة من الفقهاء والمحدثين"[1] ،

والإبانة هو الذى كتبه الأشعري على هذه الطريقة.

٢- أن العادة أن الإنسان إذا انتقل من عقيدة إلى عقيدة يكون متحمسا لعقيدته الجديدة، وأن الأشعري في أول فترة انتقاله كان متحمسا لعقيدة السلف، يعيش رد فعل لحياته الأولى، فمن الملائم- والحالة هذهـ أن الأشعري قد ألف

---

[1] انظر: دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية للدكتور عرفان عبد الحميد (ص: ١٤٨) ، وانظر الإمام ابن تيمية وقضية التأويل (ص: ١٠٠) ، ونسبها الى طبعة عبد الحميد من الوفيات ولكن بعد الرجوع الى هذه الطبعة (٤٤٦/٢-٤٤٧) لم أجده فيها، كما لم أجده في الطبعة الأولى (٥٨٦/١-٥٨٧) ، ولا في طبعة دار صادر (٢٨٥/٣) .

كتابه الإبانة، التي يعلن فيها صراحة تمسكه بأقوال الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله-[١].

٣- أن المطلع على اللمع، يرى أنه يمثل فترة نضوج فكري، فهو يعرض فيه الأدلة والمناقشات بشكل جيد، فالأشعري في هذا الكتاب أقوي حجة وبيانا فلذلك من المفترض أن يكون ألفه في مرحلته الأخيرة[٢].

أما أدلة الذين يقولون إن الإبانة آخر كتب الأشعري فهي كما يلي:

١ - ما رواه ابن عساكر عن ابن عذرة في قصة رجوع الأشعري وفيها:

" فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر وقال: يا معشر الناس: إني إنما تغيبت عنكم في هذه المدة لأني نظرت فتكافأت عندي الأدلة، ولم يترجح عندي حق علي باطل، ولا باطل على حق، فاستهديت الله تبارك وتعالى فهداني الى اعتقاد ما أودعته في كتبي هذه، وانخلعت من جميع ما كنت أعتقده كما انخلعت من ثوبي هذا، وانخلع من ثوب كان عليه ورمى به ودفع الكتب إلى الناس فمنها كتاب "اللمع" وكتاب أظهر فيه عوار المعتزلة سماه بكتاب " كشف الأسرار وهتك الأستار وغيرهما" [٣] ، فهذا دليل على تقدم اللمع على الإبانة.

---

[١] انظر: الأشعري: حمودة غرابة (ص: ٦٧-٦٨) ، ومقدمة اللمع له (ص: ٧-٨) ، والقضاء والقدر: للدسوقي (٢٩٨/٢) ، والأشاعرة: أحمد صبحي (ص: ٤٥-٤٦) .

[٢] انظر: نشأة الأشعرية وتطورها (ص: ١٩٤-٢١٠،١٩٥) ، والقضاء والقدر للدسوقي (٢٩٨/٢) .

[٣] التبيين (ص: ٣٩) .

٢- أن الأشعري لما ذكر مؤلفاته في كتابه " العمد" لم يذكر منها الإبانة وقد ذكر ابن فورك أن هذه المؤلفات ألفها فى سنة عشرين وثلاثمائة، فلو كانت من ضمنها لذكرها، ولما أضاف ابن فورك ما ألفه بعد ذلك لم يذكر الابانة- وقد سبق عند الحديث عن الابانة ضمن مؤلفات الأشعري- التفصيل في ذلك، لكن ابن عساكر الناقل عن ابن فورك يذكر الإبانة وينقل منها نصوصا، فهذا يدل علي أن الإبانة من آخر ما ألفه الأشعري، مع أن الأشعري يذكر في قائمة كتبه كناب اللمع وهذا يدل علي تقدم اللمع علي الإبانة [١] .

٣- قصة الأشعري مع شيخ الحنابلة في بغداد البربهاري [٢] ، فقد روي القاضي أبو يعلى أنه " لما دخل الأشعري الى بغداد جاء الى البربهاري، فجعل يقول: رددت علي الجبائي وعلى أبي هاشم، ونقضت عليهم وعلي اليهود والنصارى والمجوس، وقلت لهم، وقالوا واكثر الكلام في ذلك، فلما سكت قال البربهاري: ما أدرى مما قلت قليلا ولا كثيرا، ولا نعرف إلا ما قاله أبو عبد الله أحمد بن حنبل، قال: فخرج من عنده وصنف كتاب الإبانة فلم يقبله منه، ولم يظهر ببغداد إلى أن خرج منها" [٣] ، وقد ضعف ابن عساكر هذه الرواية فى قوله في آخرها "ولم يظهر ببغداد الى أن خرج منها" بأن الأشعري إذ صار إليها لم

---

[١] انظر: تبيين كذب المفتري (ص: ١٢٨-١٣٥) .

[٢] هو: الحسن بن على بن خلف أبو محمد البربهارى كان من المنكرين على أهل البدع، صحب جماعة من أصحاب الإمام أحمد، توفي سنة ٣٢٨ هـ وقيل ٣٢٩ هـ، طبقات الحنابلة (١٨/٢) ، وسير أعلام النبلاء (٩٠/١٥) .

[٣] طبقات الحنابلة (١٨/٢) ، والوافي (٢٤٦/١٢) ، والسير للذهبي (٩٠/١٥)

يفارقها ولا رحل عنها فإن بها منيته [١] ، وابن عساكر إنما ينكر هذه القصة لا تأخر الإبانة.

٤- دليل عقلي وهو أن الإنسان يغلب عليه التدرج شيئا فشيئا في تنقلاته، لأن الإنسان يتضح له الأمر شيئا فشيئا، فينتقل إليه خطوة خطوة، وهذا ما حدث للأشعري [٢] .

٥- أن مجموعة من العلماء قالوا بأن الإبانة آخر مؤلفات الأشعري، ومنهم:

١- إمام القراء أبو على الحسن بن على بن إبراهيم الفارسى ذكر انه صنف الإبانة في بغداد لما دخلها [٣] .

٢- أبو القاسم عبد الملك بن عيسى بن درباس المتوفي سنة ٦٠٥ هـ ، فإنه قال في رسالته في الذب عن الأشعري: " أما بعد: فاعلموا معاشر الإخوان وفقنا الله وإياكم للدين القويم وهدانا أجمعين للصراط المستقيم بأن كتاب الإبانة عن أصول الديانة الذي ألفه الإمام أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري هو الذي استقر عليه أمره فيما كان يعتقده "[٤].

٣- وشيخ الإسلام ابن تيمية في مواضع عديدة من كتبه [٥] .

---

[١] انظر: التبيين (ص: ٣٩١) .

[٢] انظر: القضاء والقدر للدسوقي (٢/٢٩٥) .

[٣] انظر: رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري لابن درباس (ص: ١١٥) - ت الفقيهي.

[٤] المصدر السابق (ص:١٠٧) .

[٥] من ذلك الرسالة المدنية- مجموع الفتاوي (٦/٣٥٩) ، والحموية- مجموع الفتاوي (٥/٩٣) ، ونقض التأسيس المخطوط (١/٨٣) ، وغيرها.

٤- وابن قيم الجوزية، نقل منه في بعض كتبه وأشار إلى أنه آخر مؤلفاته[١]

٥- وابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ذكر أنه آخر مؤلفاته فقال:

"وهو آخر كتاب صنفه وعليه يعتمد أصحابه في الذب عنه عند من يطعن عليه" [٢] .

٦- وابن كثير كما نقل عنه الزبيدي [٣] .

٧- والشيخ إبراهيم بن مصطفي الحلبي، المتوفي سنة ١١٩٠ هـ في كتابه " اللمعة في تحقيق مباحث الوجود والحدوث والقدر وأفعال العباد" [٤] .

٨- والشيخ إبراهيم بن حسن الكوراني، المتوفي سنة ١١٠١ هـ كما في القول الجلى [٥] .

٩- والشيخ خالد النقشبندى الشافعى شيخ مشايخ الألوسي كما في جلاء العينين [٦] .

١٠- والشيخ نعمان خير الدين الألوسى في كتابه جلاء العينين [٧] .

---

[١] انظر: مختصر الصواعق (١٣٦/٢) ، ففيه أشار الى أنه آخر مؤلفاته.

[٢] شذرات الذهب (٣٠٣/٢) .

[٣] انظر: اتحاف السادة المتقين (٤/٢) .

[٤] (ص:٥٧) .

[٥] (ص: ٣٦) - ت سالم الدخيل، ضمن مجلة كلية أصول الدين العدد الثاني ١٣٩٩- ١٤٠٠ هـ وهو في (ص: ٢١٦) في ترقيم صفحات المجلة.

[٦] (ص: ١٥٧) - ط المدني.

[٧] (ص: ٤٦٢) .

١١- والشيخ محب الدين الخطيب في تعليقه على المنتقي من منهاج الاعتدال[١].

وغيرهم [٢]، وهؤلاء هم الذين نصوا على أن " الابانة" آخر مؤلفات الأشعري أما الذين ذكروا الإبانة ونسبوها إلى الأشعري فكثيرون.

هذه خلاصة أدلة الذين يقولون بتأخر الإبانة عن اللمع، وهي كما يلاحظ أدلة علمية تعتمد على نقل العلماء وأقوالهم. أما أدلة القول الأول فليس في واحد منها ما ينص على تأخر اللمع وتقدم الإبانة؛ فعبارة ابن خلكان مجملة، وجميع الذين يميلون إلى المذهب الأشعري يقولون ان كتبه كلها تسير على طريقة الفقهاء والمحدثين لا يفرقون بين الإبانة واللمع، أما الدليل النفسي وأن الإنسان عند انتقاله يكون متحمسا فيقابله دليل نفسي آخر وهو التدرج الذى ورد في أدلة القول الثاني، أما مسألة النضج ففى الإبانة مناقشات للمعتزلة لا تقل قوة عن ما في اللمع، فيتبين بذلك أن الإبانة آخر مؤلفات الأشعري، ويتبين أيضا ضعف هذا القول الذى يقول: ان الأشعري رجع أولا إلى مذهب السلف ثم استقر على التوسط.

---

[١] (ص:٤٣،٤١) .

[٢] فقد رجحه مجموعة من الباحثين منهم: راجح الكردى في كتابه " علاقة صفات الله تعالى بذاته (ص: ١٤٢) ، ومحمد أحمد محمود في كتابه" الحنابلة في بغداد (ص: ١٨٦) ، ورضا نعسان في علاقة الإثبات والتفويض (ص: ٤١-٤٤) ، وقد ذكر (ص: ٤١) أن فوقية محمود في تحقيقها للإبانة أثبتت انه آخر مؤلفاته وهو وهم بل هي ترى العكس انظر مقدمتها للأبانة (ص: ٧٩-.٨،٩٠، ١٩١) ، وممن رجحه من المستشرقين جولد تسهر في العقيدة والشريعة في الإسلام (ص: ١٢٢) ، ومكدونالد كما جاء في الحنابلة في بغداد (ص: ١٨٦) .

ثالثا: من خلال المناقشة السابقة تبين أن القول الأول مع ظهور ضعفه فهو خارج محل النقاش فهو يقوم على دعوى أن الأشعري يتأول أحيانا الصفات الخبرية، وأنه قال بالتفويض، أو المجاملة للحنابلة حين ألف الإبانة والا فليس هذا معتقده، وكل هذا من أجل تبرير التطور الذى حدث للمذهب الأشعري حين انحرف الأشعرية عن كثير من آراء شيخهم أبو الحسن-رحمه الله- تعالى- كما تبين أن القول الثاني والقول الخامس ضعيفان.

وبقي من الأقوال:

ا- القول الثالث: أنه رجع الى الحق لكنه تابع ابن كلاب وبقيت عليه بقايا اعتزالية وكلامية.

٢- والقول الرابع: أنه رجع أولا إلى قول ابن كلاب ثم رجع أخيرا إلى مذهب السلف

وقبل المناقشة وبيان أدلة الفريقين ثم الترجيح نعرض لما يلي:

١- أن نسبة الأقوال إلى شخص إنما تأتي من خلال كتبه وأقواله المروية عنه، وكثيرا ما يشهر عن أحد من العلماء أقوال فتنسب اليه هذه الأقوال ويتناقلها الناس خاصة اذا كانت مسطرة في كتاب أو كتب اشتهرت باسمه فإذا ما رجع هذا العالم عن أقواله هذه فربما لا تشتهر بحيث تستدرك ما عرف أولا عنه، وخاصة إذا تبني الأقوال الأولى أناس وشرحوها ودرسوها للناس على أنها القول الحق، فالغالب أنها هي التي تنتشر وتشتهر وتبقى أقواله المتأخرة خافتة وضعيفة، ولا يحتج بها إلا عند الرد على الخصوم أو عند الحاجة، وهذا الكلام ينطبق على

كثير من أعلام أهل الكلام، فالجويني مثلا اشتهرت كتبه الأشعرية كالشامل والإرشاد ولمع الأدلة، وتناقلها الناس، لكن رجوعه في آخر عمره إلى عقيدة السلف وما سطره في النظامية لا يكاد يعتمد على أنه قوله ومذهبه الذي يجب أن ينسب إليه، ومثله الرازي الذى ألف كتبا فلسفية وكلامية على مذهب الأشاعرة، انتشرت وتناقلها الناس ولكن رجوعه ووصيته في آخر عمره لا تكاد تذكر فيما ينسب إليه من العقائد.

وهذا نفسه ينطق على الأشعري فكتبه الكلامية انتشرت وتناقلها الناس، ومن يطالع مجرد مقالات أبو الحسن الأشعري الذى ألفه ابن فورك- على ما فيه من ملاحظات- والذى اعتمد فيه على عدد كبير من مؤلفات الأشعري المفقودة يرى العجب من الآراء الكلامية والمنطقية، ومع ذلك فهي التي انتشرت ونسبت إلى الأشعري أما ما ذكره في المقالات من أقوال أهل الحديث وما سطره في الإبانة فلا تجد لهـ في الغالب- ذكرا لدى الأشعرية المتأخرين.

لذلك فحينما نناقش قضية رجوع الأشعري قد لا تكون هناك فائدة كبيرة لأولئك الذين أشربوا المذهب الأشعري في أطواره الأخيرة، وإنما هو منهج في بيان مذهب السلف والرد على متأخري الأشعرية بأقوال شيخهم أبي الحسن وانهم لم يقولوا بما قاله في كتبه المتأخرة كالإبانة وغيره، وان أقواله إنما تدعم ما يقوله من يسير على مذهب السلف أهل السنة والجماعة.

٢- أن أهم ما يميز مذهب ابن كلاب- الذي تابعه الأشعري بعد رجوعه عن الاعتزال- قوله في مسألة الكلام والصفات الاختيارية لله تعالى، أما الصفات

اللازمة لله تعالى فهو يثبتها مثل السمع والبصر والعلم والقدرة، ومثل اليدين والوجه والعينين والعلو والاستواء وغيرها لكنه قال بامتناع أن تقوم الصفات الاختيارية بذات الله مما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال والكلام وغير ذلك، وعلل ذلك بأنه يستلزم حلول الحوادث بذات الله تعالى وما لم يخل من الحوادث فهو حادث واضطر لطرد هذا الأصل أن يقول في مسألة كلام الله: إنه ليس إلا مجرد المعنى وان الحروف ليست من كلام الله. كما أنه بناء على هذا الأصل لم يثبت لله صفة الرضي والغضب.

فهذه الطريقة لم تكن موجودة قبل ابن كلاب، بل كان الناس قبله على قولين فقط، قول المعتزلة والجهمية والنفاة ، وقول السلف الذين يثبتون لله جميع الصفات سواء كانت لازمة لذاته أو تتعلق بمشيئته وقدرته، فلما جاء ابن كلاب أثبت الصفات لكنه نفي ما يتعلق بمشيئته وقدرته، واتبعه على ذلك جماعة منهم الأشعري[1] .

٣- أما الأدلة على كون الأشعري قد تابع ابن كلاب فيتضح من خلال النصوص التالية:

أ- يقول الأشعري في اللمع في الدلالة على اثبات الصانع- بعد أن ذكر دليل خلق الإنسان-: "فإن قالوا: فما يؤمنكم أن تكون النطفة لم تزل قديمة؟ قيل لهم: لو كان ذلك كما ادعيتم لم يجز أن يلحقها الاعتماد والتأثير، ولا الانقلاب والتغيير،

---

[1] انظر: رسالة الرد على من أنكر الحرف والصوت للسجزى (ص: ٨٧) ومابعدها ط على الآلة الكاتبة، وانظر: درء التعارض (٦/٢) ، وانظر: أقوال ابن كلاب في مقالات الأشعري (ص:٥٨٤،١٦٩) - ط ريتر.

لأن القديم لا يجوز انتقاله وتغيره، وأن يجري عليه صفات الحدث.."[١] ، والصفات الاختيارية التي تدل على أن الله يتكلم إذا شاء متى شاء، وأنه ينزل ويأتي كما يليق بجلاله وعظمته هى عند الأشعري من الحوادث التي لا يجوز أن تحل بذاته تعالى.

ب- ويقول في مسألة كلام الله وأنه قديم أزلي: "دليل آخر على أن الله لم يزل متكلما: ان الكلام لا يخلو أن يكون قديما أو حديثا، فإن كان محدثا لم يخل أن يحدثه في نفسه، أو قائما بنفسه، أو في غيره، فيستحيل أن يحدثه في نفسه لأنه ليس بمحل للحوادث ... ثم يقول: وإذا فسدت الوجوه التي لا يخلو الكلام منها لو كان محدثا صح أنه قديم وأن الله تعالى لم يزل به متكلما" [٢] .

فنفى أن يحدثه في نفسه أي أن يتكلم به إذا شاء متى شاء، وعلل ذلك بأنه ليس محلا للحوادث ثم أثبت أن كلامه قديم وأن الله لم يزل به متكلما.

ج- وفي مسألة الارادة يقول بعد ذكره لدليل الكلام:" وهذا الدليل على قدم الكلام هو الدليل على قدم الإرادة لله تعالى لأنها لو كانت محدثة لكانت لا تخلو من أن يحدثها في نفسه أو في غيره أو قائمة بنفسها، فيستحيل أن يحدثها في نفسه لأنه ليس بمحل للحوادث، ويستحيل أن يحدثها قائمة بنفسها لأنها صفة والصفة لا تقوم بنفسها كما لا يجوز أن يحدث علما وقدرة قائمين بأنفسهما، ويستحيل أن يحدثها في غيره لأن هذا يوجب أن يكون ذلك الغير مريدا بإرادة الله تعالى، فلما

---

[١] اللمع (ص: ١٩) غر ابة، و (ص: ٧) - ط- مكارثي.

[٢] اللمع (ص: ٤٣- ٤٤) ، و (ص: ٢٢) - ط- مكارثي

استحالت هذه الوجوه التي لا تخلو الإرادة منها لو كانت محدثة، صح أنها قديمة، وأن الله لم يزل مريدا بها"[١].

د- ويقول الأشعري في رسالته الى أهل الثغر في باب ذكر ما أجمع عليه السلف من الأصول: "وأجمعوا على إثبات حياة الله عز وجل لم يزل بها حيا، وعلما لم يزل به عالما، وقدرة لم يزل بها قادرا، وكلاما لم يزل به متكلما، وإرادة لم يزل بها مريدا، وسمعا وبصرا لم يزل به سميعا بصيرا، وعلى أن شيئا من هذه الصفات لا يصح أن يكون محدثا؛ إذ لو كان شيء منها محدثا لكان تعالى قبل حدثها موصوفا بضدها، ولو كان كذلك يخرج عن الأهلية وصار إلى حكم المحدثين[٢] ، الذي يلحقهم النقص ويختلف عليهم صفات الذم والمدح، وهذا يستحيل على الله عز وجل، وإذا استحال ذلك عليه وجب أن يكون لم يزل بصفة الكمال، إذا كان لا يجوز عليه الانتقال من حال من الكمال"[٣].

وهذا واضح في نفي الصفات الاختيارية له تعالى.

هـ- وقال في إثبات صفات الله وأنها صفات له على الحقيقة لا على المجاز، وذكر الحياة والقدرة والعلم والكلام والسمع والبصر والإرادة، ثم قال:

---

[١] اللمع (ص: ٤٥- ٦،) - ط- غرابة، و (ص: ٢٣) - مكارثي.

[٢] في الطبعة الأخيرة- ت عبد الله شاكر (ص: ٢١٥) -"ولو كان كذلك لخرج عن الإلهية وصار الى حكم المحدثين".

[٣] رسالة أهل الثغر (ص: ٦٧-٦٨) ت الجليند وفيه وسار بدل (وصار) وهو خطأ.

" واجب- إذا أثبتنا هذه الصفات له عز وجل على ما ذكرته العقول واللغة والقرآن والإجماع عليها- أن لا تكون محدثة، لأنه تعالى لم يزل موصوفا بها، ولا يجب أن تكون أعراضا لأنه عز وجل ليس بجسم، وإنما توجد الأعراض في الأجساد، وتدل بأعراضها فيها وتعاقبها عليها على حدثها، ويجب أن لا تكون غيره عز وجل، لأن غير الشيء هو مفارقته له على وجه من الوجوه، والبارئ عز وجل لا تجب مفارقة صفاته له من قبل أن مفارقتها له ما يوجب حدثه وخروجه عن الإلهية، وهذا يستحيل عليه كما لا يجب أن تكون نفس البارئ عز وجل جسما أو جوهرا أو محدودا، أو في مكان دون مكان، أو غير ذلك، مما لا يجوز عليه من صفاتنا لمفارقته لنا، فلذلك لا يجوز على صفاته ما يجوز على صفاتنا ... "[1]، وهذا واضح في أنه لا يرى مفارقة صفات الله له لأن هذا يوجب حدثه، كما نفى أن يكون تعالى في مكان دون مكان، ولذلك قال في صفة المجيء: " وأجمعوا على أنه يجيء يوم القيامة والملك صفا صفا، لعرض الأم وحسابها وعقابها وثوابها، فيغفر لمن شاء من المذنبين، ويعذب منهم من يشاء كما قال، وليس مجيئه حركة ولا زوالا، وإنما يكون المجيء حركة وزوالا إذا كان الجائي جسما أو جوهرا، فإذا ثبت أنه عز وجل ليس بجسم ولا جوهر لم يجب أن يكون مجيئه نقلة أو حركة، ألا ترى أنهم لا يرون بقولهم: جاءت زيدا الحمي، أنها تنقلت إليه أو تحركت من مكان كانت فيه، إذ لم تكن جسما ولا جوهرا وإنما مجيئها إليه وجودها به " .[2]

---

[1] الرسالة إلى أهل الثغر (ص: ٧٠) ، وفى هذه الطبعة تحريف عدلته من ط عبد الله شاكر (ص:٢١٨-٢١٩) .

[2] نفس المصدر (ص: ٧٣-٧٤) .

ثم قال عن صفة النزول: " وأنه عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا كما روي عن النبي – صلى الله عليه السلام –، وليس نزوله تعالى نقلة لأنه ليس بجسم ولا جوهر، وقد نزل الوحي على النبى – صلى الله عليه السلام – عند من خالفنا"[١]، وهذا واضح لا يحتاج إلى بيان.

و ويقول الأشعري في صفة الرضا والغضب: " وأجمعوا على أنه عز وجل يرضي عن الطائعين له [٢] ، وأن رضاه عنهم إرادته لنعيمهم، وأنه يحب التوابين ويسخط على الكافرين ويغضب عليهم وأن غضبه إرادته لعذابهم وأنه لا يقوم لغضبه شيء" [٣] .

فهذا نص في تأويل الرضا والغضب.

هذه آراء الأشعري الدالة على أنه سلك طريق ابن كلاب في مسألة الصفات، فهل رجع عن هذا القول إلى مذهب السلف؟.

الذين يرون أته رجع رجوعا كاملا:

أ- تصريح الأشعري في الإبانة برجوعه واتباعه للإمام أحمد، فإنه قال:" قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد – صلى الله عليه السلام –، وما روي عن السادة، الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله

---

[١] الرسالة إلى أهل الثغر (ص: ٧٤) .

[٢] في المطبوعة هنا زيادة "وإن له" ويبدو أنه خطأ مطبعي والتصويب من المخطوطة (ص: ١٢)

[٣] المصدر السابق (ص: ٧٤- هـ ٧) .

أحمد ابن محمد ابن حنبل- نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبتهـ قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم" [1] ، فهذا تصرج منه برجوعه إلى مذهب السلف الذين يمثلهم الامام أحمد، وأنه قائل بأقواله، مخالف لما خالفها، والإمام أحمد- نفسهـ كان شديدا على الكلابية، ولذلك هجر الحارث المحاسبي لكونه كلابيا.

٢- قول الحافظ ابن عساكر معلقا على النص السابق للأشعري حين نقله ونقل ما ذكره من اعتقاده، قال: "فتأملوا رحمكم الله هذا الاعتقاد ما أوضحه وأبينه، واعترفوا بفضل هذا الامام العالم الذى شرحه وبينه، وانظروا سهولة لفظه فما أفصحه وأحسنه، وكونوا ممن قال الله فهم﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ﴾ الزمر: ١٨ وتبينوا فضل أبي الحسن واعرفوا إنصافه واسمعوا وصفه لأحمد بالفضل، واعترافه، لتعلموا أنهما كانا في الاعتقاد متفقين، وفي أصول الدين ومذهب السنة غير مفترقين"[2].

٣- تتلمذ الأشعري على الحافظ زكريا الساجي، الذي توفي سنة ٣٠٧ هـ يقول الذهبي: "وكان الساجي شيخ البصرة وحافظها، وعنه أخذ أبو الحسن

---

[1] الإبانة (ص:٢٠-٢١) - ت- فوقية، و (ص:٦-٧) - ط- هندية.

[2] التبيين (ص: ١٦٣)

الأشعري الحديث ومقالات أهل السنة" [١] وقال أيضا عنه: "وعنه أخذ أبو الحسن الأشعري الأصولي تحرير مقالة أهل الحديث والسلف" [٢] .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " قلت: زكريا بن يحيى الساجي أخذ عنه أبو الحسن الأشعري ما أخذه من أصول أهل السنة والحديث وكثير مما نقل في كتاب: مقالات الإسلاميين من مذهب أهل السنة والحديث" [٣] ، فهذا يدل على رجوع الأشعري الي مذهب أهل السنة والحديث.

٤- أن الأشعري في مقالات الإسلاميين الذي يعتبر من مؤلفاته المتأخرة فرق بين مقالة أهل السنة والحديث ومقالة ابن كلاب وأصحابه، ثم لما ذكر مقالة أهل الحديث قال :"وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول واليه نذهب" [٤] ، ولما ذكر مقالة ابن كلاب- في مواضع متفرقة- لم يقل: إنه يقول بقوله، وهذا دليل على أنه في تلك الفترة- لم يكن متابعا له.

٥- قول الإمام ابن كثير: "ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:

أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

---

[١] العلو (ص: ١٥٠) .

[٢] تذكرة الحفاظ (٩٠٧/٢) .

[٣] شرح حديث النزول، مجموع الفتاوي (٣٨٦/٥) .

[٤] المقالات (ص: ٢٩٧) ، ريتر.

الحال الثاني: اثبات الصفات العقلية السبعة، وهي الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام، وتأويل الجزئية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك[١].

الحال الثالث: أثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جريا على منوال السلف وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخرا وشرحها الباقلاني، ونقلها ابن عساكر " [٢].

٦- وأهم المسائل في مذهب الأشعرية التي تميزهم مسألة كلام الله، ونصوصه في الإبانة تدل على أنه يقول بقول أهل السنة وأنه لا يقول بالكلام النفسي، يقول:" وقد قال الله تعالى:﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾ النساء: ١٦٤ ، والتكليم هو المشافهة بالكلام، ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم حالا في غيره، مخلوقا في شيء سواه، كما لا يجوز ذلك في العلم" [٣] ، ثم يقول عن القرآن " فإن قال قائل: حدثونا أتقولون ان كلام الله في اللوح المحفوظ؟ قيل له: كذلك نقول، لأن الله تعالى قال: ﴿ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ البروج: ٢١ - ٢٢، فالقرآن في اللوح المحفوظ، وهو في صدور الذين أوتوا العلم، قال الله تعالى:﴿ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ﴾العنكبوت: ٤٩، وهو متلو بالألسنة، قال الله تعالى:﴿ لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ القيامة: ١٦ ، والقرآن مكتوب في

---

[١] هذا النقل غير دقيق، إذ ليس للأشعري في الصفات الخبرية كالوجه والبدين قول بتأويلهما، والزبيدى ذكر في إتحاف السادة (٣/٢) أنه سينقل من كتاب الطبقات لابن كثير.

[٢] نقلا عن إتحاف السادة المتقين للزبيدي (٤/٢) .

[٣] الإبانة (ص: ٧٢) - ت- فوقية، و (ص: ٢٩) - ط- هندية.

مصاحفنا في الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٦ ، [1] ، فهو يصرح أنه محفوظ مسموع متلو مكتوب كل ذلك في الحقيقة.

٧- يقول الشيخ حافظ الحكمي الذي رجح رجوعه الى مذهب السلف حتى في مسألة الكلام التي كان يقول فيها بقول ابن كلاب، وذلك حين شرح الأقوال فى مسألة الكلام نقلا عن الصواعق لابن القيم، فذكر المذهب الخامس - مذهب الأشعري- ومن وافقه أنه معنى واحد قائم بذات الرب، لأنه ليس بحرف ولا صوت ولا ينقسم، ثم ذكر أن هذا المذهب مبني على مسألة انكار قيام الأفعال والأمور الاختيارية بالرب تعالى، وهي مسألة حلول الحوادث [2] .

لكن الشيخ حافظ-رحمه الله- عقب قائلا: " وأقول: والحق يقال، لا شك أن ابن القيم هذا وشيخه ابن تيمية- رحمهما الله تعالى- من أعلم من صنف في المقالات والملل والنحل وأدراهم بمواردها ومصادرها وأبصرهم برد الباطل منها وإدحاضه، وأوفاهم تقريرا لمذهب السلف أهل السنة والجماعة، وأشدهم تمسكا به ونصرة له، واكملهم تحريرا لبراهينه عقلا ونقلا، واكثرهم اشتغالا بهذا الباب وتنقيبا عن عامل البدع واجتثاثا لأصولها، ولكن هذا الذى ذكرهـ رحمه الله تعالى- عن الأشعري في مسألة القرآن هو الذي وجدناه عمن ينتسب إلى الأشعري، ويسمون أنفسهم أهل الحق، ويقررون ذلك ويكررونه في كتبهم، ويناظرون عليه، وأما أبو الحسن الأشعري نفسهـ رحمه الله تعالى- فالذي قرره في كتاب الإبانة، الذي هو من آخر ما صنف هو قول أهل الحديث ساقه بحروفه،

---

[1] الإبانة (ص:١٠٠-١٠١) - ت - فوقية، و (ص: ٢٩) - ط- هندية.

[2] انظر: معارج القبول (١/٣٤٣-٣٤٤) - ط- السلفية.

وجاء به برمته، واحتج فيه ببراهينهم العقلية والنقلية، ثم نقل أقوال الأئمة في ذلك كأحمد بن حنبل، ومالك بن أنس، والشافعي، وأصحابه، والحمادين، والسفيانين، وعبد العزيز بن الماجشون، والليث بن سعد، وهشام وعيسى بن يونس، وحفص بن غياث، وسعد بن عامر، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبي بكر بن عياش، ووكيع، وأبي عاصم النبيل، ويعلى بن عبيد، ومحمد بن يوسف، وبشر بن المفضل، وعبد الله ابن داود، وسلام بن أبي مطيع، وابن المبارك، وعلي بن عاصم، وأحمد بن يونس، وأبي نعيم، وقبيصة ابن عقبة، وسليمان بن داود، وأبي عبيد القاسم ابن سلام، وغيرهم، ولولا خوف الإطالة لسقنا فصول كلامه بحروفه، فإنه وإن أخطأ في تأويل بعض الآيات، وأجمل في بعض المواضع، فكلامه يدل على أنه مخالف للمنتسبين إليه من المتكلمين في مسألة القرآن، كما هو مخالف لهم في إثباته الاستواء، والنزول، والرؤية، والوجه، واليدين، والغضب، والرضا، وغير ذلك، وقد صرح في مقالاته [1] ، بأنه قائل بما قال الإمام أحمد ابن حنبل وأئمة الحديث، معتقد ما هم عليه، مثبت لما أثبتوه، محرم ما أحدث المتكلمون من تحريف الكلم عن مواضعه وصرف اللفظ عن ظاهره، وإخراجه عن حقيقته، وبالجملة فبينه وبين المنتسبين اليه بون بعيد، بل هو برئ منهم، وهم منه براء، والموعد الله وكفي بالله حسيبا، وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله" [2] . هذه أدلة الذين يرون رجوع الأشعري رجوعا كاملا الى مذهب السلف.

---

[1] أى أقواله في الإبانة، لا كتاب المقالات.

[2] معارج القبول (١/٣٤٤-٣٤٦) ، وقد علق محب الدين الخطيب هنا في الحاشية بما يؤيد قول المؤلف.

الذين يرون أنه بقى كلابيا:

أما الذين يرون أنه بقى كلابيا ولم يكن رجوعه كاملا فأشهرهم ابن حزم[١] ، وعبد الجبار الهمذاني[٢] ، وشارح الطحاوية ابن أبي العز[٣] ، وهو قول ابن تيمية وابن القيم، وهذه بعض أقوالهما في ذلك- أما شارح الطحاوية فهو ناقل عنهما.

١- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " وأبو الحسن الأشعري لما رجع عن مذهب المعتزلة سلك طريقة ابن كلاب، ومال الى أهل السنة والحديث، وانتسب إلى الامام أحمد، كما قد ذكر ذلك في كتبه كلها، كالإبانة والموجز والمقالات وغيرها، وكان مختلطا بأهل السنة والحديث كاختلاط المتكلم بهم" [٤] ، فهو ينسبه إلى مقالة ابن كلاب، ومع ذلك لا يغفل انتسابه إلى الإمام أحمد ولا كتابه الابانة، بل ينسب كلابيته إليه والى المقالات والموجز، ثم بعد كلامه عن الأشعري واثباته الصفات الخبرية وأنه ليس له فيها قولان، وإنما لأتباعه فيها قولان يقول:

"وأما مسألة قيام الأفعال الاختيارية به: فإن ابن كلاب والأشعري وغيرهما ينفونها، وعلى ذلك بنوا قولهم في مسألة القرآن وبسبب ذلك وغيره تكلم الناس

---

[١] في الفصل (٣/٢٥) - المحققة، ونسب الى الأشعري أنه يقول: إن القرآن أزلي مع الله لم يفارقه، ولا أنزل إلينا ولا سمعناه قط!، لكنه قبل ذلك ذكر قول أتباع الأشعري فيه.

[٢] في شرح الأصول الخمسة، انظر: (ص: ٥٢٨) .

[٣] في شرح الطحاوية (ص: ١٨٠) - ط- المكتب الإسلامي.

[٤] درء التعارض (٢/١٦) ، وقد نقل ابن القيم هذا الكلام في اجتماع الجيوش الاسلامية (ص: ١٨١) مؤيدا له.

فيهم في هذا الباب بما هو معروف في كتب أهل العلم، ونسبوهم الى البدعة، وبقايا بعض الاعتزال فيهم "[١]، ولم يستثن الإبانة من هذا الحكم العام[٢].

٢- ولما ذكر أن متأخري الأشعرية مالوا إلى نوع من التجهم بل الفلسفة، وفارقوا قول الأشعري وأئمة أصحابه قال: "والذى كان أئمة السنة ينكرونه على ابن كلاب والأشعري بقايا من التجهم والاعتزال، مثل اعتقاد صحة طريق الأعراض وتركيب الأجسام، وانكار اتصاف الله بالأفعال القائمة التي يشاؤها ويختارها، وأمثال ذلك من المسائل التي أشكلت على من كان أعلم من الأشعري بالسنة والحديث وأقوال السلف والأئمة، كالحارث المحاسبي، وأبي علي الثقفي، وأبي بكر بن اسحاق الصبغي ... "[٣].

٣- ولما ذكر قول من قال في كلام الله بأن حروف القرآن ليست من كلام الله وأن كلام الله معني قائم بذاته هو الأمر والنهي والخبر عقب بقوله:" وهذا القول أول من أحدثه ابن كلاب، ولكنه هو ومن أتبعه عليه كالأشعري وغيره يقولون مع ذلك: أن القرآن محفوظ بالقلوب حقيقة، متلو بالألسن حقيقة مكتوب في المصاحف حقيقة ... "[٤]، وهذا نص مهم جدا في بيان رأى شيخ الإسلام في هذا

---

[١] درء التعارض (١٨/٢) .

[٢] بل لشيخ الإسلام نص آخر في منهاج السنة (٢٢٧/٢-٢٢٩) - ط جامعة الامام- يذكر فيه أن الأشعري احتج في الإبانة بمقدمات سلمها للمعتزلة، وأنه لذلك نسب الى التناقض.

[٣] درء التعارض (٩٧/٧) .

[٤] مجموع الفتاوى (٤٢٤/٨) .

النص الوارد في الإبانة، والذى هو أحد الأدلة للذين يقولون برجوع الأشعري عن مذهب ابن كلاب الى قول أهل السنة.

٤- وذكر ابن القيم الأقوال في كلام الله ومنها قول الأشعري فقال:" المذهب الخامس: مذهب الأشعري ومن وافقه: انه معنى واحد، قائم بذات الرب، وهو صفة قديمة أزلية، ليس بحرف ولا صوت، ولا ينقسم، ولا له أبعاض، ولا له أجزاء.....[١] .

٥- وهناك كلام مهم لشيخ الإسلام ابن تيمية حول الابانة، ومن اعتقد ما فيه، فإنه قال: "فأما من قال منهم بكتاب الابانة الذى صنفه الأشعري في آخر عمره، ولم يظهر مقالة تناقض ذلك فهذا يعد من أهل السنة، لكن مجرد الانتساب الى الأشعري بدعة، لا سيما وأنه بذلك يوهم حسنا بكل من انتسب هذه النسبة، وينفتح بذلك أبواب شر" [٢] ، وقد قال ذلك لبيان أن الأشعرية حين يصفهم بعض علماء السنة بأنهم جهمية إنما يقصدون نفاة الصفات الخبرية، أما من قال بالإبانة ولم يظهر مقالة تناقض ما فيها فليس بأشعري، ويلاحظ هنا ما يلي:

أ- أن كلام ابن تيمية هنا حول الصفات الخبرية التي أولها متأخرو الأشعرية وليس الكلام عن كلام الله الذي كرر شيخ الإسلام ان الأشعري متبع فيه لابن كلاب.

---

[١] مختصر الصواعق (٢/ ٢٩١) .

[٢] الرسالة المدنية، مجموع الفتاوى (٦/٩ ٣٥-٣٦٠) .

ب- أنه قال هنا: "ولم يظهر مقالة تناقض ذلك"، ولا شك أن للأشعري أقوالا في مسألة الكلام تخالف مذهب السلف، فهل يرى شيخ الإسلام أن على الأشعري أن يعلن في الابانة- أو غيرهـ براءته من أقواله الأخرى التي وافق فيها ابن كلاب؟.

ج- وشيخ الإسلام لا يجعل أقوال الأشعري كلها بمنزلة واحدة في قربه من مذهب السلف، فهو يرى أنه لما قدم بغداد أخذ أمورا أخرى من مذهب أهل السنة غير التي أخذها في البصرة، يقول: "والأشعري وإن كان من تلامذة المعتزلة ثم تاب، فإنه كان تلميذ الجبائي، ومال الى طريقة ابن كلاب، وأخذ عن زكريا الساجي أصول الحديث بالبصرة، ثم لما قدم بغداد أخذ عن حنبلية بغداد أمورا أخرى، وذلك آخر أمره كما ذكره هو وأصحابه في كتبهم" [1] . فمنزلة الإبانة- عند شيخ الإسلام- ليست كمنزلة كتبه التي ألفها قبل قدومه إلى بغداد.

د- والدليل على أن شيخ الإسلام قصد من قوله: من قال بالإبانة فليس بأشعري- لأثبات الصفات الخبرية- أن في الإبانة أقوالا في بعض المسائل، لا توافق مذهب السلف ومنها مسألة الاستطاعة فإن الأشعري قال:" وإن أحدا لا يستطع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله" [2] ، وكذلك مسألة القدرة فإنه ذكر أن الكافرين غير قادرين على الإيمان وقال: "ووجب أن يكون الله تعالى اختص بالقدرة على الإيمان للمؤمنين" [3] وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ

---

[1] مجموع الفتاوى (٣/٢٢٨) .

[2] الإبانة (ص: ٢٣) .

[3] نفس المصدر (ص: ١٨٥) .

﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ الذاريات: ٥٦ قال "إن الله تعالى إنما عنى المؤمنين دون الكافرين "[1]، وهذا بناء على أصل قوله في القدرة والتعليل.

هـ- وأن تيمية كتب كتبه وقد اطلع على ما وصل اليه من كتب الأشعري ومنها المقالات، والإبانة، واللمع، ورسالته الى أهل الثغر، ولم يذكر في موضع أن الأشعري ترك طريقة ابن كلاب، بل كثيرا ما يمتدح ابن كلاب ويذكر أنه اكثر أثباتا واتباعا للسنة من الأشعري، وكتاب الإبانة نقل عنه كثيرا خاصة في كتبه التي رد فيها على أشاعرة عصره الذين خالفوا الأشعري في كثير من أقواله.

ومما سبق يمكن أن نستخلص أدلة من يرى أنه بقى على كلابيته فيما يلي:

١- أن الأشعري لم يذكر في الإبانة رجوعه عن مذهب ابن كلاب، وأن عباراته المتعلقة بمسألة القرآن وكلام الله ركز على الرد على المعتزلة القائلين بخلق القرآن، ولو كان يعتقد بطلان مقالة ابن كلاب- التي اتبعها- لرد عليها، وأبطلها، فدل ذلك على أن عباراته الموافقة لمذهب أهل السنة لا تعارض ما يعتقده من مذهب ابن كلاب.

٢- أن الأشعري لو كان رجوعه كاملا إلى مذهب السلف لما شنع عليه بعض علماء أهل السنة وأنكروا بعض أقواله.

الترجيح:

---

[1] نفسه (ص: ١٩٢) .

قد يكون من الصعب على الإنسان الترجيح في هذه المسألة، خاصة وأن علماء أفاضل قالوا فيها بقولهم وأدلوا برأيهم، فالفصل بينهم- مع قصر الباع وضعف القدرة- أمر شديد على النفس، ولكن لما كان الأمر لا بد فيه من ترجيح رأيت أن أدلي بدلوي في ذلك، والله الموفق.

ومنهج الترجيح قائم على تتبع كلام الأشعري في الإبانة، ومقارنته ببعض كتبه التي صرح فيها بما يوافق قول ابن كلاب ومن خلال المقارنة يتبين هل بقى كلابيا أم أنه رجع عن ذلك الى مذهب السلف؟:

ومن المعلوم أن مذهب ابن كلاب القول بأن كلام الله أزلي، ومنع أن الله يتكلم إذا شاء متى شاء، فعندهم لا يجوز أن يقال: إن الله إذا شاء تكلم وإذا شاء لم يتكلم، كما أنه إذا شاء خلق، وإذا شاء لم يخلق لأن هذا يلزم منهـ على زعمهم- حلول الحوادث بذات الله تعالى، والله تعالى ليس محلا للحوادث، وحتى يفروا من هذا قالوا بأزلية الصفات، ولم يفرقوا بين صفات الذات كالعلم والحياة والقدرة، وصفات الفعل كالكلام والرضا والغضب، ومع هذا فهم يقولون إن القرآن كلام الله غر مخلوق، ويثبتون الصفات الواردة، وقد لا ينتبه الى حقيقة مذهبهم الا من استفصل في ذلك. ولذلك جرت قصة ابن خزيمة- إمام الأئمة- مع جماعة من كبار أصحابه [1] لما نمى إلى علمه أنهم مع إثباتهم للصفات يقولون بقول ابن كلاب، فجرت لهم معه محنة طويلة استتيبوا ورجعوا، ولهذا قال ابن خزيمة عنهم:" من زعم هؤلاء الجهلة أن الله لا يكرر الكلام، فلاهم يفهمون

[1] القصة كانت بنيسابور، وكانت قرابة سنة ٣٠٩ هـ، أى بعد رجوع الأشعري واعتناقه مذهب ابن كلاب.

كتاب الله، إن الله قد أخبر في مواضع أنه خلق آدم، وكرر ذكر موسى، وحمد نفسه في مواضع، وكرر ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾ الرحمن: ١٣، ولم أتوهم أن مسلما يتوهم أن الله لا يتكلم بشيء مرتين وهذا قول من زعم أن كلام الله مخلوق، ويتوهم أنه لا يجوز أن يقول: خلق الله شيئا واحدا مرتين" [١] .

ولما اجتمعوا لمصالحة ابن خزيمة " فقال له أبو علي الثقفي: ما الذي أنكرت أيها الأستاذ من مذاهبنا حتى نرجع عنه؟ قال: ميلكم الى مذهب الكلابية، فقد كان أحمد بن حنبل من أشد الناس على عبد الله ابن سعيد بن كلاب، وعلى أصحابه مثل الحارث وغيره، حتى طال الخطاب بينه وبين أبي علي في هذا الباب، فقلت: قد جمعت أنا أصول مذاهبنا في طبق، فأخرجت إليه الطبق، فأخذه وما زال يتأمله وينظر فيه، ثم قال: لست أرى هاهنا شيئا لا أقول به، فسألته أن يكتب عليه خطه ان ذلك مذهبه، فكتب آخر تلك الأحرف، فقلت لأبي عمرو الجيري: احتفظ أنت بهذا الخط حتى ينقطع الكلام، ولا يتهم واحدا منا بالزيادة فيه، ثم تفرقنا، فما كان بأسرع من أن فصده أبو فلان وفلان وقالا: ان الأستاذ لم يتأمل ما كتب في ذلك الخط، وقد غدروا بك وغيروا صورة الحال، فقبل منهم، فبعث إلى أبي عمرو الجيري لاسترجاع خطه منه، فامتنع عليه أبو عمرو، ولم يرده حتى مات ابن خزيمة، وقد أوصيت أن يدفن معي، فأحاجه بين يدي الله تعالى فيه" [٢] .

---

[١] سير أعلام النبلاء (١٤/٣٨٠) .

[٢] سير أعلام النبلاء (١٤/٣٨٠-٣٨١) .

وقد أورد الذهبي جزءا من هذا الاعتقاد الذى كتبوه وفيه: " القرآن كلام الله تعالى، وصفة من صفات ذاته، ليس شيء من كلامه مخلوقا، ولا مفعولا ولا محدثا[١] ، فمن زعم أن شيئا منه مخلوق أو محدث، أو زعم أن الكلام من صفة الفعل فهو جهمي ضال مبتدع، وأقول: لم يزل الله متكلما، والكلام له صفة ذات، ومن زعم أن الله لم يتكلم إلا مرة، ولم يتكلم إلا ما تكلم به، ثم انقضى كلامه، كفر بالله...." [٢].

وهذا الكلام موافق لمذهب الكلابية، فقد جعل الكلام صفة ذات، وليس صفة فعل، وجعله أزليا، ثم ذكر كفر من زعم أن الله لم يتكلم إلا مرة ولم يتكلم إلا ما تكلم به وهذا حق، لكن قوله بعد ذلك ثم انقضى كلامه كفر بالله يدل على أنه يقصد أن كلام الله لازم لذاته كالعلم، وهذا قول الكلابية الذين يقولون لو قلنا إنه يتكلم بكلام بعد كلام لحلت فيه الحوادث والتغير وهذا محال على الله.

بعد هذا الاستطراد نذكر عبارات الأشعري وكلامه في الإبانة لننظر هل فيه ما يوافق مذهب ابن كلاب ام لا؟:

١- يقول في باب: أن القرآن كلام الله غير مخلوق: " فلما كان الله عز وجل لم يزل عالما، إذ لم يجز أن يكون لم يزل بخلاف العلم موصوفا، استحال أن يكون لم يزل بخلاف الكلام موصوفا، لأن خلاف الكلام الذي لا يكون معه كلام

---

[١] في المطبوعة من السير "ليس شيء من كلامه مخلوق ولا محدث" بالرفع، وهو خطأ.

[٢] سير أعلام النبلاء (١٤/٣٨١) ، ومما يدل على أن هذا الاعتقاد الذى كتبوه موافق لمذهب الكلابية أن بعض علماء الاشاعرة ذكروا أن ابن خزيمة رجع الى مذهب السلف- الذي هو مذهبهم- ومن هؤلاء البغدادي في أصول الدين (ص: ٣١٤) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص:٦٩)

سكوت أو آفة، كما أن خلاف العلم الذى لا يكون معه علم جهل أو شك أو آفة، ويستحيل أن يوصف ربنا جل وعلا بخلاف العلم، وكذلك يستحيل أن يوصف بخلاف الكلام من السكوت والآفات، فوجب لذلك أن يكون لم يزل متكلما، كما وجب أن يكون لم يزل عالما "[١].

ويلاحظ في هذا النص أن الأشعري جعل كلام الله أزليا [٢] كما أن علم الله أزلي، ثم ذكر أنه يستحيل أن يكون لم يزل بخلاف الكلام موصوفا، وخلاف الكلام يفسره بأنه سكوت أو آفة، وهذا واضح الدلالة أنه قصد أن الله لا يتكلم بكلام بعد كلام، بل كلامه كله قديم أزلى، ثم وضح ذلك بقوله:" فوجب لذلك أن يكون لم يزل متكلما كما وجب أن يكون لم يزل عالما"، ويمكن أن يقارن بكلام له مشابه في كتابه اللمع- الذى سبق أن نقلنا منه نصوصا عديدة تدل على سيره على مذهب ابن كلاب- يقول في كتابه هذا: "ومما يدل من القياس على أن الله تعالى لم يزل متكلما انه لو كان لم يزل غير متكلم - وهو ممن لا يستحيل عليه الكلام- لكان موصوفا بضد من أضداد الكلام من السكوت أو الآفة" [٣].

٢- ويقول في الإبانة في الأدلة على كلام الله وأنه غير مخلوق: "دليل آخر: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى ﴾ الكهف: ١٠٩ ، فلو كانت البحار مدادا لكتبه لنفذت البحار، وتكسرت الأقلام، ولم يلحق الفناء كلمات ربي، كما لا يلحق الفناء علم الله تعالى، ومن فني كلامه لحقته الآفات،

---

[١] الإبانة (ص: ٦٦-٦٧) - ت فوقية-.

[٢] السلف يقولون إن الله متكلم في الأزل، لكنهم يقولون إنه يتكلم بمشيته وقدرته.

[٣] اللمع (ص: ١٧) - ت- مكا رثي.

وجرى عليه السكوت، فلما لم يجز ذلك على ربنا سبحانه صح أنه لم يزل متكلما، لأنه لو لم يكن متكلما وجب السكوت والآفات، تعالى ربنا عن قول الجهمية علوا كبيرا" [١] ، فقد ربط الكلام بالعلم في كونه صفة أزلية قائمة بذات الله أزلا وأبدا، وكلمات الله لا نهاية لها كما دلت على ذلك هذه الآية وغيرها، لكنها لا تدل على أن الله لا يتكلم بكلام بعد كلام اذا شاء متى شاء، وأنه كلم موسى بعد أن لم يكن مكلما له، والأشعري جعل ضد الكلام السكوت وهذا يوحي بأنه يمنع من ذلك.

٢- والأشعري يقول ان ارادة الله أزلية، ولا يجعلها من صفات الأفعال بأنه يريد في وقت دون وقت، ويقرن الإرادة بالكلام في هذا الباب كما يربطهما جميعا بالعلم، فكما أن علم الله صفة لذاته وأنه أزلي وأنه لا يجوز أن يقال علم بعد أن لم يكن عالما لأنه يدل على وصف الله بالنقص، فكذلك الإرادة والكلام، يقول في الإبانة: "يقال لهم [أي للمعتزلة،: ألستم تزعمون أن الله تعالى لم يزل عالما؟ فمن قولهم: نعم، قيل لهم: فلم لا؟ قلتم: إن ما لم يزل عالما انه يكون في وقت من الأوقات لم يزل مريدا أن يكون في ذلك الوقت، وما لم يزل عالما انه لا يكون فلم يزل مريدا أن لا يكون، وانه لم يزل مريدا أن يكون ما علم كما علم؟ "[٢] ثم قال: "فإن قالوا: لا يجوز أن يكون علم الله محدثا، لأن من لم يكن عالما ثم علم لحقه النقصان، قيل لهم: ولا يجوز أن تكون ارادة الله محدثة مخلوقة، لأن من لم يكن مريدا ثم أراد لحقه النقصان، وكما لا يجوز أن تكون إرادته تعالى محدثة مخلوقة

---

[١] الإبانة (ص: ٦٧) - ت- فوقية.

[٢] الإبانة (ص: ١٦١) .

كذلك لا يجوز أن يكون كلامه محدثا مخلوقا"[١] ، وقد يتبادر إلى الذهن أنه قصد الرد على من قال بخلق القرآن – وهذا حق– لكنه قصد أيضا المنع من أن الله يتكلم بكلام بعد كلام بإرادته ومشيئته، وأن الله مريد إذا شاء، متي شاء وعلل ذلك بأنه يلزم منه أن يلحقه النقصان، وحتي يتضح كلامه هنا ننقل كلامه من رسالته إلى أهل الثغر– التي نص فيها في مواضع– بما يوافق ابن كلاب، فإنه بعد ذكره لقدم الصفات:

الحياة، والعلم، والإرادة، والكلام، والقدرة، والسمع، والبصر، قال: " [وأجمعوا] على أن شيئا من هذه الصفات لا يصح أن يكون محدثا؟ إذ لو كان شي منها محدثا لكان تعالى قبل حدوثها موصوفا بضدها ولو كان كذلك يخرج عن الأهلية وصار إلى حكم المحدثين الذين يلحقهم النقص، ويختلف عليهم صفات الذم والمدح، وهذا يستحيل على الله، وإذا استحال ذلك عليه وجب أن يكون لم يزل بصفة الكمال، إذ كان لا يجوز عليه الانتقال من حال من الكمال" [٢] . والذى ينتقل من حال إلى حال ويفعل بمشيئته وقدرته، فيرضى عن هذا بعد أن لم يكن راضيا عنه، ويسخط على هذا بعد أن لم يكن ساخطا عليه، ويريد أمراً بعد أن لم يكن مريدا له، ويكلم أحدا من البشر بعد أن لم يكن مكلما له، هذهـ عندهم– حوادث وتغيرات لا يجوز أن يتصف بها الله، لأن الحوادث لا تحل في ذاته.

---

[١] نفس المصدر (ص: ٦٢ ا–٦٣ ١) .

[٢] الرسالة الى أهل الثغر (ص: ٦٧–٦٨) ت: الجلنيد، وفي طبعة مكتبة العلوم والحكم ت: عبد الله شاكر (ص: ٢١٥) . ومنها:"لخرج عن الإلهة". وفيها أيضا:" الانتفال من حال إلى حال" ولعلهما أصوب.

٤- والرضا والغضب- عند الكلابية أزليان- ولذلك التزموا بالقول بالموافاة. ومقتضاها: أن الله " لم يزل راضيا عمن يعلم أنه يموت مؤمنا وإن كان أكثر عمره كافرا، ساخطا على من يعلم أنه يموت كافرا وإن كان أكثر عمره مؤمنا" [١] ، ومعناه أن لم يزل راضيا عن الصحابة، حتى وهم قبل إسلامهم يقاتلون المسلمين ويشركون بالله، ورضاه عنهم أزلي، وكذلك العكس، وهذا حتى لا يقول بتجدد الحوادث في ذاته تعالى إذا قيل إنه كان ساخطا على هذا ثم رضي عنه، يقول الأشعري في الإبانة: "ثم يقال لهم: اذا كان غضب الله غير مخلوق وكذلك رضاه وسخطه فلم لا؟ قلتم: إن كلامه غير مخلوق، ومن زعم أن غضب الله مخلوق لزمه أن غضب الله وسخطه على الكافرين يفنى، وأن رضاه عن الملائكة والنبيين يفني حتى لا يكون راضيا عن أوليائه ولا ساخطا على أعدائه، وهذا هو الخروج عن الإسلام" [٢] ، فقول الأشعري:" لزمه أن غضب الله وسخطه على الكافرين يفنى، هذا عنده خاص فيمن علم أنه يموت كافرا، أما الإنسان لو عاش سنين طويلة كافرا ثم أسلم ومات على إسلامه، فهذا- عند الأشعري- لا يجوز أن يقال إن الله كان ساخطا عليه في وقت كفره، ثم رضي عنه لما أسلم، وإنما يقال: ان الله لم يزل راضيا عنه حتى في حال كفره لأنه علم أنه يموت مؤمنا، وهذا بناء على أصله الكلابي.

٥- ولما كان من أدلة المعتزلة على قولهم أن القرآن مخلوق قوله تعالى:

---

[١] المقالات (ص: ٥٤٧) - ط- ريتر، ونسبه الأشعري إلى ابن كلاب.

[٢] الإبانة (ص: ٨٠- ٨١) .

﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٢ أجاب الأشعري عن هذه الآية بقوله: " الذكر الذى عناه الله عز وجل ليس هو القرآن، بل هو كلام الرسول – صلى الله عليه السلام – ووعظه إياهم ... " [١] ،الذى دعاه إلى هذا التأويل البعيد خوفه من أن يوصف القرآن بأنه محدث، والحدوث: في اصطلاح أهل الكلام بمعنى الخلق، فالمحدث هو الخلوق، وهذا هو الذى فر منه الأشعري، لكن الحدوث في لغة العرب يكون بمعنى التجدد، فيسمون ما تجدد حادثا، وما تقدم على غيره قديما[٢] ، فلماذا لم يفسر الأشعري هذه الآية بالمعنى الثاني وأن المقصود به القرآن؟ ولا يقتضي ذلك أن يكون مخلوقا، وقد بوب الإمام البخارى في صحيحه لذلك فقال:"باب قول الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ الرحمن: ٢٩ ،﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ الأنبياء: ٢ ، وقوله تعالى: ﴿ لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾ الطلاق: ١ ، وأن حدثه لا يشبه حدث المخلوقين لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى: ١١، وقال ابن مسعود عن النبي – صلى الله عليه السلام –: إن الله عز وجل يحدث من أمره ما يشاء، لان مما أحدث أن لا تكلموا في الصلاة"، ثم ذكر البخاري أثرين عن ابن عباس في هذا، أحدهما قوله: "كيف تسألون أهل الكتاب عن كتبهم وعندكم كتاب الله أقرب الكتب عهدا بالله، تقرأونه محضا لم يشب [٣]... " [٤]

---

[١] نفس المصدر (ص: ١٠٢) .

[٢] انظر: معجم مقاييس اللغة (٣٦/٢) ، ودرء التعارض (٣٧٤/١) ، وقد ذكر شيخ الإسلام أن هذه الآية تدل على نقيض قول المعتزلة " فإنها تدل على أن بعض الذكر محدث، وبعضه ليس بمحدث، وهو ضد قولهم".

[٣] لم يشب أي لم يخالطه غيره، الفتح (٤٩٩/١٣) .

[٤] صحيح البخاري، كتاب التوحيد، ورقم الأثر (٧٥٢٢) ، الفتح (١٣/ ٣٩٦) .

، وفي رواية أخرى لهذا الأثر "أحدث الأخبار بالله" [١] ، وهذا بناء على قول أهل السنة: إن الله يتصف بالصفات الاختيارية، وأن كلامه متعلق بالمشيئة، وأن من صفات كمال تعالى أنه لم يزل متكلما اذا شاء، وهذا الذى قال به الامام أحمد والبخاري وغيرهما وردوا على الكلابية الذين ينكرون هذا[٢].

والظاهر أن تأويل الأشعري للآية ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ الأنبياء: ٢ اشتهر عند الأشاعرة الذين التزموا هذا الأصل، ولذلك ذكره ابن حجر العسقلاني- في شرحه لباب البخاري هذا - وذكر تأويلات أخرى مشابهة، وكل ذلك فرارا مما يدل عليه ظاهر الآية، بل نقل ردود العلماء وأقوالهم في أن اقول بان المقصود بالآية القرآن "يلزم منه أن يكون الله متكلما بكلام حادث فتحل فيه الحوادث" [٣] .

هذه أقوال الأشعري من كتابه الإبانة وهي بمجموعها دالة على أنه بقي على اتباعه لابن كلاب، وإن كان لم صرح بذلك كتصريحه في كتبه الأخرى، فهو في الإبانة- بلا شك- أكثر إثباتا واتباعا لأهل السنة، وبعدا عن كلام أهل البدع، خاصة وأنه رد على المعتزلة القائلين بخلق القرآن، كما رد على الكرامية الذين يقولون: إن الله لم يكن متكلما ثم تكلم، لكنه لم يرد على أقوال الكلابية الذين اشتهر في عهده إنكار السلف عليهم.

---

[١] انظر: فتح الباري (٤٩٩/١٣) .

[٢] انظر: درء التعارض (٢٩١/٢- ٣٠١) .

[٣] فتح الباري (٤٩٨/١٣) ، وانظر: شرح ابن حجر في (٩٧١/١٣)

وهذه الملحوظات التى ذكرناها- فيما نقلناه عن الإبانة- هي التي جعلت شيخ الإسلام يذكر أن الأشعري احتج في الإبانة وغيرها بمقدمات سلمها للمعتزلة. يقول شيخ الاسلام:" وهذا من الكلام الذي بقي على الأشعري من بقايا كلام المعتزلة، فإنه خالف المعتزلة لما رجع عن مذهبهم فى أصولهم التي اشهروا فيها بمخالفة أهل السنة كإثبات الصفات والرؤية، وأن القرآن غير مخلوق، وإثبات القدر، وغير ذلك من مقالات أهل السنة والحديث، وذكر في كتاب "المقالات" أنه يقول بما ذكره عن أهل السنة والحديث.

وذكر فى الإبانة أنه يأتم بقول الإمام أحمد، قال:"فإنه الإمام الكامل والرئيس الفاضل، الذى أبان الله به الحق، وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين"، وقال:"فإن قال قائل قد انكرتم قول الجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة"، واحتج فى ضمن ذلك بمقدمات سلمها للمعتزلة، مثل هذا الكلام، فصارت المعتزلة وغيرهم من أهل الكلام يقولون: إنه متناقض فى ذلك، وكذلك سائر أهل السنة والحديث يقولون: إن هذا تناقض، وإن هذه بقية بقيت عليه من كلام المعتزلة" [1] .

بقي في أدلة الذين قالوا برجوعه رجوعا كاملا إلى مذهب السلف دليلان

- لابد من التعليق عليهما- أما بقية الأدلة فهي مجملة ومحتملة:

---

[1] منهاج السنة (١٢/٢٢٧-٢٢٩) ط جامعة الامام .

الأول: تصريح الأشعري في الإبانة بأن كلام الله مكتوب في اللوح المحفوظ في الحقيقة، متلو بالألسن في الحقيقة، محفوظ في الصدور في الحقيقة، وأن موسى- عليه الصلاة والسلام- سمع كلام الله، فهل هذا يدل على أنه لا يقول بقول ابن كلاب؟، لقد سبق في عرض أقوال ابن تيمية أنه يقول عن الكلابية: إنهم مع ذلك يقولون: القرآن محفوظ في القلوب حقيقة، متلو بالألسن حقيقة، مكتوب في المصاحف حقيقة. وشاهد ذلك أن أحد أعلام الأشاعرة- الباقلاني - صرح بأن كلام الله معنى قائم بنفسه، وأنه أزلي أبدي متكلم به في الأزل، كما هو متكلم به فيما لا يزال، لا أول لوجوده ولا آخر له، وأنه ليس بحرف ولا صوت [١] - ومع ذلك صرح بأن " كلام الله تعالى مكتوب في المصاحف على الحقيقة" [٢] ، و " مسموع لنا على الحقيقة، لكن بواسطة القارئ" [٣] ، وقال: " إن كلام الله مسموع بحاسة الآذان على الحقيقة" [٤] ، وهو يقول: إن موسى سمع كلام الله بلا واسطة لكنه يقول أيضا في قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٦ ، بأن المسموع كلام الله القديم، صفة لله تعالى قديمة موجودة بوجود قبل سماع السامع لها، وإنما الموجود بعد أن لم يكن هو سمع السامع وفهم الفاهم لكلام الله تعالى، يحدث الله تعالى له سمعا اذا أراد أن يسمعه كلامه، وفهما

---

[١] رسالة الحرة، المطبوعة باسم الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به (ص:١٠٩،٩٩،٨٩-١١٠) .

[٢] المصدر السابق (ص: ٩٣) .

[٣] نفسه (ص: ٩٤) .

[٤] رسالة الحرة (ص: ١٣٦) ، ويلاحظ أن السجزي- الذي شنع على الأشعرية- قال في رسالته الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ١٣٦) إنهم يقولون:"كلام الله مكتوب في المصاحف على الحقيقة، وليس بحروف".

إذا أراد أن يفهمه كلامه" [١] .فلم يدل قوله: أن موسى سمع كلام الله أنه لا يقول بقول ابن كلاب.

الثاني: أن الأشعري فرق في كتابه "المقالات" بين أهل الحديث، والكلابية، وهذا دليل مهم، ويلقي ظلالا من الشك في تبعيته لابن كلاب، ومع ذلك فيلاحظ ما يلي:

١- ان هذا الكتاب في مقالات أهل الإسلام، يحكي فيه الأقوال دون أن يذكر معتقده في كل مسألة يعرض لها، ولذلك لم يرد على المعتزلة أو الرافضة أو الخوارج أو المرجئة أو الجهمية أو غيرهم، بل حكى أقوالهم وسكت إلا نادرا. ومن غير المعقول- وهو الخبير بمقالات أهل الكلام- أن لا يفرد مقالات ابن كلاب أو الكلابية، وهم المتميزون عن كل من المعتزلة وأهل الحديث.

٢- أن الأشعري لم يكن خبيرا بأقوال أهل الحديث، ولذلك نسب إليهم قولين ليسا من أقوال أهل الحديث- وقد سبق ذكرهما عند الحديث عن مؤلفات الأشعري ومنهجه في كتاب المقالات- ولما ذكر مقالتهم بإجمال ذكر انتسابه إليهم وقوله بقولهم، فلما ذكر مقالة ابن كلاب قال: " فأما أصحاب عبد الله ابن سعيد القطان فإنهم يقولون بأكثر ما ذكرناه عن أهل السنة" [٢] ، ثم ذكر بعض أقوالهم، إذا هو لا يجعل الكلابية بعيدين عن أهل السنة والحديث.

---

[١] رسالة الحرة (ص: ٩٤- هـ ٩) .

[٢] المقالات (ص: ٢٩٨) .

٣- إن المسألة التي تميز أهل السنة عن الكلابية وهي مسألة كلام الله والقرآن لم يذكرها الأشعري في عرضه لمقالة أهل الحديث، بل قال كلاما مجملا قصيرا، وهذا نصه: "ويقولون: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في الوقف واللفظ: من قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال: اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق" [١] ، لكنه لما ذكر مسألة القرآن ذكر قول ابن كلاب فيها تفصيلا [٢] ، ثم ذكر أقوال غيره من المعتزلة وغيرهم، وذكر مسائل كثيرة متفرعة، ولم يذكر لنفسه أو لمن يقول بقولهم- كما يعبر أحيانا بقوله: قال أهل الحق، أو الإثبات، أو أهل الإسلام، أو أهل السنة، أو الاستقامة ... - قولا في ذلك، فإذا لم يكن شرح قول أهل الحديث عند ذكره لمقالتهم، ولا ذكر مقالتهم عند تفصيل القول في ذلك، فما هو قول الأشعري في هذه المسألة؟، علما بأن الأشعري ذكر قوله صراحة في بعض المسائل مثل مسألة " الكسب" [٣] ، وهل الله موصوف بالقدرة على أن يضطر عباده الى إيمان وكفر؟[٤] .

٣- ثم إن الأشعري ذكر في ثنايا عرضه للأقوال في كتابه المقالات ما يدل على كلابيته، فمثلا: ذكر في مسألة القول بأن الله قادر اختلاف المتكلمين في: هل يوصف البارئ بأنه قادر على الأعراض، فقال: " قال المسلمون كلهم أجمعون- إلا معمرا-: إن الله قادر على الأعراض والحركات والسكون والألوان والحياة والموت والصحة والمرض والقدرة والعجز وسائر الأعراض، وقال

---

[١] المقا لات (ص: ٢٩٢) .

[٢] نفسه (ص: ٥٨٤) .

[٣] المقا لات (ص: ٥٣٩- ٥٤٢) .

[٤] نفسه (ص:٥٥٢) .

معمر: بالتعجيز لله، وأنه لا يوصف القديم بأنه قادر إلا على الجواهر، وأما الأعراض فلا يجوز أن يوصف بالقدرة عليها ... وأن من قدر على الحركة قدر أن يتحرك ... "، فرد عليه الأشعري بقوله: " فيقال له إذا قلت: إن البارئ قادر على التحريك والتسكين، فقل قادر على أن يتحرك ويسكن، فإن كان من قدر على تحريك غيره وتسكينه لا يوصف بالقدرة أن يتحرك، فكذلك من وصف بالقدرة على حركة غيره لا يوصف بالقدرة على أن يتحرك"- ثم قال الأشعري-: "وخالف أهل الحق أهل القدر ومعمرا في ذلك فقالوا: قد يوصف القديم بالقدرة على إنشاء الحركة ولا يوصف بالقدرة على التحرك" .[1]

٤- والحركة من الحوادث التي لا يجوز أن تحل بالله عند الكلابية، ولهذا قال الأشعري في رسالته إلى أهل الثغر في صفة المجيء لله:"ليس مجيئه حركة ولا زوالا" [2] . فرد الأشعري على معمر المعتزلي ثم نسبته إلى أهل الحق هذا القول يدل ميله إلى هذا الأصل الكلابي، علما بأن لفظ الحركة أطلقه بعض السلف ومنعه البعض لأنه لم يرد، ويذكر العلماء هذا الكلام في مبحث الصفات الفعلية الاختيارية لله تعالى مثل المجيء والنزول.

مثال آخر: ذكر الأشعري الأقوال في أن الباري متكلم، فذكر أقوال المعتزلة ثم قال: " وقالت شرذمة: إن الله لم يزل متكلما، بمعني أنه لم يزل مقتدرا على الكلام، وأن كلام الله محدث، وافترقوا فرقتين: فقال بعضهم مخلوق، وقال بعضهم غير مخلوق " ثم قال: " وقال ابن كلاب: إن الله لم يزل متكلما، والكلام

---

[1] نفسه (ص: ٥٤٨-٥٤٥) .

[2] الرسالة الى أهل الثغر (ص: ٧٣) .

من صفات النفس كالعلم والقدرة "[١]. ولا أدري من يقصد بهذه الشرذمة، خاصة وأن منهم من يقول: إن كلام الله غير مخلوق، وقد ذكر فيما بعد قول داود الأصبهاني فقال: "وبلغني عن بعض المتفقهة أنه كان يقول: إن الله لم يزل متكلما بمعني أنه لم يزل قادرا على الكلام، ويقول: إن كلام الله محدث غير مخلوق وهذا قول داود الأصبهاني [٢] ، وقول داود مبني على أن كلام الله من صفات الفعل، فهو أزلي، ويتكلم إذا شاء متى شاء، وعرض الأشعري للقضية يدل على ميل عنده عن هذا القول.

وقال الأشعري في معرض الإنكار على المعتزلة: " وأنكروا أن يكون الباري سبحانه لم يزل مريدا متكلما، راضيا، ساخطا، موالیا معاديا، جوادا، حكيما، عادلا محسنا، صادقا، خالقا، رازقا، وزعموا أن هذا أجمع من صفات الأفعال" [٣] ، فما معني الإنكار منه أن تكون أو بعضها صفات أفعال الله؟.

فهذه الأدلة تدل على ما رجحه شيخ الاسلام ابن تيمية من أن الأشعري وإن كان في الإبانة قد قرب كثيرا من مذهب أهل السنة إلا أنه قد بقيت عليه بقايا من مذهب ابن كلاب، والله أعلم.

---

[١] المقالات (ص ٥١٧) – ريتر–

[٢] نفس المصدر (ص: ٥٨٣) .

[٣] نفس المصدر (ص: ٥٠٥) .

ثامنا: عقيدته

قبل بيان عقيدته لابد من توضيح بعض الأمور:

الأمر الأول:

أن المصادر التي يرجع إليها في بيان عقيدته هي كتبه الثابتة عنه، أما ماعدا ذلك من المصادر فالجزم بنسبة القول إليه منها لا يخلو من محاذير، والسبب في ذلك - فوق ما في النقل من مظنة تغير العبارات أو الزيادة والنقص- أن الأشعري بالذات له منزلة خاصة لدى أتباعه الذين ينتسبون إليه، والذين طوروا مذهبه وغيروا فيه واقتربوا كثيرا من المعتزلة، لذلك فأقواله التي تخالف ما هم عليه لن تكون محل ارتياح لهم مما قد يؤدى الى تحريف كلامه وأن ينسب إليه ما لم يقله. وأقرب مثال على ذلك مسألة الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعين فقد نسب اليه المتأخرون أن له فيها قولين: الإثبات مع التفويض أو التأويل، وهذا غير صحيح مطلقا.

الأمر الثاني:

جمع ابن فورك مقالات الأشعري في كتاب كبير، وذكر فيه قضايا عديدة من مسائل العقيدة، ومن دقائق علم الكلام، مما لم يوجد في كتبه التي وصلت إلينا، وقد قال محقق الكتاب عن قيمته بالنسبة لفكر الأشعري: " سوف تدرك - دون كبير جهد- أهمية هذا الكتاب البالغة، صحيح أن فكر الأشعري لم يكن مجهولا

لدينا تماما، فالجوهري منه على الأقل قد وصلنا، خصوصا في كتاب " اللمع" إلا أن ذلك يعد نزرا يسيرا إذا ما قيس بفيض المعلومات التي يزودنا بها كتاب المجرد، ولعلنا لا نبالغ كثيرا إذا نحن تحدثنا بهذا الخصوص عن بعث لفكر الأشعري، ذلك أننا هنا إذا كان البعض لا يزال يشك- لفرط ما كان الأشعري ضحية للأفكار الخاطئة- أننا هنا أمام فكر الأشعري الحقيقي كاملا غير منقوص، لا يؤكد ذلك فقط أن مرجعنا هو ابن فورك، ولا يؤكد ذلك فقط الرجوع الكثير إلى مؤلفات الأشعري " إلى ثلاثين منها، وبعضها يذكر أكثر من عشر مرات" وإنما كذلك المطابقة التامة بين الآراء التي يوردها الكتاب وبين الآراء التي ترد في اللمع أو تلك التي ينقلها أبو منصور البغدادي والجويني وأبو القاسم الأنصاري وغيرهم ".

" هكذا يستعيد الأشعري بصورة نهائية هويته الحقيقية: هويته لا بوصفه تلميذا إمعا لابن حنبل، وإنما باعتباره متكلما حقيقيا من متكلمي عصره، وتلميذا خليقا بشيخه أبى علي الجبائي، متكلما كشيخه، يقطع برأي نفسه في المسائل المختلفة، ويخوض ببراعة شيخه في جميع لطائف "دقيق" الكلام، هويته كرجل استحق بجدارة أن يطلق اسمه على كل المدرسة التي انتسبت إليه" [1] .

ولا شك أن من اطلع على "المجرد" يرى أن هذا الكلام صحيح في الجملة، ويعلل كثيرا من الأمور- المثيرة للتساؤل- ومنها: لماذا كان موقف علماء السلف

[1] المجرد، مقدمة المحقق (ص: ٤- هـ) - ت-- دانيال جيماريه.

من الأشعري بهذه الشدة؟، ولماذا نسبت هذه المدرسة- التي قربت كثيرا في مراحلها الأخيرة من المعتزلة- إلى أبي الحسن الأشعري دون غيره؟.

ومع ذلك فالكتاب منطو على مشكلة- عسير حلها- ألا وهي مدى الدقة في نسبة الأقوال إلى الأشعري في هذا الكتاب لأن ابن فورك تصرف في النقل- كما أشار إلى ذلك في مقدمة وخاتمة الكتاب- وقد سبق شرح ذلك في آخر مؤلفات الأشعري[١].

لذلك فكتاب المجرد يعطي رأيا مجملا في منهج الأشعري الكلامي وأنه خاض في هذه القضايا كلها خوض أهل الكلام، لكنه لا يعطي رأيا محددا في مسألة معينة يمكن أن نطمئن على أنها من كلام الأشعري الا بعد مقارنات بما نقله عنه الآخرون.

الأمر الثالث:

لاشك أن الأشعري جاء بقول توسط فيه بين أقوال المعتزلة وأقوال أهل السنة: أ- فطبيعة نشأته في أحضان الاعتزال بقي تأثيرها على منهجه بعد رجوعه[٢] : وتمثل ذلك في:

---

[١] (ص: ٣٥٩-٣٦٣) .

[٢] ذكر ابن عساكر عن الأشعري: أنه قال في بعض عباراته مع مخالفيه:" إني أظهرت بدعة أنقض بها كفرهم"، التبيين (ص: ٩٧) ، وانظر تعليق ابن عساكر وجوابه عن هذا، ولما سئل الأشعري وقيل له: كيف تخالط أهل البدع وقد أمرت بهجرهم أجاب عن ذلك بأنه لابد من إظهار الحق ومعرفة أن لأهل السنة ناصرا، انظر: جوابه في التبيين أيضا (ص: ١١٦) .

١- خبرته بأقوال أهل الكلام ومعرفة دقائق أقوالهم.

٢- قلة خبرته بأقوال أهل السنة، ولذلك لا ينقل أقوالهم مفصلة بالطرق التي ينقلونها، ثم قد ينسب إليهم مالم يقولوه.

٣- قوله بأقوال ابن كلاب، خاصة فيما يتعلق بالصفات الاختيارية.

ب- ورجوعه عن الاعتزال جعله يقول بكثير من أقوال أهل النسة وتمثل ذلك في:

١ - إثبات الصفات لله ومنها الصفات الخبرية وإقرارها كما جاءت.

٢ - إثبات العلو والاستواء والرؤية خلافا للمعتزلة.

٣- إثبات السمعيات، ومنها أمور خالف فيها المعتزلة أو بعضهم مثل الشفاعة، وعذاب القبر، وغيرها.

٤ - الاستدلال بالنصوص من الكتاب والسنة، وموافقة إجماع السلف.

والآن نذكر باختصار عقيدته:

أ- إثبات وجود الله:

يحتج الأشعري على وجود الله بخلق الإنسان، يقول في اللمع " إن سأل سائل فقال ما الدليل على أن للخلق صانعا صنعه ومدبرا دبره؟ قيل: الدليل على ذلك أن الانسان الذي هو في غاية الكمال والتمام كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم لحما وعظاما ودما، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال الى حال، لأنا نراه في حال

كمال قوته وتمام عقله لا يقدر أن يحدث لنفسه سمعا ولا بصرا، ولا أن يخلق لنفسه جارحة، يدل ذلك على أنه في حال ضعفه ونقصانه عن فعل ذلك أعجز؛ لأن ما قدر عليه في حال النقصان فهو في حال الكمال عليه أقدر، ومما عجز عنه في حال الكمال فهو في حال النقصان عنه أعجز، ورأيناه طفلا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا، وقد علمنا أنه لم ينقل نفسه من حال الشباب الى حال الكبر والهرم لأن الإنسان لو جهد أن يزيل عن نفسه الكبر والهرم ويردها إلى حال الشباب لم يمكنه ذلك فدل ما وصفنا على أنه ليس هو الذى ينقل نفسه ني هذه الأحوال وأن له ناقلا نقله من حال الى حال ودبره على ما هو عليه، لأنه لا يجوز انتقاله من حال إلى حال بغير ناقل ولا مدبر" [1] ، ثم يشرح ذلك بأن القطن لا يتحول غزلا مفتولا ثم ثوبا منسوجا بغير ناسج ولا صانع[2] .

واحتج بنفس الدليل في رسالته إلى أهل الثغر فقال:" ونبههم على حدثهم بما فيهم من اختلاف الصور والهيآت، وغرر ذلك من اختلاف اللغات، وكشف لهم عن طريق معرفة الفاعل لهم بما فيهم وفي غيرهم بما يقتضى وجوده، ويدل على إرادته وتدبيره حيث قال عز وجل﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الذاريات: ٢١ ، فنبههم عز وجل بتقلبهم في سائر الهيئات التي كانوا عليها على ذلك وصرح بقوله عز وجل: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾

---

[1] اللمع (ص: ٦) – ط– مكارثي.

[2] انظر: نفس المصدر (ص: ٦–٧) .

ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ المؤمنون: ١٢ - ١٤[1] .

لكن الأشعري لما شرح ذلك أتى باستدلال لا يسلم له حين قال معلقا على الآيات السابقات: "وهذا من أوضح ما يقتضي الدلالة على حدث الإنسان ووجود المحدث له، من قبل أن العلم قد أحاط بأن كل متغير لا يكون قديما، وذلك أن تغيره يقتضي مفارقة حال كان عليها قبل تغيره، وكونه قديما ينفي تلك الحال ... "[2]. فقد ذكر أمرين: إثبات حدث الإنسان، وإثبات وجود المحدث له، فاستدل للأول بالتغير الذى يحدث للإنسان وتقلبه من حال الى حال وأن هذا يقتضي حدوثه، ثم استدل بذلك على وجود المحدث له لأن كل متغير لا يكون قديما، وهذا مبني على ما سبق بيانه من نفى حلول الحوادث الذى يقول به الأشعري، والخلاصة أن الاستدلال بحدوث الانسان وخلقه على خالقه دليل صحيح وهو الذي جاء به القرآن، أما الاستدلال على حدث الانسان بتغيره، ثم ربط التغير بالمحدث (الخالق) - وانه لا يكون متغيرا والا لكان محدثا؛ غير مسلم.

أما دليل الأعراض وحدوث الأجسام الذى احتج به المتكلمون، وقالوا: إن إثبات الصانع لا يتم الا بإثبات حدوث الأجسام، ولا يتم إثبات حدوث الأجسام إلا بإثبات حدوث صفاتها (الأعراض) ، ورتبوا على ذلك نفى الصفات عن الله أو بعضها، فقد بين الأشعري أن الرسل لم يدعوا إليه، يقول: " فأما ما دعاهم إليه عليه الصلاة والسلام من معرفة حدثهم ومعرفة محدثهم،

---

[1] الرسالة الى أهل الثغر (ص:،٣- هـ ٣) .

[2] نفس المصدر (ص: ٣٥) .

ومعرفة أسمائه الحسنى وصفاته العليا، وعدله وحكمته، فقد بين لهم وجوه الأدلة في جميعه حتي ثلجت صدورهم به واستغنوا عن استئناف الأدلة فيه، وبلغوا جميع ما وقفوا عليه من ذلك واتفقوا عليه إلى من جاء بعدهم، فكان عذرهم فيما دعوا إليه من ذلك مقطوعا بما [١] نبههم النبي – صلى الله عليه السلام – من الأدلة على ذلك وما شاهدوه من آياته الدالة على صدقه ... وجميع ما اتفقوا عليه من الأصول مشهور في أهل النقل الذين عنوا بحفظ ذلك وانقطعوا إلى الاحتياط فيه، والاجتهاد في طلب الطرق الصحيحة إليه من المحدثين والفقهاء، يعلمه أكابرهم أصاغرهم ويدرسونه صبيانهم في كتاتيبهم لتقرر ذلك عندهم وشهرته فيهم، واستغنائهم في العلم بصحة جميع ذلك بالأدلة التي نبههم صاحب الشريعة عليها في وقت دعوته" [٢]، ثم بعد هذه المقدمة المركزة لبيان استغناء الصحابة ومن بعدهم بأدلة الكتاب والسنة قال عن دليل الأعراض: " واعلموا أرشدكم الله أن ما دل على صدق النبي – صلى الله عليه السلام – من المعجزات بعد تنبيهه لسائر المكلفين على حدثهم ووجود المحدث لهم قد أوجب صحة اخباره ودل على أن ما أتي به من الكتاب والسنة من عند الله عز وجل، وإذا ثبت بالآيات صدقه فقد علم صحة كل ما أخبر به النبي – صلى الله عليه السلام – عنه وصارت أخباره عليه الصلاة والسلام أدلة على صحة سائر ما دعا اليه من الأمور الغائبة عن حواسنا، وصفات فعله، وصار خبره عليه الصلاة والسلام عن ذلك سبيلا إلى إدراكه، وطريقا إلى العلم بحقيقته، وكان يستدل به من اخباره عليه الصلاة والسلام على ذلك أوضح دلالة من دلالة الأعراض التي اعتمد على الاستدلال

---

[١] في المطبوعة، الجليند "بها" والتصويب من المخطوطة (ص: ٦) ، ودرء التعارض (٢٠٧/٧) .

[٢] الرسالة إلى أهل الثغر (ص: ٥٢-٥٤) .

بها الفلاسفة ومن اتبعها من القدرية وأهل البدع المنحرفين عن الرسل عليهم السلام" [١] ، لكن الأشعري يعلل ذلك ليس ببطلانها في ذاتها وإنما لأمور أخرى يقول- بعد الكلام السابق-:"من قبل أن الأعراض لا يصح الاستدلال بها إلا بعد رتب كثيرة يطول الخلاف فيها، ويدق الكلام عليها" [٢] - ثم شرح ذلك ثم قال-:"وإذا كان ذلك على ما وصفنا بان لكم أرشدكم الله أن طرق الاستدلال بأخبارهم عليهم السلام على سائر ما دعينا إلى معرفته مما لا يدرك بالحواس، أوضح من الاستدلال بالأعراض؛ إذ كانت أقرب إلى البيان على حكم ما شوهد من أدلتهم المحسوسة مما اعتمدت عليه الفلاسفة ومن اتبعهم من أهل الأهواء.."[٣] .

ب- وحدانية الله:

يستدل الأشعري لذلك بدليل التمانع، وقد شرحه بقوله "لأن الاثنين لا يجري تدبيرهما على نظام، ولا يتسق على احكام، ولابد أن يلحقهما العجز أو واحدا منهما، لأن أحدهما اذا أراد أن يحيى انسانا وأراد الآخر أن يميته لم يخل أن يتم مرادهما جميعا، أو لا يتم مرادهما، أويتم مراد أحدهما دون الآخر، ويستحيل أن يتم مرادهما جميعا لأنه يستحيل أن يكون الجسم حيا ميتا في حال واحدة، وإن لم يتم مرادهما جميعا وجب عجزهما، والعاجز لا يكون إلها ولا قديما، وإن تم مراد أحدهما دون الآخر وجب العجز لمن لم يتم مراده منهما، والعاجز لا يكون إلها ولا

---

[١] الرسالة إلى أهل الثغر (ص: ٥٤-٥٥) .

[٢] المصدر السايق (ص: ٥٥) .

[٣] المصدر السابق (ص: ٥٧) .

قديما، فدل ما قلناه على أن صانع الأشياء واحد، وقد قال تعالى: ﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢ ، فهذا معنى احتجاجنا آنفا"[1] .

ودليل التمانع احتج به العلماء، وهو دليل صحيح، أما الاستدلال له بآية﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾الأنبياء: ٢٢ ، فقد بناه الأشعري على رأيه في معنى الإله وأن المقصود به: القادر على الاختراع والخلق، ففسر الألوهية بتوحيد الربوبية، يقول الشهرستاني:"قال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري: إذا كان الخالق على الحقيقة هو الباري تعالى، لا يشركه في الخلق غيره، فأخص وصفه تعالى هو: القدرة على الاختراع، قال: وهذا هو تفسير اسمه تعالى: الله" [2] .

والآية إنما هي في توحيد الألوهية، وأما توحيد الربوبية فقد كان المشركون وجميع الأمم مقرين به، ولذلك جاءت الرسل بتقرير توحيد الألوهية والرد على المشركين فيه، واحتجوا على ذلك بتوحيد الربوبية، لأنه مستلزم له، أما توحيد الألوهية- الذى دلت عليه الآية- فهو متضمن لتوحيد الربوبية.

ج- عقيدته في الأسماء والصفات:

أما الأسماء:

---

[1] اللمع (ص: ٨) - ت مكارثي، وذكره أيضا مع الإحتجاج بالآية في الرسالة إلى أهل الثغر (ص:٤١) .

[2] الملل والنحل (١/ ١٠٠) ، وذكره في نهاية الإقدام (ص: ٩١) ، كما ذكره ابن فورك في المجرد (ص: ٤٧) ، والبغدادي في أصول الدين (ص: ١٢٣) .

فيثبت الأشعري جميع ما ورد من أسماء الله تعالى، ويعتمد في ذلك على السمع فقط، فما ورد أثبته، ومالم يرد سكت عن إثباته، ولذلك ناظر أبا علي الجبائي حول هل يسمى الله عاقلا مستخدما هذا المنهج [١] .

وأما الصفات:

فإنه أثبت أيضا ما ورد في النصوص، وإن كان قد استدل لبعضها بالأدلة العقلية إلا أنه جعل أدلة السمع هي المقدمة، ويمكن تفصيل أقواله في الصفات كما يلي:

١ – الصفات العقلية:

وهي صفات الذات العقلية التي يسميها المتكلمون صفات المعاني، وهي سبع صفات: العلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والكلام والإرادة.

والأشعري يثبت هذه الصفات ويستدل لها بالنصوص وبالعقل، يقول عن أهل السنة: "وأجمعوا على إثبات حياة لله عز وجل لم يزل بها حيا، وعلما لم يزل به عالما، وقدرة لم يزل بها قادرا، وكلاما لم يزل به متكلما، وإرادة لم يزل بها مريدا، وسمعا وبصرا لم يزل به سميعا بصيرا" [٢] ، ثم ذكر قدم هذه الصفات، وأن صفاته لا تشبه صفات المخلوقين كما أن نفسه لا تشبه أنفس المخلوقين، ويحتج على ذلك بدلالة الأسماء على الصفات فيقول: "واستدلوا على ذلك بأنه لو لم يكن له عز

---

[١] سبق عند الحديث عن أسباب رجوع الأشعري.

[٢] الرسالة إلى أهل الثغر (ص: ٦٧) .

وجل هذه الصفات لم يكن موصوفا بشيء منها في الحقيقة، ومن لم يكن له فعل لم يكن فاعلا في الحقيقة، ومن لم يكن له إحسان لم يكن محسنا، ومن لم يكن له كلام لم يكن متكلما في الحقيقة، ومن لم يكن له إرادة لم يكن في الحقيقة مريدا، وإن وصف شيء من ذلك مع عدم الصفات التي توجب هذه الأوصاف له لا يكون مستحقا لذلك في الحقيقة، وإنما يكون وصفه مجازا أو كذبا ... وذلك أن هذه أوصاف مشتقة من أخص أسماء هذه الصفات ودالة عليها ... "[١] .

ويقول في اللمع: "فإن قال قائل: لم قلتم: أن للباري تعالى علما به علم؟ قيل له: لأن الصنائع الحكمية كما لا تقع منا إلا من عالم كذلك لا تحدث منا إلا من ذي علم، فلو لم تدل الصنائع على علم من ظهرت منه منا، لم تدل على أن من ظهرت منه منا فهو عالم" [٢] . ثم قال: "والدليل على أن الله تعالى قدرة وحياة كالدليل على أن الله تعالى علما، وقد قال الله جل ذكره ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ النساء: ١٦٦ ، وقال: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ فاطر: ١١ ، فثبت العلم لنفسه، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فصلت: ١٥ ، فثبت القوة لنفسه" [٣] . وفي الإبانة يذكر الأدلة السمعية على العلم وغيره [٤] ، ثم يذكر في معرض الرد على المعتزلة الدليل العقلي فيقول:" فإن قالوا: قلنا: ان الله عالم لأنه صنع العالم على ما فيه من آثار الحكمة وأتساق التدبير، قيل لهم: فلم لا قلتم إن لله علما بما ظهر في العالم من حكمة وآثار تدبيره؟؛ لأن الصنائع الحكمية لا تظهر إلا

---

[١] الرسالة إلى أهل الثغر (ص: ٦٨-٦٩) ، وأشار إلى ذلك في الإبانة (ص: ١٥١) - ت- فوقية.

[٢] اللمع (ص: ١٢) - مكارثي-، و (ص: ٢٦- ٢٧) - ت- غرابة.

[٣] اللمع (ص: ١٣- ١٤) - مكارثي-.

[٤] انظر: الإبانة (ص: ٢٢-١٤١،٢٣) - ت- فوقية.

من ذي علم كالا يظهر الا من عالم، وكذلك لا تظهر الا من ذى قوة كا لا تظهر إلا من قادر" [١] .

٢- الصفات الفعلية:

وهي الصفات المتعلقة بإرادة الله ومشيئته مثل الكلام- وهو صفة ذات أيضا- والاستواء، والنزول، والمجيء، والضحك، والغضب، والرضا، والمحبة، والتعجب، وغيرهما.

وقد سبق بيان أن الأشعري لا يقول بالصفات الاختيارية ويبني ذلك على أن الله لا تحله الحوادث [٢] .

لكن الأشعري يثبت ما ورد في النصوص منها، ويتأولها بأحد أمرين:

أ- إما أن يجعل الصفة أزلية، قديمة مع الله، لا يتجدد له فيها حال كما يشاء، وذلك مثل الكلام، والمحبة، والرضا.

ب- وإما أن يجعل مقتضي الصفة مفعولا منفصلا عن الله لا يقوم بذاته كالخلق، فإن الله خلق الخلق فلم تحل بذاته حوادث لأن الخلق هو المخلوق، وكذلك يقول في الاستواء والنزول: إنه لا تقوم بالله صفة وإنما فعل فعلا في العرش سماه استواء، كما فعل في سماء الدنيا فعلا سماه نزولا.

---

[١] الإبانة (ص:١٤٨-١٤٩) ، وانظر: (ص:١٥٦-١٥٩) ، وانظر: أيضا اللمع (ص: ١١-١٢) - مكارثي-.

[٢] عند الحديث عن أطوار الأشعري.

ونذكر نماذج من كلامه في هذه الصفات:

- الكلام:

يثبت أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ويذكر لذلك الأدلة من القرآن، ويرد على المعتزلة، يقول: "إن قال قائل: لم قلتم إن الله تعالى لم يزل متكلما وإن كلام الله تعالى غير مخلوق؟ قيل له: لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾ النحل: ٤٠ ، فلو كان القرآن مخلوقا لكان الله تعالى قائلا له: كن، والقرآن قوله، ويستحيل أن يكون قوله مقولا له، لأن هذا يوجب قولا ثانيا، والقول في القول الثاني وفي تعلقه بقول ثالث كالقول في القول الأول وتعلقه بقول ثان، وهذا يقتضي مالا نهاية له من الأقوال، وذلك فاسد، وإذا فسد ذلك فسد أن يكون القرآن مخلوقا" [١] .

وفي الإبانة يذكر أدلة أخرى ومنها، قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾الأعراف: ٥٤ ، ففرق بين الأمر والخلق [٢] ، كما يحتج بقوله تعالى﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ النساء: ١٦٤ ، "والتكليم هو المشافهة بالكلام، ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم حالا في غيره مخلوقا في شيء سواه، كما لا يجوز ذلك في العلم" [٣] ، كما يذكر من الأدلة أن أسماء الله في القرآن، فكيف يكون مخلوقا [٤] .

---

[١] اللمع (ص: ١٥) - مكارثي-، وانظر: الإبانة (ص: ٦٥) .

[٢] انظر: الإبانة (ص: ٦٣- ٦٤) .

[٣] نفس المصدر (ص: ٧٢) .

[٤] انظر: نفس المصدر (ص: ٧٣) .

ويذكر ما ورد من الروايات عن الامام أحمد وغيره في أن القرآن غير مخلوق[١]

ويرد على من توقف في القرآن، وقال لا أقول: إنه مخلوق ولا إنه غير مخلوق، ويقول لهم- بعد المناقشة-:" يلزمكم أن تتوقفوا في كل ما اختلف الناس فيه ولا تقدموا في ذلك على قول، فإن جاز لكم أن تقولوا ببعض تأويل المسلمين اذا دل على صحتها دليل، فلم لا قلتم: إن القرآن غير مخلوق بالحجج التي ذكرناها في كتابنا هذا "[٢] .

ثم يذكر أن كلام الله في اللوح المحفوظ، وفي صدور الذين أوتوا العلم

وهو متلو بالألسنة، ويقول: "والقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة، محفوظ في صدورنا في الحقيقة، متلو بألسنتنا في الحقيقة، مسموع لنا في الحقيقة؟ قال تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ التوبة: ٦[٣] .

وأما مسألة اللفظ بالقرآن فإنه ينكر ذلك ويقول: "القرآن يقرأ في الحقيقة ويتلي، ولا يجوز أن يقال يلفظ به لأن القائل لا يجوز له أن يقول: إن كلام الله ملفوظ به، لأن العرب إذا قال قائلهم لفظت باللقمة من فمي فمعناه رميت بها، وكلام الله لا يقال يلفظ به، وإنما يقال: يقرأ ويتلي ويكتب ويحفظ، وإنما قال قوم: لفظنا بالقرآن ليثبتوا أنه مخلوق ويزينوا بدعتهم وقولهم بخلقه ... "[٤] .

---

[١] الإبانة (ص: ٨٧- ٩٦) .

[٢] المصدر السابق (ص: ٩٩) .

[٣] نفس المصدر (.. ا- ١٠١) .

[٤] نفسه (ص:١٠١) .

وفي اللمع يشرح عقيدته في كلام الله وأنه أزلي ويبنيه على مسألة حلول الحوادث[١].

لكن بقي في مسألة الكلام ما نسب إلى الأشعري من أنه يقول: إن كلام الله واحد، وأنه معنى قائم بذات الله تعالى، وأنه لم يزل متصفا بكونه أمرا ونهيا وخبرا، وأنه ليس بحروف ولا أصوات.

فهذه الأقوال بذاتها لم نجدها منصوصا عليها في كتبه الموجودة، لكن نسبها إليه أعلام الأشاعرة وغيرهم، كابن فورك، والجويني، والشهرستاني، وأبي نصر السجزي[٢]، ونقلها عن هؤلاء من جاء بعدهم.

- الاستواء والعلو:

أثبت الاستواء واستدل به وبغيره على إثبات علو الله تعالى، يقول: " إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول إن الله عز وجل مستو على عرشه؟ قال: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ طه: ٥ ، وقد قال الله عز وجل: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ فاطر: ١٠ ، وقال: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ﴾ النساء: ١٥٨ ، وقال عز وجل: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ ﴾ السجدة: ٥ وقال حكاية عن فرعون: ﴿ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ غافر: ٣٦ - ٣٧ ، كذب موسى عليه السلام

---

[١] انظر: اللمع (ص: ٢٢-٢٣) - ط مكارثي-

[٢] انظر: المجرد (ص: ٦٧) ، وا لإ رشاد (ص:١٢٠) ، ونهاية الإقدام (ص:٣٢٠،٣١٣،٣٠٤) ، والملل والنحل للشهرستاني (٩٦/١) ، والرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ٩٥، ١١٩) مطبوع على الآلة الكاتبة.

في قوله: إن الله عز وجل فوق السموات، وقال عز وجل: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ الملك: ١٦ ، فالسموات فوقها العرش فلما كان العرش فوق السموات قال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ لأنه مستو على العرش الذي فوق السموات ... " [١] ، ثم رد على المعتزلة والجهمية وغيرهم في تأويلهم الاستواء بالاستيلاء والملك والقهر، وقولهم: إن الله في كل مكان، وناقشهم نقاشا قويا مركزا، ثم احتج على الاستواء والعلو بأحاديث النزول، وبأدلة أخرى[٢] . هذا مذهب الأشعري وقوله في الاستواء نم ذكره في الإبانة والرسالة إلى أهل الثغر، لكن نجد أن أتباعه ينسبون إليه تفسيرا للاستواء، نذكره لأن مجموعة منهم نسب اليه ذلك، يقول البيهقي: "وذهب أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري إلى أن الله تعالى جل ثناؤه فعل في العرش فعلا سماه استواء كما فعل في غيره فعلا سماه رزقا ونعمة أو غيرهما من أفعال، ثم لم يكيف الاستواء الا أنه جعله من صفات الفعل لقوله: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ الأعراف: ٥٤ ، وثم للترا خي، والتراخي إنما يكون في الأفعال، وأفعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه إياها ولا حركة" [٣] ، وأشار الى ذلك البغدادي، وابن فورك وابن عساكر، والجويني [٤] .

---

[١] الإبانة (٤٥-٤٦) - ط هندية-.

[٢] انظر: الإبانة (ص: ٤٦- ٥٠) - هندية-، وكان الاعتماد في الإبانة على الطبعة الهندية لأن طبعة فوقية المحققة فيها زيادات غير صحيحة- خاصة في هذه الفصول-، وانظر: الرسالة إلى أهل الثغر (ص: ٧٥-٧٦) .

[٣] الأسماء والصفات للبيهقي (ص: ٤١٠) ، وانظر: مختصره المسمي:" دقيق الإشارات إلى معاني الأسماء والصفات" لعبد الله بن عبد الأنصاري الخليلي، توفي سنة ٧٢٤ هـ (ص: ٣١٢) مطبوع طباعة أولية.

[٤] انظر: أصول الدين (ص: ١١٣) ، والمجرد (ص:٣٢٥-٣٢٦) ، وتبيين كذب المفتري (ص:١٥٠) . والشامل (ص: ٥٥٥-٥٥٦) .

- النزول والمجيء:

يثبت الأشعري النزول للأحاديث الواردة في ذلك، والتي يذكرها، كما يثبت المجيء لله تعالى ويذكر أدلته من القرآن[١] .

وقد شرحهما في رسالته إلى أهل الثغر بما يوضح مذهبه في أنه لا تقوم بذات الله صفات الفعل فيقول: "وليس مجيئه حركة ولا زوالا ... وليس نزوله تعالى نقلة لأنه ليس بجسم ولا جوهر ... "[٢] .

وقد نسب البيهقي إلى الأشعري في معناهما مثل ما ورد في الاستواء بأن "يحدث الله تعالى يوم القيامة فعلا يسميه إتيانا ومجيئا، لا بأن يتحرك أو ينتقل ... وهكذا قال في أخبار النزول: أن المراد به فعل يحدثه الله عز وجل في سماء الدنيا كل ليلة يسميه نزولا بلا حركة ولا نقلة ... "[٣] وهو موافق لتأويلات الأشعري السابقة.

- الرضا والغضب:

يثبتهما لكن يتأولهما بالإرادة، فرضاه عن الطائعين إرادته لنعيمهم، وغضبه على الكافرين إرادته لعذابهم[٤] ، وتأويله لهما مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة، لكن الأشعري يتأولهما ليسلم له الأصل الفاسد الذى قال به.

---

[١] انظر: الإبانة- هندية- (ص:١١، ٤٧، ٤٨) .

[٢] الرسالة إلى أهل الثغر (ص: ٧٣-٧٤) .

[٣] الأسماء والصفات للبقي (ص: ٤٤٨-٤٤٩) .

[٤] انظر: الرسالة إلى أهل الثغر (ص: ٧٤- هـ ٧) .

٣- الصفات الخبرية:

يثبت الأشعري لله الصفات الخبرية، كالوجه، واليدين، والعينين، ويستدل لذلك بالنصوص، ويرد على من تأولها من الجهمية وغيرهم، وأطال بصفة خاصة في صفة اليدين، وناقش من تأولها مستدلا بنصوص الكتاب والسنة، وهذا هو مذهب السلف- رحمهم الله [١]-.

بقى أن بعض المتأخرين زعم أن للأشعري قولا آخر فيها وهو القول بتأويلها [٢] ، وهذا غير صحيح، والتأويل إنما هو قول متأخري الأشعرية فقط كالجويني ومن جاء بعده، أما الأشعري فليس له فيها إلا قول واحد.

د- قوله في الرؤية:

يثبت الأشعري الرؤية، وأن المؤمنين يرون الله عز وجل يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر به تعالى [٣] ، ويحتج لذلك بعدد كبير من النصوص من الكتاب والسنة، ويناقش المعتزلة طويلا [٤] .

---

[١] انظر: الإبانة (ص:٥١-٥٨) - هندية-، و (ص:١٢٠- ١٤٠) - ت- فوقية، وانظر: الرسالة إلى أهل الثغر (ص: ٧٢-٧٣) .

[٢] ممن ذكر ذلك: الإيجي في المواقف (٨/١١٠-١١٢) مع شرحه، والبياضي في إشارات المرام (ص: ١٨٨) .

[٣] انظر: الرسالة إلى أهل الثغر (ص: ٧٦) .

[٤] عقد الأشعري لمسألة الرؤية أبوابا مستقلة في الإبانة (ص: ٣ ا-٢٤) - هندية-، و (ص: ٣٥-٦٢) - ت- فوقية، وفي اللمع (ص: ٣٢-٣٦) - ط مكارثي-.

ويلاحظ أن الأشعري لا يفرق- أحيانا- بين الإدراك والرؤية، ولذلك لما أورد سؤال سائل عن معنى قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ الأنعام: ١٠٣ قال: " قيل له: يحتمل أن يكون لا تدركه في الدنيا وتدركه في الآخرة ... " [١] ، "ويحتمل أن يكون الله تعالى أراد بقوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ الأنعام: ١٠٣ يعني لا تدركه أبصار الكافرين المكذبين" [٢] ، وهذان جوابان ضعيفان، ولذلك لما أطال في مناقشة المعتزلة وذكر اعتراضاتهم حول هذه الآية ألمح إلى الجواب الصحيح فقال: "فإن قالوا قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ الأنعام: ١٠٣ يوجب أن لا يدرك بها في الدنيا والآخرة وليس ينفي ذلك أن نراه بقلوبنا، ونبصره بها ولا ندركه بها؟ قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون لا ندركه بأبصار العيون، ولا يوجب إذا لم ندركه بها أن لا نراه بها، فرؤيتنا له بالعيون وأبصارنا له بها ليس بإدراك له بها، كما أن إبصارنا له بالقلوب ورؤيتنا له بها ليس بإدراك له، فإن قالوا: رؤية البصر هي إدراك البصر، قيل لهم: ما الفرق بينكم وبين من قال: إن رؤية القلب وإبصاره هو إدراكه وإحاطته؟، فإذا كان علم القلب بالله عز وجل وإبصار القلب له رؤيته إياه ليس بإحاطة ولا ادراك فما أنكرتم أن تكون رؤية العيون وإبصارها لله عز وجل ليس بإحاطة ولا ادراك" [٣] ، فلو بنى الجواب على التفريق بين الإدراك والرؤية لوضح الأمر ولأصبحت الآية دالة على الرؤية، فيكون الكلام في إثبات دلالتها على المذهب الحق، وليس في بيان عدم دلالتها على نفى الرؤية.

---

[١] الإبا نة (ص: ٤٧) – فوقية، انظر: اللمع (ص: ٣٥) مكارثي.

[٢] الإبانة (ص: ٤٧) .

[٣] الإبانة (ص: ٥٩) – ت- فوقية، و (ص: ٢٢- ٢٣) – هندية-

أما الأدلة العقلية على إثبات الرؤية فقد ذكر دليلين:

أحدهما: دلالة الوجود، و" أنه ليس موجودا إلا وجائز أن يريناه الله عز وجل، وإنما لا يجوز أن يرى المعدوم، فلما كان الله عز وجل موجودا مثبتا كان غير مستحيل أن يرينا نفسه عز وجل"[١] .

خر: أن: أن الله يرى الأشياء، فإذا كان لنفسه رائيا فجائز أن يرينا نفسه، ويقول: " ولما كان الله عز وجل رائيا للأشياء كان رائيا لنفسه، وإذا كان رائيا لها فجائز أن يرينا نفسه كما أنه لما كان عالما بنفسه جاز أن يعلمناها" [٢] .

هذا كلامه في الإبانة، لكنه في اللمع يستدل على جواز الرؤية باستدلال يقوم على أن الرؤية لا يلزم منها إثبات حدث الباري، أو اثبات حدث معني فيه أو تشبيهه أو غيره مما يقول: إنه يستحيل أن يتصف به، وذلك احترازا من اللوازم الباطلة التي يظنها نفاة الرؤية [٣] ، ولذلك ذكر الأشعري عن بعض أصحابه انه التزم جواز اللمس والذوق والشم اذا كان ذلك لا يقتضي إحداث معنى في الباري [٤] .

---

[١] المصدر السابق (ص: ٥٢) – ت– فوقية.

[٢] المصدر نفسه.

[٣] اللمع (ص: ٣٢-٣٣) – مكارثي–.

[٤] انظر: نفس المصدر (ص: ٣٣) .

واذا كان الأشعري يثبت لله صفة العلو والاستواء، والمباينة للمخلوقات فإثبات الرؤية مستقيم على مذهبه خلافا لمتأخري أصحابه الذين أثبتوا الرؤية ونفوا العلو فتناقضوا.

والأشعري يرى أنه لا يلزم من اثبات الرؤية التجسيم لأنه لا يشترط أن يكون المرئي جسما يقول: " فإن قال قائل: فهل شاهدتم مرئيا إلا جوهرا أو غرضا محدودا أو حالا في محدود؟ قيل له: لا، ولم يكن المرئي مرئيا لأنه محدود ولا لأنه حال في محدود ولا لأنه جوهر، ولا لأنه عرض، فلما لم يكن ذلك كذلك لم يجب القضاء بذلك على الغائب، كما لم يجب إذا لم نجد فاعلا إلا جسما، ولا شيئا الا جوهرا أو عرضا، ولا عالما قادرا حيا الا بعلم وحياة وقدرة محدثة، أن نقضي بذلك على الغائب، إذ لم يكن الفاعل فاعلا لأنه جسم، ولا الشيء شيئا لأنه جوهر أو عرض"[1].

هـ- قوله في القدر:

كلام الأشعري في القدر وأفعال العباد طويل جدا ومتفرع إلى مسائل كثيرة، وهو يثبت علم الله الشامل المحيط بكل شيء[2]،؟ يثبت الكتابة في اللوح المحفوظ وأن الله أثبت فيه جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة، وقد دل عليه قوله تعالى:﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ القمر: ٥٢ - ٥٣ [3]،كما انه

---

[1] اللمع (ص: ٣٦) .

[2] انظر: الرسالة إلى الثغر (ص: ٨١) .

[3] المصدر السابق (ص: ٧٩) .

يثبت إرادة الله الشاملة لكل شيء- وهي التي بمعنى المشيئة- ويذكر الأدلة على ذلك، ويناقش المعتزلة طويلا الذين يقولون: إن الله لا يريد الكفر ولا المعاصي وانها كائنة بغير ارادة منه [١] ، كما أثبت قدرة الله وأن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها ورد على القدرية المعتزلة الذين يقولون: إن الله غير خالق لأفعال العباد يقول: "ويقال لأهل القدر: أليس قول الله تعالى: ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ البقرة: ٢٩ يدل على أنه لا معلوم إلا والله به عالم، فإذا قالوا نعم، قيل لهم: فما أنكرتم أن يدل قوله تعالى: ﴿ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ البقرة: ٢٠ على أنه لا مقدور إلا والله عليه قادر، وأن يدل قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ الزمر: ٦٢ على أنه لا محدث مفعول إلا والله محدث له فاعل خالق" [٢] .

ويذكر في الإبانة بابا فيه الروايات الواردة في القدر، مثل حجاج آدم وموسى، وحديث النطفة في الرحم وتقلبها، وكل ميسر لما خلق له، وغيرها[٣] ، وهي دالة على قدر الله السابق الشامل.

لكن الأشعري مع قوله بهذه المراتب للقدر- مخالفا للمعتزلة وموافقا لأهل السنة- مال الى الجبر، وخالف أهل السنة في بعض المسائل ومنها:

القول بالكسب:

---

[١] انظر: الإبانة (ص: ١٦١) وما بعدها- ت- فوقية.

[٢] اللمع (ص: ٥٠- ٥١) ، وانظر: الرسالة (ص: ٨٢) .

[٣] انظر: الإبانة (ص: ٢٢٥-٢٣٧) .

وهو من المسائل التي اشتهرت عن الأشعري، وأخذ بها الأشعرية من بعده، وقد جاء قوله بالكسب لإثبات قدرة الله الشاملة لكل شيء، يقول الأشعري في المقالات: "واختلف الناس في معنى القول: إن الله خالق، فقال قائلون: معنى أن الخالق خالق أن الفعل وقع منه بقدرة قديمة فإنه لا يفعل بقدرة قديمة الا خالق ومعنى الكسب: أن يكون الفعل بقدرة محدثة، فكل من وقع منه الفعل بقدرة قديمة فهو فاعل خالق، ومن وقع منه بقدرة محدثة فهو مكتسب، وهذا قول أهل الحق" [١]، وبعد أن يذكر عددا من الأقوال لأهل الإثبات وغيرهم يقول: "والحق عندي أن معنى الاكتساب هو أن يقع الشيء بقدرة محدثة، فيكون كسبا لمن وقع بقدرته" [٢].

والأشعري يفرق بين حركة الاضطرار كحركة المرتعش، وحركة الاختيار مثل ذهاب الانسان ومجيئه، يقول: "فإن قال قائل: فيجب إذا كانت إحدى الحركتين ضرورة أن تكون الأخرى كذلك، وإذا كانت إحداهما كسبا أن تكون الأخرى كذلك، قيل له: لا يجب ذلك لافتراقهما في معني الضرورة والاكتساب، لأن الضرورة ما حمل عليه الشيء وأكره وجبر عليه، ولو جهد في التخلص منه وأراد الخروج عنه واستفرغ في ذلك مجهوده لم يجد منه انفكاكا ولا الى الخروج عنه سبيلا، فإذا كانت إحدى الحركتين بهذا الوصف الذي هو وصف الضرورة وهي حركة المرتعش من الفالج والمرتعد من الحمي كانت اضطرارا، وإذا كانت الحركة الأخرى بخلاف هذا الوصف لم تكن اضطرارا، لأن الانسان في ذهابه ومجيئه

---

[١] المقالات (ص: ٣٩) .

[٢] نفس المصدر (ص: ٥٤٢) .

واقباله وإدباره بخلاف المرتعش من الفالج والمرتعد من الحمي، يعلم الإنسان التفرقة بين الحالين من نفسه وغيره علم اضطرار لا يجوز معه الشك، فقد وجب إذا كان العجز في إحدى الحالتين أن القدرة التي هي ضده حادثة في الحال الأخرى، لأن العجز لو كان في الحالين جميعا لكان سبيل الإنسان فيهما سبيلا واحدة، فلما لم يكن هذا هكذا وكانت القدرة في إحدى الحركتين وجب أن تكون كسبا لأن حقيقة الكسب: أن الشيء وقع من المكتسب له بقوة محدثة لافتراق الحالين في الحركتين، ولأن إحداهما بمعنى الضرورة وجب أن تكون ضرورة، ولأن الأخرى بمعنى الكسب وجب أن تكون كسبا، ودليل الخلق في حركة الاضطرار وحركة الاكتساب واحد، فلذلك وجب إذا كانت إحداهما خلقا أن تكون الأخرى خلقا"[1]، ويوضح أن كلا منهما خلق لله تعالى سواء كان اضطرارا أو اختيارا، ثم يقول :"ليس العجز بأن يدل على أن الله تعالى خلق المعجوز عنه بأولي من أن تكون القدرة التي جعلها الله تعالى دلالة على أن الله خلق المقدور عليه، لأن ما خلق الله القدرة فينا عليه فهو عليه أقدر، كما أن ما خلق فينا العلم به فهو به أعلم، وما خلق فينا السمع له فهو له أسمع فإذا استوى ذلك في قدرة الله تعالى وجب إذا قدرنا الله على حركة الاكتساب أن يكون هو الخالق لها فينا كسبا لنا ... "[2].

وهذا الكلام قد يكون ظاهره أن الخلاف بين الأشعري والسلف الذين يقولون: إن الله خالق كل شيء ومن ذلك أفعال العباد، وأن العباد فاعلون

---

[1] اللمع (ص: ٤١- ٤٢) - مكارثي-.

[2] اللمع (ص: ٤٣) .

لأفعالهم حقيقة- خلاف في العبارات والألفاظ [١] -، لكن أقوال الأشعري الأخرى مما له علاقة في الموضوع تدل على أن الخلاف ليس لفظا، ومن ذلك:

أ- مسألة الاستطاعة:

يري الأشعري أن الاستطاعة- التي هي قدرة العبد- لا تكون إلا مع الفعل، وليس له استطاعة قبله، وهذه الاستطاعة التي يثبتها هي التي بها يتحقق الفعل، ويبني ذلك على أن الاستطاعة والقدرة عرض، والعرض لا يبقي زمانين، يقول: "فإن قال قائل: فإذا أثبتم له استطاعة هي غيره فلم زعمتم أنه يستحيل تقدمها للفعل، قيل له: زعمنا ذلك من قبل أن الفعل لا يخلو أن يكون حادثا مع الاستطاعة في حال حدوثها أو بعدها، فإن كان حادثا معها في حال حدوثها فقد صح أنها مع الفعل للفعل، وإن كان حادثا بعدها وقد دلت الدلالة على أنها لا تبقى وجب حدوث الفعل بقدرة معدومة، ولو جاز ذلك لجاز أن يحدث العجز بعدها فيكون الفعل واقعا بقدرة معدومة، ولو جاز أن يفعل في حال هو فيها عاجز بقدرة معدومة لجاز أن يفعل بعد مئة سنة من حال حدوث القدرة وإن كان عاجزا في المئة سنة كلها بقدرة عدمت من مئة سنة وهذا فاسد" [٢] ، ثم يذكر لماذا القدرة لا تبقي[٣] ، ويذكر بعض الأدلة على قوله[٤] .

---

[١] ممن رجح ذلك الشيخ هادي طالبي في رسالته للماجستير: أبو الحسن الأشعري بين المعتزلة والسلف (ص: ١١٤) - مطبوعة على الآلة الكاتبة-.

[٢] اللمع (ص:٥٤) .

[٣] انظر: المصدر السابق (ص: ٥٥) .

[٤] انظر: نفس المصدر (ص: ٥٦-٥٨) .

ب- هل القدرة مؤثرة أو لا؟:

القدرة المحدثة التي أثبتها للعبد وبها يكسب أعماله، يرى الأشعري أنها غير مؤثرة كما حكى عنه الشهرستاني الذي قال: "ولم يثبت شيخنا أبو الحسن -رحمه الله- للقدرة الحادثة صلاحية أصلا، لا لجهة الوجود، ولا لصفة من صفات الوجود، فلم يلزمه التعميم والتخصيص" [١] ، وشرح ذلك في الملل والنحل فقال:" لا تأثير للقدرة الحادثة في الإحداث، لأن جهة الحدوث قضية واحدة لا تختلف بالنسبة إلى الجوهر والعرض، فلو أثرت في قضية الحدوث لأثرت في حدوث كل محدث، حتي تصلح لإحداث الألوان والطعوم والروائح، وتصلح لإحداث الجواهر والأجسام، فيؤدي إلى تجويز وقوع السماء على الأرض بالقدرة الحادثة، غير أن الله تعالى أجرى سنته بأن يحقق عقيب القدرة الحادثة أو تحتها أو معها الفعل الحاصل إذا أراده العبد وتجرد له، ويسمي هذا الفعل كسبا، خلقا من الله تعالى إبداعا وإحداثا، وكسبا من العبد حصولا تحت قدرته"[٢] ، وهذا يؤيد ما في المجرد من أنه لم يذكر مع القدرة المحدثة سوى العلم والإرادة للمكتسب، كقول ابن فورك :"وكان يقول: إن ما استحق هذه العين المكتسبة من وصف الاكتساب فلأجل تعلق القدرة المحدثة بها، واختلف جوابه في أن العين المكتسبة صارت مكتسبة بتعلق القدرة المحدثة فقط أم باقتران أوصاف أخر إليها، فدار

---

[١] نهاية الإقدام (ص: ٧٢) ، وانظر: أيضا (ص: ٧٨، وص: ٨٧) .

[٢] الملل والنحل (٩٧/١) .

أكثر كلامه على أن التأثير في ذلك للقدرة المحدثة، وربما قال: إنه لا بد معها من إرادة المكتسب وعلمه" [١] .

وقوله التأثير للقدرة المحدثة أي أن العين وصفت بأنها مكتسبة بتأثير القدرة المحدثة، لا أن القدرة المحدثة مؤثرة [٢] ،بدليل أن ابن فورك لما ذكر قوله الثاني لم يذكر إلا أنه يقول بأن مع القدرة علم المكتسب وإرادته، وكما هو واضح لا علاقة لهما بالقدرة هل هي مؤثرة أو لا، يوضح ذلك قول الأشعري في اللمع: "فإن قال: فهل اكتسب الانسان الشيء على حقيقته كفرا باطلا وإيمانا حسنا؟ قيل له: هذا خطأ، وإنما معنى اكتسب الكفر أنه كفر بقوة محدثة وكذلك قولنا اكتسب الإيمان إنما معناه أنه آمن بقوة محدثة من غير أن يكون اكتسب الشي على حقيقته بل الذى فعله علي حقيقته هو رب العالمين" [٣] .

- تكليف مالا يطاق:

صرح الأشعري بجواز تكليف مالا يطاق [٤] ، ويستدل لذلك بعدة أدلة منها قصة أبي لهب ونزول السورة فيه، يقول: " ويقال لهم قد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ

---

[١] المجرد (ص: ٩٣) ..

[٢] ليس المقصود بالتأثير الانفراد بالإبداع لأن هذا لله تعالى الخالق لكل شيء، وإنما المقصود أن قدرة العبد سبب وواسطة في خلق الله تعالى الفعل بهذه القدرة، ولذلك لابد من الإرادة الجازمة، ووجود القدرة وزوال المانع، انظر: مجموع الفتاوى (٨/٤٨٧-٤٨٨) .

[٣] اللمع (ص: ٤٠) .

[٤] انظر: المصدر السابق (ص: ٦٨) .

﴿٣﴾ المسد: ١ - ٣ وأمره مع ذلك بالإيمان، فأوجب عليه أن يعلم أنه لا يؤمن، وأن الله صادق في إخباره عنه أنه لا يؤمن، وأمره مع ذلك أن يؤمن ولا يجتمع الايمان والعلم بأنه لا يكون ولا يقدر القادر على أن يؤمن وانه يعلم أنه لا يؤمن، وإذا كان هذا هكذا فقد أمر الله سبحانه أبا لهب بما لا يقدر عليه لأنه أمره أن يؤمن وأنه يعلم أنه لا يؤمن" [١] ، والأشعري يفرق بين عدم الاستطاعة للعجز عن الشيء وعدم الاستطاعة للاشتغال بضده، فيقول: "فإن قال قائل: أليس قد كلف الله تعالى الكافر الإيمان؟ قلنا له: نعم، قال: فيستطيع الإيمان، قيل له: لو استطاعه لآمن، فإن قال: فكلفه مالا يستطيع؟ قيل له: هذا كلام على أمرين: إن أردت بقولك: إنه لا يستطيع الإيمان لعجزه عنه فلا، وان أردت أنه لا يستطيعه لتركه والاشتغال بضده فنعم" [٢]، وهذا تفصيل جيد يزيل الإشكالات الواردة حول تكليف مالا يطاق.

- إنكار التعليل:

يصرح الأشعري بنفي التعليل في أفعال اللهـ خلافا لأهل السنة الذين يقولون به ـ ويقول: "وأجمعوا على أنه عز وجل غير محتاج إلى شيء مما خلق، وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وينعم على من يشاء ويعز من يشاء، ويغفر لمن يشاء، ويغني من يشاء، وانه لا يسأل في شيء من ذلك عما يفعل، ولا لأفعاله علل، لأنه مالك غير مملوك، ولا مأمور ولا منهي، وانه يفعل ما يشاء" [٣] ،

---

[١] الإبانة (ص: ١٩٥) - فوقية-.

[٢] اللمع (ص:٥٨-٥٩) .

[٣] الرسالة إلى أهل الثغر (ص: ٧٧) .

ولذلك يتأول الآية الواردة في ذلك وهي قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ بأن المقصود: أنه أراد بعض الجن والإنس وهم العابدون لله منهم" [١] ، أي انه عني المؤمنين دون الكافرين[٢]. والآية نص في إثبات حكمة الله في خلق الجن والانس، وانه خلقهم للعبادة فهي نص في إثبات التعليل، وقول الأشعري ضعيف كما سيأتي.

- التحسين والتقبيح:

قال بالتحسين والتقبيح الشرعي فقط، يقول عن أهل السنة: "وأجمعوا على أن القبيح من أفعال خلقه كلها ما نهاهم عنه وزجرهم عن فعله، وأن الحسن ما أمرهم به أو ندبهم إلى فعله وأباحه لهم، وقد دل الله عز وجل على ذلك بقوله: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾الحشر: ٧ " [٣] .

ولا يقبح من الله شيء، "فلا يقبح منه أن يعذب المؤمنين ويدخل الكافرين الجنان، وانما نقول: انه لا يفعل ذلك لأنه أخبرنا أنه يعاقب الكافرين وهو لا يجوز عليه الكذب في خبره" [٤] ،ويعلل ذلك بأن الله هو المالك القاهر وانه لا آمر فوقه، يقول:" والدليل على أن كل ما فعله فله فعله أنه المالك القاهر الذي ليس بمملوك ولا فوقه مبيح ولا آمر ولا زاجر ولا حاظر ولا من رسم له الرسوم وحد له

---

[١] اللمع (ص: ٦٨) .

[٢] انظر: الإبانة (ص: ١٩٢) .

[٣] الرسالة إلى أهل الثغر (ص: ٧٨) .

[٤] اللمع (ص:٧١) .

الحدود، فإذا كان هذا هكذا لم يقبح منه شيء إذ [١] كان الشيء انما يقبح منا لأنا تجاوزنا ما حد ورسم لنا، وأتينا مالم نملك إتيانه، فلما لم يكن الباري مملكا ولا تحت آمر لم يقبح منه شيء، فإن قال: فإنما يقبح الكذب لأنه قبحه؟ قيل له: أجل، ولو حسنه لكان حسنا ولو أمر به لم يكن عليه اعتراض [٢]، ومذهب الأشعري هذا يأتي في الطرف المقابل لمذهب المعتزلة الذين قالوا بالتحسين والتقبيح العقلي، والحق مذهب السلف وهو التفصيل.

و قوله في الإيمان:

صرح في الإبانة " أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص" [٣] ، وفصل ذلك في الرسالة فقال:" وأجمعوا على أن الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وليس نقصانه عندنا شكا فيما أمرنا بالتصديق به ولا جهلا به، لأن ذلك كفر، وإنما هو نقصان في مرتبة العلم وزيادة البيان، كما يختلف وزن طاعتنا وطاعة النبي – صلى الله عليه السلام – وإن كنا مؤدين للواجب علينا" [٤]، وقوله: إن الإيمان قول وعمل، ويزيد، وينقص هو قول أهل السنة والجماعة.

ولكنه في اللمع فسره بالتصديق بالله، واحتج بإجماع أهل اللغة على أن الإيمان هو التصديق، كما احتج بقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ يوسف: ١٧ أي

---

[١] في طبعة مكارثي إذا، وذكر في الحاشية أن فى إحدى النسخ إذ وهى الصواب.

[٢] اللمع (ص: ٧١) .

[٣] الإبانة (ص: ٢٧) – فوقية–.

[٤] الرسالة إلى أهل الثغر (ص: ٩٣) .

بمصدق لنا، ويقول الناس:" فلان يؤمن بعذاب القبر والشفاعة"، ويريدون: يصدق[١] .

هذا ما هو موجود في كتبه، وقد نسب اليه متأخرو الأشعرية وغيرهم انه يقول: إنه المعرفة[٢] ، كما نسبوا إليه قولا آخر؛ انه التصديق وان القول باللسان والعمل بالأركان غير داخلين فيه[٣] .

أما قوله في مرتكب الكبيرة فهو قول أهل السنة: انه مؤمن بأيمانه فاسق بكبيرته وانه لا يخلد في النار[٤] .

ز- قوله في: الشفاعة، وعذاب القبر، والحوض، والصراط، والإمامة والصحابة:

وقوله فيها جميعا: هو قول السلف- رحمهم الله تعالى- كما ذكر ذلك في أواخر كتبه كلها.

هذا هو أبو الحسن الأشعري الذي تنسب اليه طائفة الأشعرية ولعل ما سبق عرضه من حياته، وأطواره وعقيدته يعطي صورة واضحة نوعا ما لهذا العلم الذي تكونت من بعده مدرسة مشهورة انتسبت اليه واشتهرت باسمه.

---

[١] انظر: اللمع (ص: ٧٥) .

[٢] انظر: المجرد (ص: ١٥١) ، ونهاية الإقدام (ص: ٤٧٢) ، والفصل لابن حزم (٢/٢٦٦) - ط- المحققة.

[٣] انظر: أصول الدين للبغدادي (ص: ٢٤٨) ، والمجرد (ص ١٥٠) ، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٠١) ، ونهاية الإقدام (ص: ٤٧٢) .

[٤] انظر: الإبانة (ص: ٢٦) ، واللمع (ص: ٧٥) ، والرسالة (ص: ٩٣- ٩٤) .

النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

[وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه السلام][1]

قال السيد الشيخ الإمام [العالم][1] أبو الحسن علي بن إسماعيل بن علي بن أبي بشر الأشعري البصري رحمه الله:

١- الحمد لله الواحد الأحد الواجد، العزيز الماجد، المتفرد بالتوحيد، المتمجِّد بالتمجيد، الذي لا تبلغه صفات العبيد، وليس له مثيل ولا نديد، وهو المبدئ المعيد، الفعالُ لما يريد، جلَّ عن اتخاذ الصواحب والأولاد، وتقدس عن ملابسة الأجناس والأرجاس، فليست له صورة تقال، ولا حد يضرب به المثال، لم يزل بصفاته أولا قديرا، ولا يزال عالما خبيرا، استوى على الأشياء علمُه، ونفذت فينا إرادته، ولم تعزب عنه خفيات الأمور، ولم تغيره سوالف صروف الدهور، ولم يلحقه في خلق شيء مما خلق كلال ولا تعب، ولا مسه لغوب ولا نصب، خلق الأشياء بقدرته، ودبرها بمشيئته، وقهرها بجبروته، وذللها بعزته، فذل لعظمته المتكبرون، واستكان لعز ربوبيته المتعظمون، وانقطع دون الرسوخ في علمه العالمون، وذلت له الرقاب، وحارت في ملكوته فطنُ ذوي الألباب، وقامت بحكمته السماوات السبع، واستقرت الأرض المَهاد، وثبتت الجبال الرواسي،

---

[1] زيادة من فوقية .

وجرت الرياح للواقح، وسار في جو السماء السحاب ، وقامت على حدودها البحار، وهو الله الواحد القهار.

٢-فنحمدهُ كما حمدَ نفسه، وكما هو أهله ومستحقه، وكما حمده الحامدون من جميع خلقه، ونستعينه استعانة من فوَّض الأمر إليه، وأقرَّ أنه لا ملجأ ولا منجى إلا إليه، ونستغفره استغفار مقر بذنبه، معترف بخطيئته.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقرارا بوحدانيته، وإخلاصا لربوبيته، وأنه العالم بما تبطنه الضمائر، وتنطوي عليه السرائر، وما تخفيه النفوس، وتطوي عليه البحار، وما تواري الأسرار، ﴿ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ الرعد: ٨ ، لا توارى عنه كلمة، ولا تغيب عنه غائبة، ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ الأنعام: ٥٩ .

ويعلم ما يعمل العاملون وما ينقلب إليه المنقلبون.

٣ – ونستهديه بالهدى، ونسأله التوفيق لمجانبة الردى.

٤ – ونشهد أن محمدا صلى الله عليه السلام عبده ورسوله، ونبيه وأمينه وصفيه، أرسله إلى خلقه بالنور الساطع، والسراج اللامع، والحُجج الظاهرة، والبراهين والآيات الباهرة، والأعاجيب القاهرة، فبلّغ رسالة ربه، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى تمت كلمة الله عز وجل، وظَهرأمرُه، وانقاد الناس للحق خاضعين، حتى أتاه اليقين، لا وانيا ولا مقصرا، فصلوات الله عليه

من قائد إلى هدى مُبين، وعلى آلبيته الطيبين، وعلى أصحابه المنتخَبين، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين.

عرَّفنا الله به الشرائع والأحكام، والحلال والحرام، وبين لنا به شريعة الإسلام، حتى انجلت عنا طَخْيا الظلام[1]، وانحسرت به عنا الشبهات، وانكشفت به عنا الغايات، وظهرت لنا به البينات.

جاءنا بـ ﴿ كِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ فصلت: ٤١ - ٤٢ جمع فيه علم الأولين والآخرين، وأكمل به الفرائض والدين، فهو صراط الله المستقيم، وحبله المتين، فمن تمسك به يُنجى، ومن تخلف ضل وغوى، وفي الجهل تردى، وحثنا الله في كتابه على التمسك بسنة رسوله صلى الله عليه السلام، فقال عز وجل: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ الحشر: ٧ ،وقال عز وجل: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ النور: ٦٣ ، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ النساء: ٨٣ ، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ النساء: ٥٩ ، يقول: إلى كتاب الله وسنة رسوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ النجم: ٣ - ٤ ، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ يونس: ١٥ ،وقال: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ النور: ٥١ فأمرهم أن يسمعوا قوله، ويطيعوا أمره، ويحذروا

---

[1] ليلة شديدة الظلمة .

مخالفته، وقال: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ المائدة: ٩٢ فأمرهم بطاعة رسوله كما أمرهم بطاعته، ودعاهم إلى التمسك بسنة نبيه كما أمرهم بالعمل بكتابه.

٥ فنبذ كثير ممن غلبت عليهم شقوته، واستحوذ عليهم الشيطان سُنَن نبي الله صلى الله عليه السلام ظهورهم، ومالوا إلى أسلاف لهم قلدوهم دينهم، ودانوا بديانتهم، وأبطلوا سنن نبي الله عليه السلام، ودفعوها وأنكروها وجحدوها افتراءً منهم على الله، ﴿ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ الأنعام: ١٤٠.

أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحذركم الدنيا، فإنها حلوة خضرة، تغر أهلها وتخدع سكّانها، قال الله تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ ﴾ الكهف: ٤٥ .

من كان فيها في حَبرة[1] أعقبته بعدها عبرة، ومن أعطته من شرابها بطنا أعقبته من خرابها ظهرا، غارّة غرور ما فيها، فانية فَان ما عليها، كما حكم عليها ربها بقوله إذ يقول : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ الرحمن: ٢٦ ، فاعملوا رحمكم الله للحياة الدائمة، ولخلود الأبد، فإن الدنيا تنقضي عن أهلها، وتبقى الأعمال قلائد في رقاب أهلها.

---

[1] النعمة وسعة العيش .

واعلموا أنكم ميتون، ثم إنكم من بعد موتكم إلى ربكم راجعون، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ النجم: ٣١.فكونوا بطاعة ربكم عاملين، وعما نهاكم عنه منتهين.

باب في إبانة قول أهل الزيغ والبدعة

أما بعد: فإن كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة[١] وأهل القدر[٢] مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا بما لم ينزل به الله سلطانا، ولا أوضح به برهانا، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين، ولا عن السلف المتقدمين.

---

[١] المعتزلة: فرقة كلامية إسلامية، ظهرت في أول القرن الثاني الهجري، وبلغت شأوها في العصر العباسي الأول، يرجع اسمها إلى اعتزال إمامها واصل بن عطاء، مجلس الحسن البصري، لقول واصل: بأن مرتكب الكبيرة ليس كافراً، ولا مؤمناً، بل هو في مترلة بين المترلتين، ولما اعتزل واصل مجلس الحسن، وجلس عمرو بن عبيد إلى واصل وتبعهما أنصارهما قيل لهم "معتزلة" أو "معتزلون" وهذه الفرقة تعتد بالعقل وتغلو فيه وتقدمه على النقل، ولهذه الفرقة مدرستان رئيستان إحداهما البصرة ومن أشهر رجالها بشر بن المعتمر وأبو موسى المردار، وثمامة بن الأشرس، وأحمد بن أبي دؤاد. وللمعتزلة أصول خمسة يدور عليها مذهبهم هي: العدل، والتوحيد، والمترلة بين المترلين، والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهم في هذه الأصول معان عندهم خالفوا فيها موجب الشريعة وجمهور المسلمين. وعلى الرغم من اندثار فرقة المعتزلة كاسم مستقل، إلا إن كثيراً من أفكارهم ومبادئهم ما زال بعضها موجودا عند الإباضية، وعند الشيعة الاثني عشرية، وعند الزيدية، بل وعند بعض المنتسبين لأهل السنة ممن يسمون أنفسهم بالعقلانيين وأصحاب التيار الديني المستنير وغيرهم. ولمعرفة مذهبهم بالتفصيل، يرجع إلى كتاب (الأصول الخمسة) للقاضي عبد الجبار المعتزلي، وانظر: الفرق بين الفرق ص (١١٧-١٢٠) ،التبصرة في أصول الدين ص (٣٧) ، الملل والنحل (١/٤٦-٤٩) ، الخطط للمقريزي (٢/٣٤٥-٣٤٦) .، الموسوعة العربية الميسرة ص (١٧١٨) .

[٢] القدرية: هم نفاة القدر، وغالب ما يطلق هذا الاسم على المعتزلة وسبق التعريف بالمعتزلة.

وخالفوا روايات الصحابة رضي الله عنهم عن نبي الله صلوات الله وسلامه عليه في رؤية الله عز وجل بالأبصار، وقد جاءت في ذلك الروايات من الجهات المختلفات، وتواترت بها الآثار وتتابعت بها الأخبار[١].

وأنكروا شفاعة نبي الله صلى الله عليه السلام للمذنبين[٢]، ودفعوا الروايات في ذلك عن [السلف][٣] المتقدمين.

وجحدوا عذاب القبر، وأن الكفار في قبورهم يعذَّبون[٤]، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين.

وتكلموا بخلق القرآن نظيرا لقول إخوانهم من المشركين؛ الذين قالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ المدثر: ٢٥.

---

[١] قال المصنف في " المقالات ": " أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه لا يرى بالأبصار واختلفت هل يرى بالقلوب، فقال أبو الهذيل وأكثر المعتزلة: نرى الله بقلوبنا بمعنى أنا نعلمه بقلوبنا، وأنكر هشام الفوطي وعباد بن سليمان ذلك." اهـ (ص١٥٧ ت هلموت ريتر) .

[٢] قال المصنف في " المقالات ": " واختلفوا في شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل هي لأهل الكبائر؟:

١ – فأنكرت المعتزلة ذلك وقالت بإبطاله.

٢ – وقال بعضهم: الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أن يزادوا في منازلهم من باب التفضيل.

٣ – وقال "أهل السنة والاستقامة" بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من أمته."اهـ (٣٥٤/٢ ت نعيم زرزور) .

[٣] زيادة من فوقية .

[٤] قال المصنف في " المقالات ": " واختلفوا في عذاب القبر: فمنهم من نفاه وهم المعتزلة والخوارج، ومنهم من أثبته وهم أكثر أهل الإسلام، ومنهم من زعم أن الله ينعم الأرواح ويؤلمها فأما الأجساد التي في قبورهم فلا يصل ذلك إليها وهي في القبور."اهـ(ص٤٣٠ ت هلموت ريتر) .

وأثبتوا أن العباد يخلقون الشر[١]، نظيرا لقول المجوس[٢] الذين أثبتوا خالقين:

أحدهما يخلق الخير، والآخر يخلق الشر.

وزعمت القدرية أن الله عز وجل يخلق الخير، والشيطان يخلق الشر.

وزعموا أن الله عز وجل يشاء ما لا يكون، ويكون مالا يشاء، خلافا لما أجمع عليه المسلمون من أن الله عز وجل ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وردا لقول الله عز وجل: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾الإنسان: ٣٠ فأخبر تعالى أنَّا لا نشاء شيئا إلا وقد شاء الله أن نشاء.

[ولقوله][٣]: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ ﴾ البقرة: ٢٥٣ ، وبقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ السجدة: ١٣، وبقوله تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ البروج: ١٦ ، وبقوله تعالى مخبرا عن نبيه شعيب ﴿ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾الأعراف: ٨٩.

---

[١] قال المصنف في " المقالات ": " أجمعت المعتزلة على أن الله سبحانه لم يخلق الكفر والمعاصي ولا شيئاً من أفعال غيره إلا رجلاً منهم فإنه زعم أن الله خلقها بأن خلق أسماءها وأحكامها، حكي ذلك عن صالح قبة."اهـ (ص٢٢٧) .

[٢] المجوس: هم عبدة النار، ويقولون بأصلين؛ أحدهما: النور، والآخر: الظلمة. والنور أزلي، والظلمة محدثة. ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين، إحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة، والثانية: بيان سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا الامتزاج مبدأ، والخلاص معاداً. (انظر: الملل والنحل: ٢٣٢/١ وما بعدها، الرازي/ اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ١٣٤، وانظر: أخبار أمم المجوس/ الكسندر سيبيل)

[٣] زيادة من فوقية .

ولهذا سماهم رسول الله صلى الله عليه السلام مجوس هذه الأمة[١]؛ لأنهم دانوا بديانة المجوس، وضاهوا أقاويلهم.

وزعموا أن للخير والشر خالقين، كما زعمت المجوس ذلك، وأنه يكون من الشرور ما لا يشاء الله كما قالت المجوس.

وأنهم يملكون النفع والضر لأنفسهم من دون الله ، ردا لقول الله عز وجل لنبيه عليه السلام :﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾الأعراف: ١٨٨ ، وإعراضا عن القرآن، وعما أجمع عليه أهل الإسلام.

وزعموا أنهم ينفردون بالقدرة على أعمالهم دون ربهم، فأثبتوا لأنفسهم الغنى عن الله عز وجل، ووصفوا أنفسهم بالقدرة على ما لم يَفُوا الله عز وجل بالقدرة عليه، كما أثبت المجوس لعنهم الله للشيطان من القدرة على الشر ما لم يثبتوه لله عز وجل، فكانوا مجوس هذه الأمة؛ إذ دانوا بديانة المجوس، وتمسكوا بأقاويلهم ومالوا إلى أضاليلهم.

وقنطوا الناس من رحمة الله، وآيسوهم من روحه، وحكموا على العصاة بالنار والخلود فيها[٢]، خلافا لقول الله تعالى: ﴿ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾النساء: ٤٨

---

[١] أخرجه أبو داود رقم (٤٦٩٢) في السنة، باب في القدر، ورواه أيضاً أحمد في " المسند " ٢ / ٨٦، وفي إسناده عمر مولى غفرة، وهو ضعيف، ورواه أحمد في " المسند " ٥ / ٤٠٦ و ٤٠٧، وإسناده ضعيف، وقال المنذري:وقد روي من طريق آخر عن حذيفة، ولا يثبت.

[٢] قال المصنف في " المقالات ": " وأما الوعيد فقول المعتزلة فيه وقول الخوارج قول واحد لأنهم يقولون أن أهل الكبائر الذين يموتون على كبائرهم في النار خالدون فيها مخلدون غير أن الخوارج يقولون أن مرتكبي الكبائر ممن ينتحل الإسلام يعذبون عذاب الكافرين والمعتزلة يقولون أن عذابهم ليس كعذاب الكافرين."اهـ (ص١٢٤).

وزعموا أن من دخل النار لا يخرج منها، خلافا لما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] أن الله عز وجل يخرج قوما من النار بعد أن امْتَحَشُوا فيها وصاروا حمما)[1] ودفعوا أن يكون لله وجه[2] مع قوله عز وجل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ الرحمن: ٢٧ .

وأنكروا أن يكون له يدان[3] مع قوله عز وجل: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ ص: ٧٥. وأنكروا أن يكون له عينان[4] مع قوله سبحانه عز وجل: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ القمر:

---

[1] رواه البخاري ١ / ٦٨ في الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان، وفي الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ومسلم رقم (١٨٤) في الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار. وقوله " امتحشوا " : أي : احترقوا .

[2] قال المصنف في " المقالات ": " واختلفوا هل يقال لله وجه أم لا وهم ثلاث فرق:

فالفرقة الأولى منهم يزعمون أن لله وجهاً هو هو والقائل بهذا القول أبو الهذيل.

والفرقة الثانية منهم يزعمون أنا نقول وجه توسعاً ونرجع إلى إثبات الله لأنا نثبت وجهاً هو هو وذلك أن العرب تقيم الوجه مقام الشيء فيقول القائل: لولا وجهك لم أفعل أي لولا أنت لم أفعل، وهذا قول النظام وأكثر المعتزلة البصريين وقول معتزلة البغداذيين.

والفرقة الثالثة منهم ينكرون ذكر الوجه أن يقولوا لله وجه فإذا قيل لهم: أليس قد قال الله سبحانه: كل شيء هالك إلا وجهه قالوا: نحن نقرأ القرآن فأما أن نقول من غير أن نقرأ القرآن أن لله وجهاً فلا نقول ذلك، والقائلون بهذه المقالة العبادية أصحاب عباد."اهـ (ص١٨٩) .

[3] قال المصنف في " المقالات ": " وأجمعت المعتزلة بأسرها على إنكار العين واليد وافترقوا في ذلك على مقالتين:

١ – فمنهم من أنكر أن يقال: لله يدان وأنكر أن يقال: أنه ذو عين وأن له عينين.

٢ – ومنهم من زعم أن لله يداً وأن له يدين وذهب في معنى ذلك إلى أن اليد نعمة وذهب في معنى العين إلى أنه أراد العلم وأنه عالم وتأول قول الله –عز وجل–: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} [طه: ٣٩] أي بعلمي.(١٥٦/١) .

[4] قال المصنف في " المقالات ": " واختلفوا في العين واليد والوجه على أربع مقالات:

فقالت المجسمة: له يدان ورجلان ووجه وعينان وجنب يذهبون إلى الجوارح والأعضاء.

١٤ ، وأنكروا أن يكون لله علم[1] مع قوله: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ النساء: ١٦٦ وأنكروا أن يكون لله قوة مع قوله سبحانه: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ الذاريات: ٥٨.

= وقال أصحاب الحديث: لسنا نقول في ذلك إلا ما قاله الله عز وجل أو جاءت به الرواية من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول: وجه بلا كيف ويدان وعينان بلا كيف.

وقال عبد الله بن كلاب: أطلق اليد والعين والوجه خبراً لأن الله أطلق ذلك ولا أطلق غيره فأقول: هي صفات لله عز وجل كما قال في العلم والقدرة والحياة أنها صفات.

وقالت المعتزلة بإنكار ذلك إلا الوجه وتأولت اليد بمعنى النعمة وقوله: تجري بأعيننا أي بعلمنا والجنب بمعنى الأمر وقالوا في قوله: أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله أي في أمر الله، وقالوا: نفس البارئ هي هو وكذلك ذاته هي هو وتأولوا قوله: الصمد على وجهين: أحدهما أنه السيد والآخر أنه المقصود إليه في الحوائج."اهـ (ص٢١٧ ، ٢١٨) .

[1] قال المصنف في " المقالات ": "

واختلفت المعتزلة هل يقال لله علم وقدرة أم لا وهم أربع فرق:

فالفرقة الأولى منهم يزعمون أنا نقول للبارئ علماً ونرجع إلى أنه عالم ونقول له قدرة ونرجع إلى أنه قادر لأن الله سبحانه أطلق العلم فقال: أنزله بعلمه وأطلق القدرة فقال: أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة، ولم يطلقوا هذا في شيء من صفات الذات ولم يقولوا حياة بمعنى حي ولا سمع بمعنى سميع وإنما أطلقوا ذلك في العلم والقدرة من صفات الذات فقط، والقائل بهذا النظام وأكثر معتزلة البصريين وأكثر معتزلة البغداذيين.

والفرقة الثانية منهم يقولون: لله علم بمعنى معلوم وله قدرة بمعنى مقدور وذلك أن الله قال: ولا يحيطون بشيء من علمه أراد: من معلومه، والمسلمون إذا رأوا المطر قالوا: هذه قدرة الله أي مقدوره، ولم يقولوا ذلك في شيء من صفات الذات إلا في العلم والقدرة.

والفرقة الثالثة منهم يزعمون أن لله علماً هو هو وقدرة هي هو وحياة هي هو وسمعاً هو هو، وكذلك قالوا في سائر صفات الذات، والقائل بهذا القول أبو الهذيل وأصحابه.

والفرقة الرابعة منهم يزعمون أنه لا يقال لله علم ولا يقال قدرة ولا يقال سمع ولا بصر ولا يقال لا علم له ولا لا قدرة له وكذلك قالوا في سائر صفات الذات، والقائل بهذه المقالة العبادية أصحاب عباد بن سليمان."اهـ (ص١٨٧- ١٨٩) .

ونفوا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه السلام (أن الله عز وجل ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا)[١] وغير ذلك مما رواه الثقات عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وكذلك جميع أهل البدع من الجهمية[٢] والمرجئة[٣] والحرورية[٤]، أهل الزيغ فيما ابتدعوا وخالفوا الكتاب والسنة، وما كان عليه النبي عليه السلام وأصحابه

---

[١] أخرجه البخاري في كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل ٥٩/٣ ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء ٥٢١/١ ح٧٥٨ .

[٢] الجهمية: أتباع الجهم بن سفوان. من ضلالاته القول بنفي الصفات وبدع أخرى كالقول بالإرجاء، والجبر، وفناء الجنة والنار. (انظر عن الجهم والجهمية: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص٦٤ وما بعدها، خلق أفعال العباد للبخاري ص١١٨ وما بعدها، الأشعري/ مقالات الإسلاميين: ٢١٤/١ وما بعدها، التنبيه والرد/ للملطي ص٢١٨، التبصير في الدين/ للإسفراييني ص٦٣، والبدء والتاريخ/ للمقدسي: ١٤٦/٥، تاريخ الجهمية والمعتزلة للقاسمي وغيرها) . ومصطلح الجهمية لم يعد مختصًا بالجهمية المحضة أتباع جهم بن صفوان. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن السلف كانوا يسمون كل من نفى الصفات وقال: إن القرآن مخلوق وإن الله لا يرى في الآخرة – جهميًا" (مجموع الفتاوى: ١١٩/١٢) ، وقال في موضع آخر: "ومن الجهمية: المتفلسفة والمعتزلة الذين يقولون: إن كلام الله مخلوق.." (المصدر السابق: ٥٢٤/١٢) .

[٣] المرجئة: هم الذي يؤخرون العمل عن الإيمان، ويجعلون الإيمان هو مجرد المعرفة بالله سبحانه، ومنهم من يقول: إنه لا يدخل النار أحد من أهل القبلة مهما ارتكب من المعاصي.

انظر عن المرجئة: مقالات الإسلاميين: ٢١٣/١-٢٣٤، الملل والنحل: ١٣٩/١-١٤٦، الفرق بين الفرق ص٢٠٢-٢٠٧، التنبيه والرد ص٤٣، التبصير في الدين ص٥٩، البدء والتاريخ: ١٤٤/٥، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص١٠٧، الخطط للمقريزي: ٣٤٩/٢-٣٥٠

[٤] الحرورية: نسبة إلى حروراء بلد في العراق، وهم الخوارج، نسبوا إليها لتجمعهم فيها في بداية أمرهم، خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حرب صفين، وصاروا فرقة لها أصولها التي منها: تكفير مرتكب الكبيرة، والتبري من علي وعثمان رضي الله عنهما والخروج على الإمام إذا خالف السنة وغير ذلك، وهم فرق

[رضى الله عنهم أجمعين][1]، وأجمعت عليه الأمة كفعل المعتزلة والقدرية وأنا ذاكر ذلك باباً بابًا، وشيئًا شيئًا إن شاء الله تعالى وبه المعونة.

= كثيرة.

انظر: التنبيه والرد للملطي ٦٢ - ٨٤، تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص٢٦٤ - ٢٨٤، الخوارج لعامر النجار ص٣٧ - ١٣٥.

[1] زيادة من فوقية

باب في إبانة قول أهل الحق والسنة

فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة[١] والمرجئة، فعرّفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون.

قيل له:

قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها، التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وسنة نبينا عليه السلام، وما روى عن [السادة][٢] الصحابة والتابعين وأئمة المحدثين، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل – نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته – قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم.

---

[١] الرافضة: هم الذين رفضوا إمامة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ورفضوا أكثر الصحابة وقيل في سبب تسميتهم بالرافضة أنهم رفضوا إمامة زيد بن علي، وأقواله في تفضيل الشيخين، وهم أردأ وأسوأ فرق الشيعة، ومن فروعهم مذهب الإمامية الاثنى عشرية.

انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ١/٨٨ – ١٣٤، جامع الفرق والمذاهب الإسلامية لمهنا وخريس ص١٠٤، تاريخ الفرق الإسلامية للغرابي ص٢٨٨ – ٢٨٩، الزينة للرازي الفاطمي ص٢٧٠ – ٢٧١.

[٢] زيادة من فوقية .

وجملة قولنا: أنا نقر بالله وملائكته وكتبه ورسله، وبما جاءوا به من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه السلام، لا نترك من ذلك شيئا، وأن الله عز وجل إله واحد لا إله إلا هو، فرد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق.

وأن الجنة حق والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وأن الله تعالى مستوى على عرشه كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه: ٥ ، وأن له [سبحانه](١) وجها بلا كيف، كما قال: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾ الرحمن: ٢٧.

وأن له [سبحانه](١) يدين بلا كيف، كما قال سبحانه: ﴿خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ ص: ٧٥ ، وكما قال: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ المائدة: ٦٤ .

وأن له [سبحانه](١) عينين بلا كيف، كما قال [سبحانه](١): ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ القمر: ١٤.

---

(١) زيادة من فوقية .

وأن من زعم أن أسماء الله غيره كان ضالا.

وأن لله علما كما قال: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾ النساء: ١٦٦، وكما قال: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾ فاطر: ١١.

ونثبت لله السمع والبصر، ولا ننفى ذلك كما نفته المعتزلة والجهمية والخوارج.

ونثبت أن لله قوة، كما قال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ فصلت: ١٥ .

ونقول: إن كلام الله غير مخلوق[١]، وأنه [سبحانه][٢] لم يخلق شيئا إلا وقد قال له كن، كما قال: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ النحل: ٤٠.

وأنه لا يكون في الأرض شيء من خير و شر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله عز وجل، وأن أحدا لا يستطيع أن يفعل شيئا قبل أن يفعله، ولا يستغني عن الله، ولا يقدر على الخروج من علم الله عز وجل.

وأنه لا خالق إلا الله، وأن أعمال العباد مخلوقة لله مقدرة، كما قال [سبحانه][٢]: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الصافات: ٩٦ ، وأن العباد لا يقدرون أن

---

[١] قال المصنف في " المقالات " : " ويقولون أن القرآن كلام الله غير مخلوق والكلام في الوقف واللفظ من قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق."اهـ (ص٢٩٢)

[٢] زيادة من فوقية .

يخلقوا شيئا، وهم يخلقون، كما قال: ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ فاطر: ٣ ، وكما قال ﴿ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ النحل: ٢٠ ، وكما قال [سبحانه](١): ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ﴾النحل: ١٧ ، وكما قال ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ الطور: ٣٥، وهذا في كتاب الله كثير.

وأن الله وفق المؤمنين لطاعته، ولطف بهم، ونظرهم، وأصلحهم وهداهم، وأضل الكافرين ولم يهدهم، ولم يلطف بهم بالآيات ، كما زعم أهل الزيغ والطغيان، ولو لطف بهم وأصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين.

وإن الله يقدر أن يُصلح الكافرين، ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين، كما علم وخذلهم وطبع على قلوبهم(٢).

وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره، وأنا نؤمن بقضاء الله وقدره، خيره وشره، حلوه ومره، ونعلم أن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا، وأن ما أصابنا لم يكن ليخطئنا.

---

(١) زيادة من فوقية .

(٢) قال المصنف في " المقالات " : " وأن الله سبحانه وفق المؤمنين لطاعته وخذل الكافرين ولطف بالمؤمنين ونظر لهم وأصلحهم وهداهم و لم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولا هداهم ولو أصلحهم لكانوا صالحين ولو هداهم لكانوا مهتدين، وأن الله سبحانه يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه أراد أن لا يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم."اهـ (ص٢٩٢) .

وأن العباد لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا إلا [بإذن][1] الله، كما قال عز وجل: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾الأعراف: ١٨٨.

ونلجئ أمورنا إلى الله، ونثبت الحاجة والفقر في كل وقت إليه سبحانه وتعالى.

ونقول: إن كلام الله غير مخلوق، وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر.

وندين بأن الله تعالى يُرى في الآخرة بالأبصار، كما يُرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون كما جاءت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

ونقول: إن الكافرين محجوبون عنه إذا رآه المؤمنون في الجنة، كما قال الله عز وجل : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ المطففين: ١٥ ، وأن موسى عليه

---

(١) زيادة من فوقية .

(٢) عن جرير بن عبد اللَّهِ البجلي – رضي اللَّه عنه– قال: كنا جلوسا عند النبي صَلَّى اللَّه عليه وسَلَّم إذ نظر إلى القمرِ ليلة البدرِ قال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤْيتِهِ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمسِ وقبل غروبها فافعلوا» ، ثم قرأ: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا}رواه البخاري كتاب مواقيت الصلاة (٢ / ٣٣) (رقم: ٥٥٤) ، وكتاب التفسير (٨ / ٥٩٧) (رقم: ٤٨٥١) ، وكتاب التوحيد (١٣ / ٤١٩) (رقم: ٧٤٣٤) ٧٤٣٥) ، ومسلم كتاب المساجد (١ / ٤٣٩) (رقم: ٦٣٢) .

قال المصنف في " المقالات " : " ويقولون أن الله سبحانه يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر يراه المؤمنون ولا يراه الكافرون لأنهم عن الله محجوبون قال الله عز وجل: كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وأن موسى عليه السلام سأل الله سبحانه الرؤية في الدنيا وأن الله سبحانه تجلى للجبل فجعله دكاً فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة."اهـ (ص٢٩٢ ، ٢٩٣) .

السلام سأل الله عز وجل الرؤية في الدنيا، وأن الله سبحانه تجلى للجبل جعله دكا، فأعلم بذلك موسى أنه لا يراه في الدنيا.

وندين بأن لا نُكَفِّرُ أحدا من أهل القبلة بذنب يرتكبه[١]، كالزنا والسرقة وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج، وزعمت أنهم كافرون.

ونقول: إن من عمل كبيرة من هذه الكبائر مثل الزنا والسرقة وما أشبهها مستحلا لها، غير معتقد لتحريمها كان كافرا.

ونقول: إن الإسلام أوسع من الإيمان، وليس كل إسلام إيمان.

وندين الله عز وجل بأنه يقلب القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل[٢]، وأن الله عز وجل يضع السماوات على أصبع، والأرضين على أصبع، كما جاءت الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تكييف[٣].

---

[١] قال المصنف في " المقالات " : " ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر"اهـ (ص٢٩٣)

[٢] أخرجه مسلم كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء ٤/٢٠٤٥ ح٢٦٥٤ من طريق أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

[٣] البخاري رقم (٤٨١١) في تفسير سورة الزمر: باب قوله تعالى: (وما قدروا الله حق قدره) ، ورقم (٧٤١٤-٧٤١٥) في التوحيد: باب قول الله تعالى: (لما خلقت بيدي) ، ورقم (٧٤٥١) : باب قوله تعالى: (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) ، ورقم (٧٥١٣) : باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ، ومسلم رقم (٢٧٨٦) في صفات المنافقين: باب صفة القيامة والجنة والنار ، وأحمد في "المسند" ١/٤٥٧، والترمذي رقم (٣٢٣٩) في تفسير سورة الزمر.

وندين بأن لا ننزل أحدا من أهل التوحيد والمتمسكين بالإيمان جنة ولا نارا، إلا من شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة، ونرجو الجنة للمذنبين، ونخاف عليهم أن يكونوا في النار معذبين[١]،[أجارنا الله منها بشفاعة سيدنا وحبيبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم][٢].

ونقول: إن الله عز وجل يخرج قوما من النار بعد أن امتحشوا بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تصديقا لما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونؤمن بعذاب القبر وبالحوض، وأن الميزان حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، وأن الله عز وجل يوقف العباد في الموقف، ويحاسب المؤمنين.

وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، ونسلم الروايات الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلمالتي رواها الثقات عدلاً عن عدل، حتى تنتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[١] قال المصنف في " المقالات " : " ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله سبحانه يترلهم حيث شاء، ويقولون: أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، ويؤمنون بأن الله سبحانه يخرج قوماً من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم".اهـ (ص٢٩٣ ، ٢٩٤) .

[٢] زيادة من فوقية .

وندين بحب السلف الذين اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه عليه السلام، ونثني عليهم كما أثنى الله [به][1] عليهم، ونتولاهم أجمعين[2].

ونقول: إن الإمام الفاضل بعد رسول الله صلى الله عليه السلام أبو بكر الصديق رضوان الله عليه، وأن الله [سبحانه وتعالى][1] أعز به الدين، وأظهره على مرتدين، وقدمه المسلمون بالإمامة، كما قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة[3] وسمَّوه بأجمعهم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ثم عثمان بن عفان رضى الله عنه، وأن الذين قتلوه قتلوه ظلما وعدوانا، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فهؤلاء الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلافتهم خلافة النبوة.

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] قال المصنف في " المقالات " : " ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله سبحانه لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم، ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضوان الله عليهم ويقرون أنهم الخلفاء الراشدون المهديون أفضل الناس كلهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم."اهـ (ص٢٩٤) .

[3] «مَرِضَ النبيُّ – صلى الله عليه وسلم– فَاشْتَدَّ مرَضُه، فقال: مُروا أبا بكر فَلْيُصَلِّ بالناس، قالت عائشةُ: يا رسولَ الله، إنَّه رجل رقيق، إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلِّي بالناس، فقال: مُرِي أبا بكر فليصلِّ بالناس، فعادتْ، فقال: [ص:٥٩٦] مُرِي أبا بكر فليصلِّ بالناس، فإنكنَّ صَواحِبُ يوسفَ، فأتاه الرسولُ، فصلَّى بالناس في حياةِ رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم–»رواه البخاري ٦ / ٢٩٩ في الأنبياء، باب قول الله تعالى: {لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين} ، وفي الجماعة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، ومسلم رقم (٤٢٠) في الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما.

ونشهد بالجنة للعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها، ونتولى سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونكف عما شجر بينهم.

وندين الله بأن الأئمة الأربعة خلفاء راشدون، مهديون فضلاء، لا يوازنهم في الفضل غيرهم.

ونصدق بجميع الروايات التي يُثبت أهل النقل من النزول إلى سماء الدنيا، وأن الرب عز وجل يقول: (هل من سائل، هل من مستغفر)[١] ، وسائر ما نقلوه وأثبتوه خلافا لما قاله أهل الزيغ والتضليل.

ونقول فيما اختلفنا فيه على كتاب ربنا [عز وجل][٢]، وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وإجماع المسلمين، وما كان في معناه، ولا نبتدع في دين الله ما لم يأذن لنا، ولا نقول على الله مالا نعلم.

ونقول: إن الله عز وجل يجيء يوم القيامة، كما قال [سبحانه][٢]: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ الفجر: ٢٢.

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر آخر الليل، (ح١٥٨-١٧٠-١٧٢)

[٢] زيادة من فوقية .

وأن الله عز وجل يقرب من عباده كيف شاء [بلا كيف][1]، كما قال تعالى: ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ ق: ١٦ ، وكما قال سبحانه: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿٩﴾ ﴾ النجم: ٨ - ٩ .

ومن ديننا أن نصلي الجمعة والأعياد، وسائر الصلوات والجماعات خلف كل بر وفاجر، كما روي عن عبد الله بن عمر [رضى الله عنهم][1] كان يصلي خلف الحجاج[2].

وأن المسح على الخفين سنة في الحضر والسفر، خلافا لقول من أنكر ذلك.

---

(١) زيادة من فوقية .

(٢) عن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهم- قال: «كَتَبَ عبدُ الملك إلى الحجاج: أنْ لا تُخَالِفَ ابن عمر في الحج، فجاء ابنُ عمر- وأنا معه يوم عرفة - حين زالت الشمسُ، فصاح عند سُرَادِقِ الحجاج فخرج وعليه ملْحَفَةٌ معَصفَرَةٌ، فقال: مَالَكَ يا أبا عبد الرحمن؟ قال: الرَّواح إن كنتَ تُريدُ السُّنَّة ، قال: هذه الساعةَ؟ قال نعم، قال: فَأَنْظِرْنِي حتى أُفيضَ على رأسي ماء، ثم أَخْرُجَ، فَنَزَلَ حتى خَرَجَ الحُجَّاجُ، فَسارَ بَيني وبَيْنَ أبي، فقلتُ: إنْ كنتَ تُريد السُّنة فاقصُرِ الْخُطْبَةَ، وعَجِّل الوقوفَ، فجعل ينظُرُ إلى عبد الله، فلما رأى عبدُ الله ذلك، قال: صدَقَ» .

أخرجه البخاري ٣ / ٤٠٨ و ٤٠٩ في الحج، باب التهجير بالرواح يوم عرفة، وباب قصر الخطبة بعرفة. والموطأ ١ / ٣٩٩ في الحج، باب الصلاة في البيت وقصر الصلاة وتعجيل الخطبة بعرفة، وأبو داود رقم (١٩١٤) في المناسك، باب الرواح إلى عرفة، والنسائي ٥ / ٢٥٢ في الحج، باب الرواح يوم عرفة، وباب قصر الخطبة بعرفة، وأخرجه أيضاً ابن ماجة رقم (٣٠٠٩) في المناسك، باب المتزل بعرفة.

ونرى الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح والإقرار بإمامتهم، وتضليل من رأى الخروج عليهم إذا ظهر منهم ترك الاستقامة. وندين بإنكار الخروج بالسيف، وترك القتال في الفتنة، ونقر بخروج الدجال [-أعاذنا الله من فتنته -][1]كما جاءت به الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]، ونؤمن بعذاب القبر، ونكير ومنكر [عليهما الصلاة والسلام][1]، ومساءلتهما المدفونين في قبورهم[3].

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: «حدَّثنا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم- حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حَدَّثنا به أن قال: يأتي الدجالُ وهو محرَّم عليه أن يدخل نِقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هُوَ خَيْرُ الناس - أو مِنْ خَير الناس - فيقول: أشهَدُ أنَّكَ الدَّجال الذي حدَّثنا عنكَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم- حديثَه، فيقول الدَّجال: أرأيتم إن قَتَلْتُ هذا، ثم أحْيَيْتُهُ، هَلْ تَشُكُّون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله، ثم يحييه، فيقول حين يحييه: واللهِ ما كنتُ قط أشدَّ بصيرة مني اليوم، فيقول الدجال: اقتله، ولا يُسَلَّط عليه» . رواه البخاري ١٣ / ٨٩ - ٩١ في الفتن، باب لا يدخل الدجال المدينة، وفي فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، ومسلم رقم (٢٩٣٨) في الفتن، باب صفة الدجال وتحريم المدينة عليه.

[3] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا قُبِرَ الميتُ - أو قال: الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسولُه، أشهد أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كُنَّا نعلم أنَّكَ تقول هذا، ثم يُفْسحُ له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم يُنَوَّرُ له فيه، ثم يقال له: نَمْ فيقول: أرجع إلي أهلي فأخبرهم، فيقولان: نَمْ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحبُّ أهله إليه، حتى يبعثَه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعتُ الناسَ يقولون قولاً، فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كُنَّا نعلم أنَّكَ تقول ذلك، فيقال للأرض: التَئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذَّباً حتى يبعثَه الله من مضجعه ذلك» أخرجه الترمذي رقم (١٠٧١) في الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر، وحسنه الترمذي، وهو كما قال.

ونصدق بحديث المعراج[١]، ونصحح كثيرا من الرؤيا في المنام، ونقر أن لذلك تفسيرا. ونرى الصدقة على موتى المسلمين، والدعاء لهم، ونؤمن بأن الله ينفعهم بذلك[٢]. ونصدق بأن في الدنيا سحرة وسحر، وأن السحر كائن موجود في الدنيا. وندين بالصلاة على موتى المسلمين من أهل القبلة، برهم وفاجرهم، وموارثيهم. ونقر أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن من مات وقتل فبأجله مات وقتل.

وأن الأرزاق من قبل الله عز وجل، يرزقها عباده حلالا وحراما، وأن الشيطان يوسوس للإنسان، ويشككه ويتخبطه، خلافا لقول المعتزلة والجهمية، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ البقرة: ٢٧٥ ، وكما قال: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ الناس: ٤ - ٦ .

ونقول: إن الصالحين يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات يظهرها عليهم.

---

[١] عن أنس عن مالك بن صعصعة: أنَّ نبي الله - صلى الله عليه وسلم- حدثهم عن ليلة أُسْرِيَ به، قال: «بينما أنا في الحَطيم... » الحديث بطوله أخرجه البخاري ٦ / ٢١٧ - ٢١٩ في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، وفي الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وهل أتاك حديث موسى. إذ رأى ناراً} ، وباب قول الله تعالى: {ذكر رحمة ربك عبده زكريا} ، وفي فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب المعراج، ومسلم رقم (١٦٤) في الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم .

[٢] عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنَّ رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم يُنْتَفَعُ به، أو ولد صالح يدعو له» . رواه مسلم رقم (١٦٣١) في الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، وأبو داود رقم (٢٨٨٠) في الوصايا، باب ما جاء في الصدقة عن الميت، والترمذي رقم (١٣٧٦) في الأحكام، باب في الوقف، والنسائي ٦ / ٢٥١ في الوصايا، باب فضل الصدقة عن الميت.

وقولنا في أطفال المشركين إن الله [تعالى][١] يؤجج لهم في الآخرة نارا، ثم يقول لهم اقتحموها، كما جاءت بذلك الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٢].

وندين لله عز وجل بأنه يعلم ما العباد عاملون، وإلى ما هم إليه صائرون، وما كان يكون ، وما لا يكون إن لو كان كيف كان يكون، وبطاعة الأئمة وبصحبة ونصيحة المسلمين.

ونرى مفارقة كل داع إلى بدعة، ومجانبة أهل الأهواء.

وسنَحتج ُّ لما ذكرناه من قولنا، وما بقى منه مما لم نذكره باباً بابًا، وشيئا شيئا إن شاء الله تعالى[٣].

---

[١] زيادة من فوقية .

[٢] عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أربعة كلهم يدلي على الله يوم القيامة بحجة وعذر: رجل مات في الفترة، ورجل أدرك الإسلام هرما، ورجل أصم أبكم، ورجل معتوه، فيبعث الله- عز وجل- إليهم رسولا، فيقول: أطيعوه فيأتيهم الرسول ليؤجج لهم نارا، فيقول: اقتحموها؟ فمن اقتحمها كانت عليه بردا وسلاما، ومن لا حقت عليه كلمة العذاب". اخرجه أحمد (١٦٣٠١) وابو يعلى (٨٤١) والطبراني في الكبير (٢٧٨/١) قال في " إتحاف الخيرة المهرة " : " رواه أبو يعلى الموصلي بسند ضعيف؟ لضعف علي بن زيد بن جدعان، ورواه أحمد بن حنبل من وجه آخر."(١٧٨/٨) .

[٣] قال شيخ الإسلام : " وهذه الجمل التي ذكرها في الإبانة، هي الجمل التي ذكرها في كتاب «المقالات» عن أهل السنة والحديث، وذكر أنه يقول بذلك، كما تقدم نقل «ابن فورك» لذلك، لكنه في «الإبانة» بسطها بعض البسط، بالتنبيه على مأخذها لأنه كتاب احتجاج لذلك، ليس هو كتاب حجة لنقل مذاهب الناس فقط ." اهـ بيان تلبيس الجهمية (١١٧/١) .

باب في الكلام في إثبات رؤية الله تعالى بالأبصار في الآخرة

١- قال الله عز وجل: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ القيامة: ٢٢ يعني مشرقة، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة: ٢٣ يعني رائية، وليس يخلو النظر من وجوه نحن ذاكروها:

أ- إما أن يكون الله عز وجل عني نظر الاعتبار، لقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾ الغاشية: ١٧ .

ب- أو يكون عنى نظر الانتظار، لقوله [تعالى][1]: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ يس: ٤٩ .

ج- أو يكون عنى نظر التعطف، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ آل عمران: ٧٧ .

د-أو يكون عَنَى نظر الرؤية.

فلا يجوز أن يكون الله عز وجل عنى نظر التفكير والاعتبار؛ لأن الآخرة ليست بدار اعتبار.

---

[1] زيادة من فوقية .

ولا يجوز أن يكون عنى نظر الانتظار؛ لأن النظر إذا ذكر مع ذكر الوجه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه، كما إذا ذكر أهل اللسان نظر القلب فقالوا: " انظر في هذا الأمر بقلبك "، لم يكن معناه نظر العينين، وكذلك إذا ذكر النظر مع الوجه لم يكن معناه نظر الانتظار؛ الذي بالقلب، وأيضا فإن نظر الانتظار لا يكون في الجنة؛ لأن الانتظار معه تنغيص وتكدير، وأهل الجنة لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت[1] من العيش السليم والنعيم المقيم.

وإذا كان هذا هكذا لم يجز أن يكونوا منتظرين؛ لأنهم كلما خطر ببالهم شيء أتوا به مع خطوره ببالهم.

وإذا كان ذلك كذلك فلا يجوز أن يكون الله عز وجل أراد نظر المنعطف؛ لأن الخلق لا يجوز أن يعطفها على خالقهم.

وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسام النظر، وهذا معنى قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ القيامة: ٢٣ أنها رائية ترى ربها عز وجل.

٢- ومما يبطل قول المعتزلة: أن الله عز وجل أراد بقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ القيامة: ٢٣ نظر الانتظار، لأنه قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ القيامة: ٢٣ ونظر الانتظار لا يكون مقرونا بقوله: (إلى) ؛ لأنه لا يجوز عند العرب أن يقولوا في نظر

---

[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر فاقرءوا إن شئتم (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) أخرجه البخاري في: ٥٩ كتاب بدء الخلق: ٨ باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة

الانتظار " إلى "، ألا ترى أن الله عز وجل لما قال: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً ﴾ يس: ٤٩ لم يقل " إلى "؛ إذ كان معناه الانتظار.

وقال عز وجل مخبرا عن بلقيس: ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ النمل: ٣٥، فلما أرادت الانتظار لم تقل " إلى ".

وقال امرؤ القيس شعرًا:

فإنكما إن تنظراني ساعة من الدهر تنفعني لدى أم جندب

فلما أراد الانتظار لم يقل " إلى "، فلما قال الله عز وجل: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة: ٢٣ علمنا أنه لم يرد الانتظار، وإنما أراد نظر الرؤية.

٣- ولما قرن النظر بذكر الوجه؛ وقرن الله عز وجل النظر بذكر الوجه أراد نظر العينين اللتين في الوجه، كما قال: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ﴾ البقرة: ١٤٤ ، فذكر الوجه، وإنما أراد تقلب عينيه نحو السماء ينتظر نزول الملك عليه، يصرف الله تعالى له عن قبلة بيت المقدس إلى القبلة.

٤- فإن قال قائل: لم قلتم: إن قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة: ٢٣ إنما أراد إلى ثواب ربها ناظرة؟ قيل له: ثواب الله عز وجل غيره، والله [سبحانه][1] وتعالى قال: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة: ٢٣ ولم يقل: إلى غيره ناظرة.

---

[1] زيادة من فوقية .

والقرآن [العزيز][1] على ظاهره، وليس لنا أن نزيله عن ظاهره إلا لحجة، وإلا فهو على ظاهره.

ألا ترى أن الله عز وجل لما قال: صلوا لي واعبدوني، لم يجز أن يقول قائل: إنه أراد غيره، ويزيل الكلام عن ظاهره؛ فلذلك لما قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ القيامة: ٢٣ لم يجز لنا أن نزيل القرآن عن ظاهره بغير حجة.

٥- ثم يقال للمعتزلة: إن جاز لكم أن تزعموا أن قول الله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ القيامة: ٢٣ إنما أراد به أنها إلى غيره ناظرة، فلم لا جاز لغيركم أن يقول: إن قول الله عز وجل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ الأنعام: ١٠٣ أراد بها لا تدركه غيره، ولم يرد أنها لا تدركه؟ وهذا مما لا يقدرون على الفرق فيه.

٦- ودليل آخر: ومما يدل على أن الله تعالى يُرى بالأبصار قول موسى[صلى الله عليه وسلم][1]: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾الأعراف: ١٤٣ولا يجوز أن يكون موسى عليه وسلامه - قد ألبسه الله تعالى جلباب النبيين، وعصمه بما عصم به المرسلين - فسأل ربه ما يستحيل عليه، وإذا لم يجز ذلك على موسى [صلى الله عليه وسلم][1] فقد علمنا أنه لم يسأل ربه مستحيلا، وأن الرؤية جائزة على ربنا عز وجل.

---

[1] زيادة من فوقية .

ولو كانت الرؤية مستحيلة على ربنا [تعالى][1] كما زعمت المعتزلة، ولم يعلم ذلك موسى عليه السلام وعلموه هم لكانوا على قولهم أعلم بالله من موسى عليه السلام، وهذا ما لا يدعيه مسلم.

٧- فإن قال قائل: ألستم تعلمون حكم الله في الظهار اليوم، ولم يكن نبي الله عليه السلام يعلم ذلك قبل أن ينزل؟

قيل له: لم يكن يعلم نبي الله عليه السلام ذلك قبل أن يلزم الله العباد حكم الظهار، فلما لزمهم الحكم به أعلم نبيه [صلى الله عليه وسلم][1] قبلهم، ثم أعلم نبي الله [صلى الله عليه وسلم][1] عباد الله ذلك، ولم يأت عليه وقت لزمه حكمه فلم يعلم عليه السلام، وأنتم زعمتم أن موسى عليه السلام كان قد لزمه أن يعلم حكم الرؤية ، وأنها مستحيلة عليه .

وإذا لم يعلم ذلك وقت لزومه وعلمه وعلمتموه أنتم الآن لزمكم بجهلكم أنكم بما لزمكم العلم به بيان أعلم من موسى عليه السلام بما لزمه العلم به، وهذا خروج عن دين المسلمين.

---

(١) زيادة من فوقية .

٨- دليل آخر: مما يدل على جواز رؤية الله تعالى بالأبصار قول الله تعالى لموسى [صلى الله عليه وسلم][1]: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾الأعراف: ١٤٣.

فلما كان الله عز وجل قادرا على أن يجعل الجبل مستقرا؛ كان قادرا على أمر الذي لو فعله لرآه موسى [صلى الله عليه وسلم][1] فدل ذلك على أن الله تعالى قادرٌ أن يُري عباده نفسه، وأنه جائز رؤيته.

٩- فإن قال قائل: فلم لا قلتم إن قول الله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾الأعراف: ١٤٣ تبعيد للرؤية؟

قيل له: لو أراد الله عز وجل تبعيد الرؤية لقرن الكلام بما يستحيل وقوعه، ولم يقرنه بما يجوز وقوعه، فلما قرنه باستقرار الجبل وذلك أمر مقدور لله سبحانه [وتعالى][1] دل ذلك على أنه جائز أن يُرى الله تعالى.

ألا ترى أن الخنساء لما أرادت تبعد صُلحها لمن كان حربا لأخيها قرنت الكلام بأمر مستحيل فقالت:

ولا أصالح قوما كنت حربهم حتى تعود بياضا حلكة القارِ

---

(١) زيادة من فوقية .

والله تعالى إنما خاطب العرب بلغتها، وما نجده مفهوما في كلامها ومعقولا في خطابها. فلما قرن الرؤية بأمر مقدور جائز علمنا أن رؤية الله بالأبصار جائزة غير مستحيلة.

١٠- ودليل آخر: قال [الله][1] عز وجل: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ يونس: ٢٦ ، قال أهل التأويل: النظر إلى الله تعالى، ولم يُنعم الله عز وجل على أهل جنانه بأفضل من نظرهم إليه ورؤيتهم له.

وقال عز وجل: ﴿ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ ق: ٣٥ قيل: النظر إلى الله عز وجل. وقال [تعالى][1]: ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ ﴿٤٤﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٤ ،وإذا لقيه المؤمنون رأوه.

وقال الله عز وجل: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ المطففين: ١٥ فحجبهم عن رؤيته، ولا يحجب عنها المؤمنين.

١١- سؤال : فإن قال قائل: فما معنى قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ الأنعام: ١٠٣ ؟

أ- قيل له: يحتمل أن يكون: لا تدركه في الدنيا، وتدركه في الآخرة؛ لأن رؤية الله تعالى أفضل اللذات، وأفضل اللذات يكون في أفضل الدارين.

---

(١) زيادة من فوقية .

ب- ويحتمل أن يكون الله عز وجل أراد بقوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ الأنعام: ١٠٣ يعني: لا تدركه أبصار الكافرين المكذبين، وذلك أن الكتاب يُصَدِّق بعضه بعضا، فلما قال في آية: إن الوجوه تنظر إليه يوم القيامة، وقال في آية أخرى: إن الأبصار لا تدركه، علمنا أنه إنما أراد أبصار الكفار لا تدركه.

١٢- مسألة والجواب عنها: فإن قال قائل: قد استكبر الله [تعالى][1] سؤال السائلين له أن يُرى بالأبصار، فقال: ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ النساء: ١٥٣ .

فيقال لهم: إن بني إسرائيل سألوا رؤية الله عز وجل على طريق الإنكار لنبوة موسى [صلى الله عليه وسلم][1]، وترك الإيمان به حتى يروا الله؛ لأنهم قالوا: ﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ البقرة: ٥٥ فلما سألوه الرؤية على طريق ترك الإيمان بموسى عليه السلام حتى يريهم الله نفسه؛ استعظم الله سؤالهم من غير أن تكون الرؤية مستحيلة عليه، كما استعظم الله سؤال أهل الكتاب أن ينزل عليهم كتابا من السماء من غير أن يكون ذلك مستحيلا، ولكن لأنهم أبوا أن يؤمنوا بنبي الله حتى ينزل عليهم كتابا من السماء.

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] البخاري (٢ / ٤٠) ح ٥٥٤ في مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، وأخرجه برقم (٤٨٥، ٧٤٣٤، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦) في التفسير وبأرقام (٧٤٣٤، ٧٤٣٥، ٧٤٣٦) . وبنحوه مسلم (١ / ١٦٧) ح ١٦٣ في الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، من حديث عطاء عن أبي سعيد مرفوعا.

١٣- دليل آخر: ومما يدل على إثبات رؤية الله عز وجل بالأبصار ما روته الجماعات من الجهات المختلفات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضارون في رؤيته)[٢] والرؤية إذا أطلقت إطلاقا ومُثِّلت برؤية العيان لم يكن معناها إلا رؤية العيان.

١٤- ورويت الرؤية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرق مختلفة عديدة، علىٰ رواتها أكثر من عدة خبر الرجم، ومن عدة من روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا وصية لوارث)[١] ، ومن عدة رواة المسح على الخفين[٢]، ومن عدة رواة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تنكح المرأة على عمتها ولا خالتها)[٣] ، وإذا كان الرجم وما ذكرناه سننا عند المعتزلة كانت الرؤية أولى أن تكون سنة؛ لكثرة رواتها ونقلتها، [كذا][٤] يرويها خلف عن سلف.

---

[١] أخرجه أحمد (٢٦٧/٥) و أبو داود رقم (٢٨٧٠) في الوصايا، باب ما جاء في الوصية للوارث.

[٢] روى المسح على الخفين ثمانون صحابيا- منهم العشرة المبشرون بالجنة- كما قال ابن منده. وسرد الترمذي (٩٣) والبيهقي (١ / ٢٦٩ فما بعدها) منهم جماعة، ونص على تواتر الحديث جمع من الحفاظ انظر "فتح الباري" (١ / ٣٠٦) و"التلخيص الحبير" (١ / ١٥٨) و"شرح الطحاوية" (ص ٣٤٥) .

[٣] رواه البخاري ٩ / ١٣٨ و ١٣٩ في النكاح، باب لا تنكح المرأة على عمتها، ومسلم رقم (١٤٠٨) في النكاح، باب تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها في النكاح .

[٤] زيادة من فوقية .

وحديث (أنَّى أراه)[١] لا حجة فيه؛ لأنه عندما سأل [سائل][٢] النبي صلى الله عليه وسلم عن رؤية الله عز وجل في الدنيا، وقال له: هل رأيت ربك؟

فقال: (نورٌ أنى أراه) ؟ لأن العين لا تدرك في الدنيا الأنوار المخلوقة على حقائقها؛ لأن الإنسان لو حدق بنظره إلى عين الشمس فأدام النظر إلى عينها لذهب أكثر نور بصره، فإذا كان الله عز وجل حكم في الدنيا بأن لا تقوم العين بالنظر إلى عين الشمس فأحرى أن لا يثبت البصر للنظر إلى الله عز وجل في الدنيا، إلا أن يقويه الله عز وجل ، فرؤية الله سبحانه في الدنيا قد اختلف فيها.

وقد روي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل تراه العيون في الآخرة، وما روى عن أحد منهم أن الله عز وجل لا تراه العيون في الآخرة.

١٥- فلما كانوا على هذا مجمعين، وبه قائلين، وإن كانوا في رؤيته[٣] في الدنيا مختلفين، ثبتت الرؤية في الآخرة إجماعا، وإن كانت في الدنيا مختلفا فيها.

ونحن إنما قصدنا إلى إثبات رؤية الله عز وجل في الآخرة، على أن هذه الرواية على المعتزلة لا لهم؛ لأنهم ينكرون أن الله نور في الحقيقة.

فإذا احتجوا بخبر هم له تاركون وعنه منحرفون، كانوا محجوجين.

---

[١] رواه مسلم رقم (١٧٨) في الإيمان، باب قوله عليه السلام: " نور أنا أراه "، والترمذي رقم (٣٢٧٨) في التفسير، باب ومن سورة النجم.

[٢] زيادة من فوقية .

[٣] عند فوقية : رؤية الله تعالى .

١٦- دليل آخر: ومما يدل على رؤية الله عز وجل بالأبصار؛ أنه ليس موجود إلا وجائز أن يريناه الله عز وجل[١]، وإنما لا يجوز أن يُرى المعدوم، فلما كان الله عز وجل موجودا ثابتا، كان غير مستحيل أن يرينا نفسه عز وجل، وإنما أراد من نفى رؤية الله عز وجل بالأبصار التعطيل، فلما لم يمكنهم أن يظهروا التعطيل

---

[١] قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " أنه ليس موجوداً إلا وجايز أن يريناه وإنما لا يجوز أن يرى المعدوم فلما كان الله موجوداً مثبتاً كان غير مستحيل أن يرينا نفسه عز وجل وإنما أراد من نفي الرؤية لله عز وجل بالأبصار التعطيل فلما لم يمكنهم ذلك صراحاً أظهروا ما يؤول إلى التعطيل وجحدوا الله تعالى تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً قال ومما يدل على جواز رؤية الله تعالى بالأبصار أن الله تعالى يرى الأشياء وإذا كان للأشياء رائياً وليس يجوز أن يرى الأشياء من لا يرى نفسه وإذا كان لنفسه رائياً فجائز أن يرينا نفسه وذلك أنه من لا يعلم نفسه لا يعلم شيئاً فما كان الله تعالى عالماً بالأشياء كان عالماً بنفسه فكذلك من لا يرى نفسه لا يرى الأشياء فلما كان الله رائياً للأشياء كان رائياً لنفسه وإذا كان رائياً لها فجائز أن يرينا نفسه كما أنه لما كان عالماً بنفسه جاز أن يعلمناها وقد قال الله عز وجل { إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى } [طه ٤٦] فأخبر أنه سمع كلامهما ويراهما ومن زعم أن الله لا يرى بالأبصار يلزمه أن لا يجوز أن يكون الله عز وجل عالماً ولا قادراً ولا رائياً لأن العالم القادر الرائي جائز أن يرى قلت وهذا المعنى الذي ذكره الأشعري من أن الموجود يقدر الله على أن يريناه وأن المعدوم هو الذي لا يجوز رؤيته فنفي الرؤية يستلزم نفي الوجود هو مأخوذ من كلام السلف والأئمة كما ذكره حنبل عن الإمام أحمد ورواه الخلال عن في كتاب السنة قال القوم يرجعون إلى التعطيل في كونهم ينكرون الرؤية وذلك أن الله على كل شيء قدير وهذا لفظ عام لا تخصيص فيه فأما الممتنع لذاته فليس بشيء باتفاق العقلاء وذلك أنه متناقض لا يعقل وجوده فلا يدخل في مسمى الشيء حتى يكون داخلاً في العموم مثل أن يقول القائل هل يقدر أن يعدم نفسه أو يخلق مثله فإن القدرة تستلزم وجود القادر وعدمه ينافي وجوده فكأنه قيل هل يكون موجوداً معدوماً وهذا متناقض في نفسه لا حقيقة له وليس بشيء أصلاً وكذلك وجود مثله يستلزم أن يكون الشيء موجوداً معدوماً فإن مثل الشيء ما يسد مسده ويقوم مقامه فيجب أن يكون الشيء موجوداً معدوماً قبل وجوده مفتقراً مربوباً فإذا قدر أنه مثل الخالق تعالى لزم أن يكون واجباً قديماً لم يزل موجوداً غنياً رباً ويكون الخالق فقيراً ممكناً معدوماً مفتقراً مربوباً فيكون الشيء الواحد قديماً محدثاً فقيراً مستغنياً واجباً ممكناً موجوداً معدوماً رباً مربوباً وهذا متناقض لا حقيقة له وليس بشيء أصلاً فلا يدخل في العموم وأمثال ذلك أما خلق قوة في العباد يقدرون به على رؤيته فإن ذلك يقتضي كمال قدرته وما من موجود قائم بنفسه إلا والله قادر على أن يرينا إياه بل قد يقال ذلك في كل موجود سواء قام بنفسه أو قام بغيره وهنا طريقة أخرى وهي أن نقول كل

صراحا أظهروا ما يؤول بهم إلى التعطيل والجحود، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

١٧ – دليل آخر: ومما يدل على رؤية الله سبحانه بالأبصار أن الله عز وجل يرى الأشياء، وإذا كان للأشياء رائيا فلا يرى الأشياء من لا يرى نفسه، وإذا كان لنفسه رائيًا فجائز أن يرينا نفسه، وذلك أن من لم يعلم نفسه لا يعلم شيئا، فلما كان الله عز وجل عالما بالأشياء كان عالما بنفسه، فكذلك من لا يرى نفسه لا يرى الأشياء، فلما كان الله عز وجل رائيا للأشياء كان رائيا لنفسه، فإذا كان رائيا لها فجائز أن يرينا نفسه، كما أنه لما كان عالما بنفسه جاز أن يعلمناها، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ طه: ٤٦ ، فأخبر أنه سمع كلامهما ويراهما، ومن زعم أن الله عز وجل لا يجوز أن يُرى بالأبصار يلزمه أن لا يجوز أن يكون الله عز وجل رائيا ولا عالما ولا قادرا؛ لأن العالم القادر الرائي جائز أن يُرى.

١٨ – [مسألة][1]: فإن قال قائل: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ترون ربكم) يعني تعلمون ربكم اضطرارا.

قيل له: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه هذا على سبيل البشارة، فقال: (فكيف بكم إذا رأيتم الله عز وجل) ، ولا يجوز أن يبشرهم بأمر

= موجود فالله قادر على أن يجعلنا نحسه بأحد الحواس الخمس وما لا يكون مكناً إحساسه بإحدى الحواس الخمس فإنه معدوم وهذه الطريقة مما بين الأئمة أن جهماً يقول إن الله معدوم لما زعم أنه لا يحس بشيء من الحواس لأن الموجود لابد أن يمكن إحساسه بإحدى الحواس كما ذكر الإمام أحمد أصل قوم جهم."اهـ بيان تلبيس الجهمية (٤/٣٢٠) .

[1] زيادة من فوقية

بشر فيه الكفار، على أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ترون ربكم) وليس يعني رؤية دون رؤية، بل ذلك عام في رؤية العين ورؤية القلب.

١٩- دليل آخر: إن المسلمين اتفقوا على أن الجنة "فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر" من العيش السليم، والنعيم المقيم، وليس نعيم في الجنة أفضل من رؤية الله عز وجل بالأبصار.

وأكثر مَن عَبَدَ اللهَ عز وجل عَبَدَه للنظر إلى وجهه الكريم - أرانا الله إياه بفضله - فإذا لم يكن بعد رؤية الله [عز وجل][1] أفضل من رؤية نبيه عليه السلام، وكانت رؤية نبي الله أفضل لذات الجنة كانت رؤية الله عز وجل أفضل من رؤية نبيه صلى الله عليه السلام.

وإذا كان ذلك كذلك لم يحرم الله أنبياءه المرسلين، وملائكته المقربين، وجماعة المؤمنين، والصديقين النظر إلى وجهه عز وجل، وذلك أن الرؤية لا تؤثر في المرئي؛ لأن رؤية الرائي تقوم به، فإذا كان هذا هكذا، وكانت الرؤية غير مؤثرة في المرئي لم توجب تشبيها ولا انقلابا عن حقيقة، ولم يستحل على الله عز وجل أن يُري عباده المؤمنين نفسه في جنانه.

٢٠- مسألة في الرؤية: احتجت المعتزلة [في][1]أن الله عز وجل لا يُرى بالأبصار بقوله عز وجل: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾الأنعام: ١٠٣ ،

---

[1] زيادة من فوقية

و قالوا: فلما عطف الله عز وجل بقوله: ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾على قوله ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ ، وكان قوله: ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾على العموم أنه يدركها في الدنيا والآخرة، وأنه يراها في الدنيا والآخرة، كان قوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ دليلا على أنه لا تراه الأبصار في الدنيا والآخرة، وكان في العموم لقوله: ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾؛ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر.

قيل لهم: فيجب إذا كان عموم القولين واحدا، وكانت الأبصار أبصار العيون وأبصار القلوب؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الحج: ٤٦، وقال: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ ص: ٤٥ أي فهي بالأبصار، فأراد أبصار القلوب وهي التي يقصد بها المؤمنون و الكافرون.

٢١- ويقول أهل اللغة: فلان بصير بصناعته، يريدون بصر العلم، ويقولون: قد أبصرته بقلبي، كما يقولون قد أبصرته بعيني، فإذا كان البصر بصر العيون وبصر القلوب ثم أوجبوا علينا أن يكون قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ في العموم كقوله: ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾؛ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر، وجب عليهم بحجتهم أن الله عز وجل لا يُدرك بأبصار العيون ولا بأبصار القلوب؛ لأن قوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ في العموم كقوله: ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ وإذا لم يكن عندهم هكذا فقد وجب أن يكون قوله [تعالى][1]: ﴿

---

[1] زيادة من فوقية

﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ أخص من قوله: ﴿ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ وأنقض احتجاجهم.

٢٢- وقيل لهم: إنكم زعمتم أنه لو كان قوله: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ خاصا في وقت دون وقت لكان قوله: ﴿ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ خاصا في وقت دون وقت.

٢٣- وكان قوله: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ الشورى: ١١ ، وقوله: ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾ البقرة: ٢٥٥ ، وقوله: ﴿ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا ﴾ يونس: ٤٤ في وقت دون وقت، فإن جعلتم قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ خاصا رجع احتجاجكم عليكم، وقيل لكم: إذا كان قوله: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ خاصا ولم يجب خصوص هذه الآيات فلم أنكرتم أن يكون قوله عز وجل: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ إنما أراد في الدنيا دون الآخرة.

٢٤- وكما أن قوله: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ أراد بعض الأبصار دون بعض، ولا يوجب ذلك تخصيص هذه الآيات التي عارضتمونا بها.

٢٥- فإن قالوا: قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ يوجب أن لا يدرك بها في الدنيا والآخرة، وليس ينفي ذلك أن نراه بقلوبنا، ونبصره بها، ولا ندركه بها.

قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون لا تدركه بإبصار العيون لا يوجب إذا لم ندركه بها أن لا نراه، فرؤيتنا له بالعيون وإبصارنا له بها ليس بإدراك له بها، كما أن إبصارنا له بالقلوب ورؤيتنا له بها ليس بإدراك له بها.

٢٦- فإن قالوا: رؤية البصر هي إدراك البصر.

قيل لهم: ما الفرق بينكم وبين من قال: إن رؤية القلب وإبصاره هو إدراكه وإحاطته، فإذا كان علم القلب بالله عز وجل وإبصار القلب له ورؤيته إياه ليس بإحاطة ولا إدراك فما أنكرتم أن تكون رؤية العيون وإبصارها لله عز وجل ليس بإحاطة ولا إدراك.

٢٧- جواب: ويقال لهم: إذا كان قول الله عز وجل: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ في العموم كقوله: ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾؛ لأن أحد الكلامين معطوف على الآخر، فخبر ٌ ونا أليست الأبصار والعيون لا تدركه رؤية ولا لمسا ولا ذوقا ولا على وجه من الوجوه؟

فمن قولهم: نعم، فيقال لهم: أخبرونا عن قوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ أتزعمون أنه يدركها لمسا وذوقا بأن يلمسها؟ فمن قولهم: لا.

فيقال لهم: فقد انتقض قولكم: إنَّ قوله: ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ في العموم كقوله: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ .

٢٨- سؤال: إن قال قائل منهم: إن البصر في الحقيقة هو بصر العين لا بصر القلب. قيل له:ولم زعمت هذا وقد سمى أهل اللغة بصر القلب بصرا، كما سموا بصر العين بصرا، وإن جاز لك ما قلته جاز لغيركم أن يزعم أن البصر في الحقيقة هو بصر القلب دون العين، وإذا لم نجز هذا فقد وجب أن البصر بصر العين وبصر القلب.

٢٩- جواب:ويقال لهم: حدِّثونا عن قول الله عز وجل: ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ ما معناه؟ فإن قالوا: معنى ﴿ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ وأنه يعلمها.

قيل لهم: وإذا كان أحد الكلامين معطوفا على الآخر، وكان قوله عز وجل: ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾معناه يعلمها، فقد وجب أن يكون قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ لا نعلمه، وهذا نفي للعلم لا لرؤية الأبصار.

٣٠- فإن قالوا: معنى قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ معناه يعلمها ، فقد وجب أن يكون قوله لا تدركه الأبصار أنه يراها رؤية ليس معناها العلم. قيل لهم : فالأبصار التي في العيون يجوز أن ترى؟

فإن قالوا: نعم، نقضوا قولهم: إنا لا نرى بالبصر إلا من جنس ما ترى الساعة، فإن جاز أن يرى الله وكل ما ليس من جنس المرئيات وهو الإبصار التي في العين، فلم لا يجوز أن يرى نفسه وإن لم يكن من جنس المرئيات؟ ولم لا يجوز أن يرينا نفسه وإن لم يكن من جنس المرئيات؟

٣١- ويقال لهم: حدثونا إذا رأينا شيئا فبصرناه و إنما يراه الرائي دون البصر؟ فمنقولهم: إنه محال أن يرى البصر الذي في العين. فيقال لهم: الآية تنفي أن تراه الأبصار، ولا تنفي أن يبصره المبصرون. وإنما قال الله عز وجل: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ فهذا لا يدل على أن المبصرين لا يرونه على ظاهر الآية الشريفة.

باب الكلام في أن القرآن كلام الله غير مخلوق

١- إن سأل سائل عن الدليل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

قيل له: الدليل على ذلك قول الله عز وجل: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ﴾الروم: ٢٥ وأمر الله هو كلامه وقوله ، فلما أمرهما بالقيام فقامتا لا يهويان؟ كان قيامهما بأمره.

٢- وقال عز وجل: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ ، فالخلق جميع ما خلق داخل فيه؛ لأن الكلام إذا كان عاما لفظه بحقيقته أنه عام، ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان، فلما قال: (ألا له الخلق) كان هذا في جميع الخلق، ولما قال: (والأمر) ذكر أمرا غير جميع الخلق، فدل ما وصفنا على أن أمر الله غير مخلوق.

٣- فإن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى [في كتابه][1]: ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ ﴾ البقرة: ٩٨ .قيل له: نحن نخص القرآن بالإجماع وبالدليل، فيما ذكر الله عز وجل نفسه وملائكته ولم يدخل في ذكر الملائكة جبريل وميكال. وإن كانا من الملائكة، [ثم][1] ذكرهما بعد ذلك كأنه قال: الملائكة إلا جبريل وميكال، ثم ذكرهما بعد ذكر الملائكة فقال: وجبريل وميكال.

---

[1] زيادة من فوقية .

ولما قال: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤ ، ولم يخص قوله (الخلق) دليل، كان قوله(ألا له الخلق) في جميع الخلق، ثم قال بعد ذكره الخلق " والأمر " فأبان الأمر من الخلق، وأمرُ الله كلامه، وهذا يوجب أن كلام الله غير مخلوق.

وقال سبحانه: ﴿ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ﴾الروم: ٤ يعني من قبل أن يخلق الخلق ومن بعد ذلك، وهذا يوجب أن الأمر غير مخلوق.

٤- دليل آخر: ومما يدل من كتاب الله على أن كلامه غير مخلوق؛ قوله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ النحل: ٤٠فلو كان القرآن مخلوقا لوجب أن يكون مقولاً له: (كن فيكون) .

ولو كان الله عز وجل قائلا للقول: " كن " كان للقول قولا، وهذا يوجب أحد أمرين:

أ- إما أن يؤول الأمر إلى أن قول الله غير مخلوق.

ب- أو يكون كل قول واقع بقول لا إلى غاية، وذلك محال، وإذا استحال ذلك صح وثبت أن لله عز وجل قولا غير مخلوق.

٥- سؤال: فإن قال قائل: معنى قول الله: ﴿ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾إنما يكو ّنه فيكون.

قيل: الظاهر أن يقول له، ولا يجوز أن يكون قول الله للأشياء كلها كوني هو الأشياء؛ لأن هذا يوجب أن تكون الأشياء كلها كلام الله عز وجل، ومن قال

ذلك أعظم الفرية؛ لأنه يلزمه أن يكون كل شيء في العالم من إنسان وفرس وحمار وغير ذلك كلام الله، وفي هذا ما فيه.

فلما استحال ذلك؛ صح أن قول الله للأشياء كون غيرها، وإذا كان غير مخلوق فقد خرج كلام الله عز وجل عن أن يكون مخلوقا.

٦- ويلزم من يثبت أن كلام الله مخلوقا أن يثبت أن الله غير متكلم ولا قائل، وذلك فاسد، كما يفسد أن يكون علم الله مخلوقا، وأن يكون الملك غير عالم.

٧- فلما كان الله عز وجل لم يزل عالما؛ إذ لم يجز أن يكون لم يزل بخلاف العلم موصوفا، استحال أن يكون لم يزل بخلاف الكلام موصوفا؛ لأن خلاف الكلام الذي لا يكون معه كلام سكوت و آفة، كما أن خلاف العلم الذي لا يكون معه علم جهل أو شك أو آفة، ويستحيل أن يوصف ربنا عز وجل بخلاف العلم.

وكذلك يستحيل أن يوصف بخلاف الكلام من السكوت والآفات، فوجب لذلك أن يكون لم يزل متكلما، كما وجب أن يكون لم يزل عالما.

٨- دليل آخر: وقال الله عز وجل: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى﴾ الكهف: ١٠٩، فلو كانت البحار مدادا لكتبه لنفدت البحار وتكسرت الأقلام ولم يلحق الفناء كلمات ربي، كما لا يلحق الفناء علم الله تعالى، ومن فني كلامه لحقته الآفات وجرى عليه السكوت، فلما لم يجز ذلك على ربنا سبحانه صح أنه لم يزل متكلما؛ لأنه لو لم يكن متكلما وجب السكوت والآفات، وتعالى ربنا عن قول الجهمية علوا كبيرا.

فصل

٩- وزعمت الجهمية كما زعمت النصارى ، لأن النصارى زعمت أن كلمة الله[تعالى][1] حواها بطن مريم [رضي الله عنها][1]، وزادت الجهمية عليهم فزعمت أن كلام الله مخلوق حل في شجرة، وكانت الشجرة حاوية له؛ فلزمهم أن تكون الشجرة بذلك الكلام متكلمة، ووجب عليهم أن مخلوقا من المخلوقين كلم موسى صلى الله عليه السلام، وأن الشجرة قالت: يا موسى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني.

فلو كان كلام الله مخلوقا في شجرة لكان المخلوق قال: يا موسى إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ السجدة: ١٣وكلام الله من الله تعالى، فلا يجوز أن يكون كلامه الذي هو منه مخلوقا في شجرة مخلوقة، كما لا يجوز أن يكون علمه الذي هو منه مخلوقا في غيره، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

١٠- جواب: ويقال لهم: كما لا يجوز أن يخلق الله إرادته في بعض المخلوقات، كذلك لا يجوز أن يخلق كلامه في بعض المخلوقات، ولو كانت إرادة الله مخلوقة في بعض المخلوقات لكان ذلك المخلوق هو المريد بها، وذلك

---

[1] زيادة من فوقية

يستحيل، وكذلك يستحيل أن يخلق الله كلامه في مخلوق؛ لأن هذا يوجب أن ذلك المخلوق متكلم به، ويستحيل أن يكون كلام الله كلاما للمخلوق.

١١- دليل آخر: ومما يبطل قولهم إن الله قال مخبرا عن المشركين أنهم قالوا: ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ المدثر: ٢٥ يعني القرآن فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد جعله قولا للبشر، وهذا ما أنكره الله على المشركين.

وأيضا فلو لم يكن الله متكلما حتى خلق الخلق ثم تكلم بعد ذلك لكانت الأشياء قد كانت لا عن أمره ولا عن قوله، ولم يكن قائلا لها كوني.وهذا رد للقرآن، والخروج عما عليه جمهور أهل الإسلام.

فصل

١٢- واعلموا - رحمكم الله - أن قول الجهمية: " إن كلام الله مخلوق "، يلزمهم به أن يكون الله عز وجل لم يزل كالأصنام التي لا تنطق ولا تتكلم، لو كان لم يزل غير متكلم؛ لأن الله عز وجل يخبر عن إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه لما قالوا له: ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ الأنبياء: ٦٢ - ، فاحتج عليهم بأن الأصنام إذا لم تكن ناطقة متكلمة لم تكن آلهة، وأن الله لا يكون غير ناطق ولا متكلم، فلما كانت الأصنام التي لا يستحيل أن يحييها الله وينطقها لا تكون آلهة فكيف يجوز أن يكون من يستحيل عليه الكلام في قدمه إلها؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وإذا لم يجز أن يكون الله سبحانه وتعالى في قدمه بمرتبة دون مرتبة الأصنام التي لا تنطق؛ فقد وجب أن يكون الله لم يزل متكلما.

١٣- دليل آخر: وقد قال الله تعالى مخبرا عن نفسه أنه يقول: ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ﴾غافر: ١٦ وجاءت الرواية أنه يقول هذا القول ولا يرد عليه أحد شيئا، فيقول: ﴿ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ غافر: ١٦ [1]، فإذا كان الله عز وجل قائلا مع فناء الأشياء؛ إذ لا إنسان ولا ملك ولا حي ولا جان ولا حجر ولا شجر ولا مدر،

---

[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: " ينادي مناد بين يدي الصيحة يا أيها الناس أتتكم الساعة فيسمعها الأحياء والأموات، قال: ويترل الله عز وجل إلى السماء الدنيا فينادي مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار "أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل في السنة (٢٢٠) .

فقد صح أن كلام الله عز وجل خارج عن الخلق؛ لأنه يوجد ولا شيء من المخلوقات موجودة.

١٤- دليل آخر: وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ النساء: ١٦٤ ، والتكليم هو المشافهة بالكلام، ولا يجوز أن يكون كلام المتكلم حالا في غيره، مخلوقا في شيء سواه، كما لا يجوز ذلك في العلم.

١٥- دليل آخر: وقال الله عز وجل: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾ ﴾ الإخلاص: ١ - ٤ ، فكيف يكون القرآن مخلوقا وأسماء الله في القرآن؟ هذا يوجب أن تكون أسماء الله مخلوقة، ولو كانت أسماؤه مخلوقة لكانت وحدانيته مخلوقة، وكذلك علمه وقدرته. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

١٦- دليل آخر: وقد قال الله تعالى: ﴿ تَبَارَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ﴾ الرحمن: ٧٨ ولا يقال لمخلوق " تبارك " فدل هذا على أن أسماء الله غير مخلوقة، وقال: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ﴾ الرحمن: ٢٧ فكما لا يجوز أن يكون وجه ربنا مخلوقا، فكذلك لا يجوز أن تكون أسماؤه مخلوقة.

١٧- دليل آخر: وقد قال الله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ آل عمران: ١٨ ولا بد أن يكون شهد بهذه الشهادة، وسمعها من نفسه؛ لأنه إن كان سمعها من مخلوق فليست شهادة له، وإذا كانت شهادة له وقد شهد بها فلا تخلو أن يكون شهد بها قبل كون المخلوقات؛ أو بعد كون المخلوقات.

فإن كان شهد بها بعد كون المخلوقات؛ فلم تكن شهادة لنفسه بالإلهية قبل الخلق، وكيف يكون ذلك كذلك؟ وهذا يوجب أن التوحيد لم يكن شهد به شاهد قبل الخلق، ولو استحالت الشهادة بالوحدانية قبل كون الخلق لاستحال إثبات التوحيد ووجوده، وأن يكون واحدا قبل الخلق؛ لأن ما تستحيل الشهادة عليه لمستحيل.

وإن كانت شهادته لنفسه بالتوحيد قبل الخلق فقد بطل أن يكون كلام الله تعالى مخلوقا؛ لأن كلام الله شهادته.

١٨- دليل آخر: ومما يدل عليه بطلان قول فرق الجهمية، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق: أن أسماء الله من القرآن، وقد قال عز وجل: ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ ﴾ الأعلى: ١ - ٢ ولا يجوز أن يكون ﴿ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ ﴾ مخلوقا، كما لا يجوز أن يكون ﴿ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ مخلوقا، قال الله تعالى في سورة الجن: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ الجن: ٣، وكما لا يجوز أن تكون عظمته مخلوقة كذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقا.

١٩- دليل آخر: وقد قال الله عز وجل: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ الشورى: ٥١ فلو كان كلام الله لا يوجد إلا مخلوقا في شيء مخلوق؛ لم يكن لاشتراط هذه الوجوه معنى؛ لأن الكلام قد سمعه جميع الخلق ووجدوه -بزعم الجهميّة - أله مخلوقا في غير الله عز وجل، وهذا يوجب إسقاط مرتبة النبيين صلوات الله وسلامه عليهم.

٢٠- ويجب عليهم إذا زعموا أن كلام الله لموسى خلقه في شجرة؛ أن يكون من سمع كلام الله عز وجل من مَلَك أو من نبي أتى به من عند الله أفضل مرتبة من سماع الكلام من موسى؛ لأنهم سمعوه من نبي ولم يسمعه موسى من الله عز وجل، وإنما سمعه من شجرة، وأن يزعموا أن اليهودي إذا سمع كلام الله من نبي عليه السلام أفضل مرتبة في هذا المعنى من موسى بن عمران ؛ لأن اليهودي سمعه من نبي من أنبياء الله، وموسى سمعه مخلوقا في شجرة، ولو كان مخلوقا في شجرة لم يكن مُكلِّما لموسى عليه السلام من وراء حجاب؛ لأن من حضر الشجرة من الجن والإنس قد سمعوا الكلام من ذلك المكان، وكان سبيل موسى وغيره في ذلك سواء في أنه ليس كلام الله له من وراء حجاب.

٢١- جواب: ثم يقال لهم: إذا زعمتم أن معنى أن الله عز وجل كلم موسى أنه خلق كلاما كلَّمه به [في الشجرة][1] وقد خلق الله عندكم في الذراع كلاما؛ لأن الذراع قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا تأكلني فإني مسمومة[2]، فلزمكم أن ذلك الكلام الذي سمع النبي صلى الله عليه وسلم كلام الله عز وجل، فإن استحال أن يكون الله تكلم بذلك الكلام المخلوق فما أنكرتم

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] روى أخبار الذراع المسمومة للنبي صلى الله عليه وسلم د. كتاب الديات (ب. فيمن سقى رجلاً سماً) ٢٤٥/٢، دي. في المقدمة (ب. ما أكرم النبي من كلام الموتى) ٣٢/١ من طريقين:
الطريق الأولى عن الزهري عن جابر بن عبد الله وهي منقطعة بين الزهري وجابر، والأخرى عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وهي مرسلة. انظر: مختصر السنن للمنذري ٣٠٧/٦.
ورواه أيضاً البزار من حديث أنس وأبي سعيد الخدري – رضي الله عنهما –. انظر: كشف الأستار ١٤٠/٣ وفي إسناد حديث أنس مبارك بن فضالة البصري. قال عنه ابن حجر: صدوق يدلس. انظر: التقريب ص٣٢٨.
وحديث أبي سعيد إسناده حسن قال الهيثمي عنه: رجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد ٢٩٥/٨، ورواه أيضاً

من أنه مستحيل أن يخلق الله عز وجل كلامه في شجرة؛ لأن كلام المخلوق لا يكون كلاما لله، فإن كان كلام الله وكان معنى أن الله تكلم عندكم أنه خلق الكلام؛ فيلزمكم أن يكون الله مكلما بالكلام الذي خلقه في الذراع، فإن أجابوا إلى ذلك؛ قيل لهم: فالله عز وجل على قولكم هو القائل لا تأكلني فإني مسمومة. تعالى الله عن ذلك [قولكم][1] وافترائكم عليه علوا كبيرا.

وإن قالوا: لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقا في ذراع. قيل لهم: وكذلك لا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقا في شجرة.

= الطبراني في الكبير ٧٠/١٩ من حديث كعب بن مالك – رضي الله عنه –، وفي إسناده أحمد بن بكر البالسي. قال ابن عدي روى مناكير عن الثقات، وقال الأزدي: كان يضع الحديث. انظر: الميزان ٨٦/١، والحديث له أصل في الصحيح عن البخاري كتاب الطب (ب. ما يذكر في سم النبي صلى الله عليه وسلم ١٢٠/٧، حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – ولم يذكر فيه (أن الذراع أخبره) .

(١) زيادة من فوقية .

[2] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ قال: «بينا أعرابي في بعض نواحي المدينة في غنم له؛ عدا عليه الذئب، فأخذ شاة من غنمه، فأدركه الأعرابي، فاستنقذها منه وهجهجه، فعانده الذئب يمشي، ثم أقعى مستذفرا»رواه البخاري ٧ / ٤٢ في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وباب قول النبي صلى الله عليه وسلم: " لو كنت متخذاً خليلاً "، وفي الحرث والزراعة، باب استعمال البقر للحراثة، وفي الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، ومسلم رقم (٢٣٨٨) في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والترمذي رقم (٣٦٨١) و (٣٦٩٦) في المناقب، باب مناقب أبي بكر، وباب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

٢٢- مسألة: ثم يسألون عن الكلام الذي أنطق الله [تعالى][1] به الذئب لما أخبر عن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم[2].

فيقال لهم: إذا كان الله عز وجل يتكلم بكلام خلقه في غيره، فما أنكرتم أن يكون الكلام الذي سمعه من الذئب كلاما لله، ويكون إعجازه يدل على أنه كلام الله تعالى، وفي هذا ما يجب عليهم أن الذئب لم يتكلم به، وأنه كلام الله عز وجل؛ لأن كون الكلام من الذئب معجز، كما أن كونه من الشجرة معجز، فإن كان الذئب متكلما بذلك الكلام المفعول فما أنكرتم أن الشجرة متكلمة بالكلام إن كان خلق في شجرة، وأن يكون المخلوق [فيه][1] قال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ القصص: ٣٠ . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

٢٣- جواب: ثم يقال لهم: إذا كان كلام الله عز وجل مخلوقا في غيره عندكم فما يؤمنكم أن يكون كل كلام الله يسمعونه مخلوقا في شيء، وهو حق أن يكون كلام الله عز وجل ؟

فإن قالوا: لا تكون الشجرة متكلمة؛ لأن المتكلم لا يكون إلا حيا. قيل لهم: ولا يجوز خلق الكلام في شجرة؛ لأن من خلق الكلام فيه لا يكون إلا حيا، فإن جاز أن يخلق الكلام فيما ليس بحي فلم لا يجوز أن يتكلم من ليس بحي.

---

(١) زيادة من فوقية .

ويقال لهم: لم لا قلتم إنه يقول من ليس بحي، لأن الله عز وجل أخبر أن السماوات والأرض: ﴿ قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ فصلت: ١١

٢٤- جواب: ثم يقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل لإبليس: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ ص: ٧٨ فلا بد من نعم.

فيقال لهم: فإذا كان كلام الله مخلوقا وكانت المخلوقات فانيات؛ فيلزمكم إذا أفنى الله عز وجل الأشياء أن تكون اللعنة على إبليس قد فنيت، فيكون إبليس غير ملعون، وهذا ترك دين المسلمين، ورد لقول الله عز وجل: ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ ﴾ ص: ٧٨ ، وإذا كانت اللعنة باقية على إبليس إلى يوم الدين؛ وهو يوم الجزاء، وهو يوم القيامة؛ لأن الله عز وجل قال ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ الفاتحة: ٤ يعني يوم الجزاء، ثم هي أبداً في النار واللعنة كلام الله وهو قوله ﴿ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ ﴾ فقد وجب أن يكون الله عز وجل لا يجوز عليه الفناء، وأنه غير مخلوق؛ لأن المخلوقات يجوز عليها العدم، فإذا لم يجز ذلك على كلام الله عز وجل فهو غير مخلوق.

٢٥- الرد على الجهمية: ثم يقال لهم: إذا كان غضب الله مخلوق، وكذلك رضاه وسخطه، فلم لا قلتم إن كلامه غير مخلوق؟ ومن زعم أن غضب الله مخلوق لزمه أن غضبَ الله وسخطه على الكافرين يفنيان، وأن رضاه عن الملائكة والنبيين يفنى، حتى لا يكون راضيا عن أوليائه ولا ساخطًا على أعدائه، وهذا هو الخروج عن الإسلام.

٢٦- [مسألة][1]: ويقال: خبرونا عن قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ النحل: ٤٠ أتزعمون أن قوله للشيء "كن "مخلوق مراد لله؟ فإن قالوا: لا، قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون كلام الله الذي هو القرآن غير مخلوق، كما زعمتم أن قول الله للشيء "كن" غير مخلوق.

وإن زعموا أن قول الله للشيء "كن" مخلوق. قيل لهم: فإذا زعمتم أنه مخلوق مراد فقد قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ النحل: ٤٠ ؛ فيلزمكم أن قوله [تعالى][1] للشيء (كن) قد قال له: (كن).

وفي هذا ما يوجب أحد أمرين:

١- إما أن يكون قول الله لغيره كن غير مخلوق.

٢- أو يكون لكل قول لا إلى غاية وذلك محال.

فإن قالوا: إن لله قولا غير مخلوق.

قيل لهم: فما أنكرتم أن تكون إرادة الله للإيمان غير مخلوقة. ثم يقال لهم ما العلة التي إنما قلتم إن قول الله للشيء (كن) غير مخلوق. فإن قالوا: لأن القول لا يقال له (كن) فيقال لهم والقرآن غير مخلوق؛ لأنه قول الله، والله لا يقول لقوله (كن).

---

[1] زيادة من فوقية

٢٧- الرد على الجهمية: ويقال لهم: أليس لم يزل الله عالما بأوليائه وأعدائه؟ فلا بد من نعم. قيل لهم: فهل تقولون إنه لم يزل مريدا للتفرقة بين أوليائه وأعدائه؟ فإن قالوا نعم، قيل لهم: فإذا كانت إرادة الله لم تزل فهي غير مخلوقة، وإذلاكت إرادته غير مخلوقة فلِم لا قلتم إن كلامه غير مخلوق؟

فإن قالوا: لا نقول لم يزل مريدا للتفريق بين أوليائه وأعدائه، زعموا أن الله لا يريد التفريق بين أوليائه وأعدائه، ونسبوه سبحانه إلى النقص. تعالى عن قول القدرية علوا كبيرا.

٢٨- جواب: ويقال لهم: إن الشيء المخلوق:

أ- إما أن يكون بدنا من الأبدان، شخصا من الأشخاص.

ب- أو يكون نعتا من نعوت الأشخاص.

فلا يجوز أن يكون كلام الله شخصا؛ لأن الأشخاص يجوز عليها الأكل والشرب والنكاح، ولا يجوز ذلك على كلام الله عز وجل.

ولا يجوز أن يكون كلام الله نعتا لشخص مخلوق؛ لأن النعوت لا تبقى طرفة عين؛ لأنها لا تحتمل البقاء، وهذا يوجب أن يكون كلام الله قد فني ومضى.

فلما لم يجز أن يكون شخصا ولا نعتا لشخص لم يجز أن يكون مخلوقا، على أن الأشخاص يجوز أن تموت.

فمن ثَبَّتكلام الله شخصا مخلوقا لزمه أن يجُوِّز الموت على كلام الله عز وجل، وذلك ما لا يجوز.

وأيضا فلا يجوز أن يكون كلام الله مخلوقا في شخص مخلوق، كما لا يجوز أن يكون نعتا لشخص مخلوق، ولو كان مخلوقا في شخص، وكلاماً للإنسان مفعولا فيه، كما لا يمكن التفريق بين كلام الله وكلام الخلق إذا كانا مخلوقين في شخص مخلوق، كما لا يجوز أن يكون علمه مخلوقا في شخص مخلوق.

٢٩- جواب: ويقال لهم أيضا: لو كان كلام الله مخلوقا لكان جسما أو نعتا لجسم، ولو كان جسما لجائز أن يكون متكلما، والله قادر على قلبهما، وفي هذا ما يلزمهم، ويجب عليهم أن يجوزوا أن يقلب الله القرآن إنسانا أو ظبيا أو شيطانا. تعالى الله عز وجل أن يكون كلامه كذلك.

[و][1]لو كان نعتا لجسم كالنعوت؛ فالله قادر على أن يجعلها أجساما، لكان يجب على الجهمية أن يجوزوا أن يجعل الله القرآن جسما ممتدا، بأكل وشرب، وأن يجعله إنسانا ويميته، وهذا ما لا يجوز على كلامه عز وجل.

(١) زيادة من فوقية .

باب في ذكر الرواة في القرآن

١- مسألة : قال أبو بكر: أتيت أنا والعباس بن عبد العظيم العنبري أبا عبد اللهفسأل العباس ُ بن عبد العظيم أبا عبد الله أحمد بن حنبل- [رحمه الله، ورضي عنه][1] -فقال له: قومٌ ههنا قد حدثوا يقولون: القرآن لا مخلوق ولا غير مخلوق.

[فقال][1]: هؤلاء أضر من الجهمية على الناس، ويلكم فإن لم يقولوا ليس بمخلوق فقولوا مخلوق.

قال أبو عبد الله: هؤلاء قوم سوء.

فقال العباس: ما تقولون يا أبا عبد الله؟

فقال: الذي أعتقده وأذهب إليه ولا أشك فيه أن القرآن غير مخلوق.

ثم قال: سبحان الله ومن يشك في هذا؟ !

ثم تكلم أبو عبد الله مستعظما للشك في ذلك، فقال: سبحان الله أفي هذا شك؟ ! قال الله تبارك وتعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾الأعراف: ٥٤وقال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ ﴾ الرحمن: ١ - ٣ففَر َّ ق بين الإنسان وبين القرآن، فقال: "عَلَّم َ "خَلَق َ " فجعل يعيدها "علَّم "خَلَق أي"فَر ْ ق ٌ بينهما.

---

[1] زيادة من فوقية .

قال أبو عبد الله: والقرآن من علم الله، ألا تراه يقول: (علم القرآن) والقرآن فيه أسماء الله عز وجل، أي شيء يقولون؟ ألا يقولون: إن أسماء الله غير مخلوقة، لم يزل الله قديرا عليما عزيزا حكيما سميعا بصيرا، لسنا نشك أن أسماء الله عز وجل غير مخلوقة، لسنا نشك أن علم الله [عز وجل][1] غير مخلوق، فالقرآن من علم الله وفيه أسماء الله، فلا نشك أنه غير مخلوق، وهو كلام الله عز وجل، ولم يزل الله به متكلما، ثم قال: وأي كفر أكفر من هذا؟ وأي كفر أشر من هذا؟

وإن زعموا أن القرآن مخلوق فقد زعموا أن أسماء الله مخلوقة، وأن علم الله مخلوق، ولكن الناس يتهاونون بهذا ويقولون، إنما يقولون القرآن مخلوق ويتهاونون به ويظنون أنه هين، ولا يدرون ما فيه وهو الكفر، وأنا أكره أن أبوح بهذا لكل أحد، وهم يسألون وأنا أكره الكلام في هذا، فبلغني أنهم يدَّعون أني أمسك.

فقلت له: فمن قال القرآن مخلوق ولا يقول إن أسماء الله مخلوقة ولا علمه لم يزد على هذا، أقول: هو كافر؟

فقال: هكذا هو عندنا.

ثم قال أبو عبد الله: نحن لا نحتاج أن نشك في هذا القرآن عندنا فيه أسماء الله وهو من علم الله، فمن قال: إنه مخلوق فهو عندنا كافر.

---

[1] زيادة من فوقية

فجعلت أردِّدُ عليه، فقال لي العباس - وهو يسمع - سبحان الله أما يكفيك دون هذا.

فقال أبو عبد الله: بلى.[١]

٢- وذكر الحسين بن عبد الأول، قال: سمعت وكيعا يقول: من قال: القرآن مخلوق فهو مرتد يستتاب، فإن تاب وإلا قتل[٢].

٣- وذكر محمد بن الصباح البزار، قال: نا علي بن الحسين بن شقيق، قال: سمعت ابن المبارك يقول: إنا نستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

قال محمد: يقول: نخاف أن نكفر ولا نعلم[٣].

٤-وذكر هارون بن إسحاق الهمداني عن أبي نُعيم، عن سليمان بن عيسى القاري، عن سفيان الثوري رضي الله عنه قال: قال لي حماد بن سليمان: أبلغ أبا حنيفة المشرك أنى منه بريء؟

قال سليمان: ثم قال سفيان؛ لأنه كان يقول القرآن مخلوق[٤].

---

[١] انظر السنة للخلال (١٨٠٤) .

[٢] أخرجه عبد الله في السنة (٣٤) .

[٣] أخرجه عبد الله في السنة (٢٣) .

[٤] أخرجه عبد الله في السنة (٢٤١) .

٥- وذكر سفيان بن وكيع قال: سمعت عمر بن حماد بن أبي حنيفة قال: أخبرني أبي قال: الكلام الذي استتاب فيه ابن أبي ليلى أبا حنيفة هو قوله: القرآن مخلوق، قال: فتاب منه فطاف به في الخلق، قال أبى: فقلت له كيف صرت إلى هذا، قال: خفت والله أن يقدم علي ّ فأعطيته التقية[١].

٦- وذكر هارون بن إسحاق قال: سمعت إسماعيل بن أبي الحكم يذكر عن عمر بن عبيد الطنافسي أن حماداً - يعني ابن أبي سليمان - بعث إلى أبي حنيفة: أني بريء مما تقول، إلا أن تتوب، وكان عنده ابن أبي عيينة، قال: فقال: أخبرني جارك أن أبا حنيفة دعاه إلى ما استتيب منه بعد ما استتيب[٢].

٧- وذكر عن أبي يوسف قال: ناظرت أبا حنيفة [رضي الله عنه][٣] شهرين حتى رجع عن خلق القرآن[٤].

٨- وقال سليمان بن حرب: القرآن غير مخلوق، وأخذته من كتاب الله تعالى، قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ آل عمران: ٧٧ ، وكلام الله ونظره واحد، يعني غير مخلوق[٥].

---

[١] أخرجه عبد الله في السنة (٢٣٨) .

[٢] انظر تاريخ بغداد : (٥٢١/١٥) .

[٣] زيادة من فوقية

[٤] هكذا بدون سند ذكرها المصنف !! وهذا كافٍ في رد هذه الرواية سيما بين المصنف وبين أبي يوسف سنين عدة !

[٥] أخرجه الخلال في السنة (١٩٧٥) .

٩- وذكر الحسين بن عبد الأول، قال: حدثنا محمد بن الحسن ابن أبي يزيد الهمداني عن عمرو بن قيس الملائي، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فضل كلام الله عز وجل على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)[١] ، فهذا يثبت أن القرآن كلام الله عز وجل، وما كان كلاما لله عز وجل لم يكن خلقا لله، وقد بين الله أن القرآن كلامه بقوله عز وجل: ﴿ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٦ ، ودل على ذلك في مواضع من كتابه [العزيز][٢] ، وقد قال الله عز وجل مخبرا أن الله كلم موسى تكليما.

١٠- وروى وكيع عن الأعمش عن خيثمة، عن عدى بن حاتم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان)[٣].

١١- ومما يبين أن الله عز وجل متكلم، وأن له كلاما ما رواه عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة عن الأشعث الحداني أن شهر ابن حوشب قال: (فضل كلام الله عز وجل على سائر الكلام كفضل الله على خلقه).

---

[١] أخرجه الترمذي في: ٤٦-فضائل القرآن، باب رقم ٢٤، ح٢٩٢٦، وقال: هذا حديث حسن غريب.
والدارمي في: فضائل القرآن، حديث: ٣٣٥٦، و٣٣٥٧.

[٢] زيادة من فوقية

[٣] البخاري ٢٥٤/١٧ و ٢٥٥ في التوحيد، باب كلام الرب عز وجل، و (٢٠٤) و (٢٠٥) ، ، وأخرجه مسلم رقم (١٠١٦) في الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، والترمذي رقم (٢٤٢٧) في صفة القيامة في القيامة في شأن القصاص.

١٢- وروى يعلى بن المنهال السعدي، قال: ثنا إسحاق بن سليمان الرازي، قال: ثنا الجراح بن الضحاك الكندي، عن علقمة بن مرثد، عن أبي عبد الرحمن السلمي، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه)[١] ، وقال: (إن فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) ،وذلك أنه منه.

١٣- وذكر سنيد بن داود، قال: حدثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة قوله [تعالى][٢]: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾لقمان: ٢٧ ، قال : قال : المشركون : إنما هذا كلام يوشك أن ينفذ . فأنزل الله تعالى ما تسمعون . يقول : لو كان شجر الأرض أقلاما ، ومع البحر سبعة أبحر مداداً لتكسرت الأقلام ، ونفدت البحور قبل أن تنفذ عجائب ربي ، وحكمته ، وكلماته وعلمه[٣].

١٤- وذكر هارون بن معروف قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن هلال بن أساف، عن فروة بن نوفل ،قال: كنت جارا لخباب بن الأرت، فقال لي: يا هذا تقرب إلى الله عز وجل بما استطعت فإنك لن تتقرب إلى الله بشيء أحب إليه من كلامه[٤].

---

[١] أخرجه أحمد ٥٨/١ (٤١٢) و «البخاري» ٢٣٦/٦ والترمذي رقم (٢٩٠٩) في أبواب ثواب القرآن، باب ما جاء في تعليم القرآن، وأبو داود رقم (١٤٥٢) في الصلاة، باب ثواب قراءة القرآن

[٢] زيادة من فوقية .

[٣] انظر شرح أصول الاعتقاد (٢٢٠/٢) .

[٤] أخرجه عبد الله في السنة (١١١) .

١٥- وروى عن ابن عباس [رضي الله عنهما][١] في قوله عز وجل: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ الزمر: ٢٨ ،قال: غير مخلوق[٢].

١٦- وذكر الليث بن يحيى، قال: حدثني إبراهيم بن أبي الأشعث، قال: سمعت مؤمل ابن إسماعيل [يحدث][١] عن الثوري، قال: من زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر[٣].

١٧- وصحت الرواية عن جعفر بن محمد أن القرآن لا خالق ولا مخلوق[٤]. وروي ذلك عن عمه زيد بن علي، وعن جده علي بن الحسين [رضي الله عنهم أجمعين][١].[٥]

١٨- ومن قال: إن القرآن غير مخلوق، وإن من قال بخلقه كافر من العلماء، وحملة الآثار، ونقلة الأخبار، [وهم][١] لا يحصون كثرة، منهم: حماد[الحمادين]، والثوري وعبد العزيز بن أبي سلمة، ومالك بن أنس ، والشافعي

---

[١] زيادة من فوقية .
[٢] انظر شرح أصول الاعتقاد (٢/٢١٧) .
[٣] انظر شرح أصول الاعتقاد (١/١٥١) .
[٤] انظر شرح أصول الاعتقاد (٢/٢٤١) .
[٥] انظر شرح أصول الاعتقاد (٢/٢٣٧) .

وأصحابه، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة ، وهشام، وعيسى بن يونس ، وحفص بن غياث ، وسعيد بن عامر، وعبد الرحمن بن مهدي، وأبو بكر بن عياش، ووكيع، وأبو عاصم النبيل، ويعلى بن عبيد، ومحمد بن يوسف، وبشر بن الفضل، وعبد الله بن داود، وسلام بن أبي مطيع، وابن المبارك، وعلي بن عاصم، وأحمد بن يونس، وأبو نعيم، وقبيصة ابن عقبة، وسليمان بن داود، وأبو عبيد القاسم بن سلام، ويزيد بن هارون، وغيرهم.

١٩- ولو تتبعنا ذكر من يقول بذلك لطال ذكرهم، وفيما ذكرنا من ذلك مقنع، والحمد لله رب العالمين.

٢٠- وقد احتججنا لصحة قولنا: إن القرآن غير مخلوق من كتاب الله عز وجل، وما تضمنه من البرهان، وأوضحه من البيان، ولم نجد أحدا ممن يحمل [عنه][1] الآثار، يقُلْ عنه الأخبار، ويأتم به المؤتمون من أهل العلم يقول بخلق القرآن، وإنما قال ذلك رعاع الناس[2] وجهاك من جُهَّالهم، لا موقع أمر لهم.

والحجَجُ الذي قدمناه على ذلك يأتي على كثير من قولهم، ودفع باطلهم، والحمد لله على قوة الحق حمدا كثيرا.

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] الرعاع : ساقط الناس وسفلتهم .

باب الكلام على من وقف في القرآن وقال: لا أقول إنه مخلوق ولا أنه غير مخلوق

١- مسألة: يقال لهم لِمَ زعمتم ذلك وقلتموه؟

فإن قالوا: قلنا ذلك؛ لأن الله لم يقل في كتابه: إنه مخلوق، ولا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أجمع عليه المسلمون ، ولم يقل في كتابه إنه غير مخلوق، ولا قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أجمع عليه المسلمون، فتوقفنا لذلك، ولم نقل إنه مخلوق، ولا إنه غير مخلوق.

٢- يقال لهم: فهل قال الله عز وجل لكم في كتابه قفوا فيه؟

ولا تقولوا [إنه][1] غير مخلوق، أوقال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم توقفوا عن أن تقولوا إنه غير مخلوق، وهل أجمع المسلمون على التوقف عن القول إنه غير مخلوق؟ فإن قالوا: نعم، فقد بهتوا. وإن قالوا: لا، قيل لهم: ولا تقفوا عن أن تقولوا غير مخلوق بمثل الجهة التي بها ألزمتم أنفسكم على التوقف.

٣- ثم يقال لهم: ولم أبيتم أن يكون في كتاب الله ما يدل على أن القرآن غير مخلوق؟

---

[1] زيادة من فوقية

فإن قالوا: لم نجده، قيل لهم: ولم زعمتم أنكم إذا لم تجدوه في القرآن فليس موجودا في القرآن؟

٤- ثم إنا نوجدهم ذلك، نتلو عليهم الآيات التي احتججنا بها في كتابنا هذا، واستدللنا [بها][1] على أن القرآن غير مخلوق، كقوله عز وجل: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ الأعراف: ٥٤، وكقوله: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ ﴾ النحل: ٤٠ ، وكقوله: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى ﴾ الكهف: ١٠٩ ، وسائر ما احتججنا به من آيات القرآن.

ويقال لهم: يلزمكم أن تتوقفوا في كل ما اختلف الناس فيه، ولا تقدموا في ذلك على قول، فإن جاز لكم أن تقولوا ببعض تأويل المسلمين إذا دل على صحتها دليل فلم لا قلتم: إن القرآن غير مخلوق من الحجج التي ذكرناها في كتابنا هذا قبل هذا الموضع؟

٥- سؤال : فإن قال قائل: حدثونا، أتقولون: إن كلام الله في اللوح المحفوظ.

قيل له: كذلك نقول؛ لأن الله عز وجل قال: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ البروج: ٢١ - ٢٢. فالقرآن في اللوح المحفوظ ،وهو في صدور الذين أوتوا العلم، قال الله عز وجل: ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ العنكبوت: ٤٩.وهو يتلى بالألسنة، قال الله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ القيامة: ١٦

---

[1] زيادة من فوقية .

والقرآن مكتوب في مصاحفنا في الحقيقة، محفوظ في صدورنا في الحقيقة، متلو بألسنتنا في الحقيقة، مسموع لنا في الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٦ .

٦- سؤال:

فإن قال قائل: حدِّثونا عن اللفظ بالقرآن كيف تقولون فيه؟

قيل له: القرآن يقرأ في الحقيقة، ويتلى، فلا يجوز أن يقال يلفظ به؛ لأن القائل لا يجوز له أن يقول إنه كلام الله ملفوظ به؛ لأن العرب إذا قال قائلهم: لفظت باللقمة من في فمعناه: رميت بها، وكلام الله عز وجل لا يقال ملفوظ به، وإنما يقال يقرأ، ويتلى، ويكتب، ويحفظ.

وإنما قال قوم: لفظنا بالقرآن يثبتون أنه مخلوق، ويزينوا بدعتهم، وقولهم بخلقه، يدلسوا كفرهم على من لم يقف على معناهم، فلما وقفنا على معناهم أنكرنا قولهم، و[كذا][1] لا يجوز أن يقال إن شيئا من القرآن مخلوق؛ لأن القرآن بكماله غير مخلوق.

٧- سؤال : إن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٢ ؟

قيل له: الذكر الذي عناه الله عز وجل ليس هو القرآن، بل هو كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ووعظه إياهم.

---

[1] زيادة من فوقية .

وقد قال الله تعالى لنبيه: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ الذاريات: ٥٥ ، وقد قال الله تعالى: ﴿ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا ﴾ الطلاق: ١٠ - ١١ فسمى الرسول ذكرا، والرسول محدث.

وأيضا فإن الله عز وجل قال : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنبياء: ٢ يخبر أنه لا يأتيهم ذكر محدث إلا استمعوه وهم يلعبون، ولم يقل ما يأتيهم من ذكر إلا كان محدثا، وإذا لم يقل هذا لم يوجب أن يكون القرآن محدثا.

ولو قال قائل: ما يأتيهم رجل من التميميين يدعوهم إلى الحق إلا أعرضوا عنه، لم يوجب هذا القول أنه لا يأتيهم رجل إلا كان تميميا، فكذلك القول[1] فيما سألونا عنه.

٨- مسألة:

وإن سألونا عن قول الله عز وجل: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ يوسف: ٢ . قيل لهم: الله عز وجل أنزل وليس مخلوقا. فإن قالوا: فقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ ﴾ الحديد: ٢٥ والحديد مخلوق.

قيل لهم: الحديد جسم موات، وليس يجب إذا كان القرآن منزلا أن يكون جسما مواتا، فكذلك لا يجب إذا كان القرآن منزلا أن يكون مخلوقا، وإن كان الحديد مخلوقا.

---

[1] عند فوقية : الحكم .

٩- مسألة:

ويقال لهم: قد أمرنا الله عز وجل أن نستعيذ به وهو غير مخلوق، وأمرنا أن نستعيذ بكلمات الله التامات، وإذا لم نؤمر أن نستعيذ بمخلوق من المخلوقات، وأمرنا أن نستعيذ بكلام الله، فقد وجب أن كلام الله غير مخلوق.

باب ذكر الاستواء على العرش

١- إن قال قائل: ما تقولون في الاستواء؟

قيل له: نقول: إن الله عز وجل يستوي على عرشه استواء يليق به من غير طول استقرار، كما قال: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ طه: ٥ ، وقد قال الملك عز وجل: ﴿ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾ فاطر: ١٠ ، وقال [تعالى][1]: ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ ﴾ النساء: ١٥٨ ،وقال تعالى: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ ﴾ السجدة: ٥ ، وقال تعالى حكاية عن فرعون [لعنه الله][1]: ﴿ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ۝٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾ غافر: ٣٦ - ٣٧، كذَّب موسى عليه السلام في قوله: إن الله عز وجل فوق السماوات.

وقال عز وجل: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ الملك: ١٦ فالسماوات فوقها العرش.

٢- فلما كان العرش فوق السماوات قال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ لأنه مستو على العرش الذي فوق السماوات، وكل ما علا فهو سماء، فالعرش أعلى

---

[1] زيادة من فوقية

السماوات، وليس إذا قال: ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ فهي جميع السماوات، وإنما أراد العرش الذي هو على السماوات.

٣- ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السماوات، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ﴾ نوح: ١٦ ، ولم يرد أن القمر يملأهن جميعا، أو أنه فيهن جميعا.

٤- ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء؛ لأن الله عز وجل مستو على العرش الذي هو فوق السماوات، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يهبطونها إذا دعوا إلى الأرض .

٥- سؤال : وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية: إن معنى قول الله عز وجل: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ طه: ٥ أنه استولى أي استولى أي وملك وقهر، وأن الله عز وجل في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله عز وجل [مستو][1] على عرشه، كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة.

٦- ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة؛ لأن الله عز وجل قادر على كل شيء والأرض لله سبحانه قادر عليها، وعلى الحشوش[2]، وعلى كل ما في العالم.

٧- ولو كان الله مستويا على العرش بمعنى الاستيلاء، وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها لكان مستويا على العرش، وعلى السماء، وعلى الأرض،

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] البستان من النخل .

وعلى الحشوش، والأقذار، والأفراد؛ لأنه قادر على الأشياء مستول عليها، وإذا كان قادرا على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله عز وجل مستو على الحشوش والأخلية[1]، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، لم يجز أن يكون الاستواء على يختص بالعرش لأن الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، لذا وجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون الأشياء كلها.

٨- وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله عز وجل في كل مكان، فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين. تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا.

٩- جواب : ويقال لهم: إذا لم يكن مستويا على العرش بمعنى يختص العرش دون غيره، كما قال ذلك أهل العلم، ونقلة الآثار وحملة الأخبار، وكان الله عز وجل في كل مكان، فهو تحت الأرض التي السماء فوقها، وإذا كان تحت الأرض، والأرض فوقه، والسماء فوق الأرض، ففي هذا ما يلزمكم أن تقولوا إن الله تحت التحت، والأشياء فوقه، وأنه فوق الفوق والأشياء تحته، وفي هذا ما يجب أنه تحت ما هو فوقه، وفوق ما هو تحته، وهذا هو المحال المناقض، تعالى الله عن افترائكم عليه علوا كبيرا.

١٠- دليل آخر: ومما يؤكد أن الله عز وجل مستو على عرشه دون الأشياء كلها، ما نقله أهل الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[1] جمع خلاء : وهو البراز من الأرض .

١١- روى عفان عن حماد بن سلمة، قال: ثنا عمرو بن دينار، عن نافع ابن جبير، عن أبيه [رضي الله عنهم أجمعين][١]، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ حتى يطلع الفجر)[٢] .

١٢- وروى عبد الله بن بكر قال: حدثنا هشام بن أبي عبد الله، عن يحيى ابن أبي كثير، عن أبي جعفر، [أنه سمع أبا حفص يحدث][١] أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا بقى ثلث الليل ينزل الله تبارك وتعالى فيقول: من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يستكشف الضر فأكشفه عنه؟ من ذا الذي يسترزقني فأرزقه؟ حتى ينفجر الفجر)[٣].

١٣- وروى عبد الله بن بكر السهمي، قال: حدثنا هشام بن أبي عبد الله عن يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، قال: حدثنا عطاء بن يسار أن رفاعة الجهني حدثه قال: قفلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بالكديد - أو قال بقديد - حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (إذا مضى ثلث الليل - أو قال ثُلثا الليل - نزل الله عز وجل إلى السماء، فيقول: من ذا الذي يدعوني

---

[١] زيادة من فوقية .

[٢] أخرجه أحمد ٨١/٤ و"الدارمي" ١٤٨٠ .

[٣] أخرجه أحمد ٣٨٣/٢ و"مسلم" ١٧٦/٢ .

أستجيب له؟ من ذا الذي يستغفرني أغفر له؟ من ذا الذي يسألني أعطيه؟ حتى ينفجر الفجر)[١] .

١٤- دليل آخر: قال الله عز وجل ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ النحل: ٥٠، وقال [تعالى][٢]: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ المعارج: ٤ ، وقال [تعالى][٢]: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ فصلت: ١١ ، وقال [تعالى][٢]: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الفرقان: ٥٩ ، وقال [تعالى][٢]: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ﴾ السجدة: ٤ ، فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء [مستو][٢] على عرشه، والسماء بإجماع الناس ليست الأرض، فدل على أن الله تعالى منفرد بوحدانيته، مستو على عرشه كما وصف نفسه.

١٥- دليل آخر: وقال الله عز وجل: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ الفجر: ٢٢ ، وقال [تعالى][٢]: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ البقرة: ٢١٠ ، وقال: ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ النجم: ٨ - ١٣ إلى قوله: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ النجم: ١٨ .

---

[١] أخرجه أحمد ١٦/٤

[٢] زيادة من فوقية .

١٦- وقال عز وجل لعيسى ابن مريم عليه السلام: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ آل عمران: ٥٥ ، وقال [تعالى]: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ النساء: ١٥٧ - ١٥٨ .

١٧- وأجمعت الأمة على أن الله عز وجل رفع عيسى [صلى الله عليه وسلم][1] إلى السماء.

١٨- ومن دعاء أهل الإسلام جميعا إذا هم رغبوا إلى الله عز وجل في الأمر النازل بهم يقولون جميعا: يا ساكن العرش[2] ومن حلق بهم جميعا: لا والذي احتجب بسبع سماوات.

١٩- دليل آخر: وقال الله عز وجل: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَآءُ ﴾ الشورى: ٥١ ، وقد خصت الآية [الشريفة][1] البشر دون غيرهم ممن ليس من جنس البشر، ولو كانت الآية عامة للبشر وغيرهم، كان أبعد من الشبهة، وإدخال الشك على من يسمع الآية أن يقول: ما كان لأحد أن يكلمه الله إلا وحيا، أو من وراء حجاب، أو يرسل رسولا تحولاً، فيرتفع الشك والحيرة من أن يقول: ما كان لجنس من الأجناس أن يكلمه الله إلا وحيا، أو من وراء حجاب، أو أرسل رسولا، وترك أجناسا لم يعمهم بالآية فدل ما ذكرنا على أنه خص البشر دون غيرهم.

---

[1] عند فوقية : السماء .

٢٠- دليل آخر: وقال الله عز وجل: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّ ﴾ الأنعام: ٦٢ ، وقال: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ ﴾ الأنعام: ٣٠ ، وقال: ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ ﴾ السجدة: ١٢ ، وقال عز وجل: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا ﴾ الكهف: ٤٨ كل ذلك يدل على أنه تعالى ليس في خلقه، ولا خلقه فيه، وأنه مستو على عرشه سبحانه، تعالى [الله][1] عما يقول الظالمون [والجاحدون][1] علوا كبيرا، فلم يثبتوا له في وصفهم حقيقة، ولا أوجبوا لهم الذين يثبتون له بذكرهم إياه وحدانية؛ إذ كل كلامهم يؤول إلى التعطيل، وجميع أوصافهم تدل على النفي، يريدون بذلك، الذي زعموا التنزيه، ونفي التشبيه على زعمهم، فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفي والتعطيل.

٢١- دليل آخر: قال الله عز وجل ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ النور: ٣٥ فسمى نفسه نورا، والنور عند الأمة لا يخلو من أن يكون أحد معنيين:

أ- إما أن يكون نورا يسمع.

ب- أو نورا يرى، فمن زعم أن الله يسمع ولا يرى فقد أخطأ في روايته في نفي رؤية ربه، وتكذيبه بكتابه، ويكذبه قول نبيه صلى الله عليه وسلم.

---

[1] زيادة من فوقية

٢٢- وروت العلماء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله عز وجل، فإن بين كرسيه إلى السماء ألف عام، والله عز وجل فوق ذلك)[١].

٢٣- دليل آخر: وروت العلماء [رحمهم الله][٢] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن العبد لا تزول قدماه من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن عمله)[٣].

٢٤- وروت العلماء أن رجلا جاء[٤] النبي صلى الله عليه وسلم بأمة سوداء فقال: يا رسول الله إني أريد أن أعتقها في كفَّارة، فهل يجوز عتقها؟ فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: أين الله؟ قالت: في السماء، قال فمن أنا؟ قالت: أنت رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه السلام: أعتقها فإنها مؤمنة[٥].

---

[١] أخرجه ابن أبي شيبة في " العرش " فيما ذكره السخاوي في " المقاصد الحسنة " ص ١٥٩، والبيهقي في " الأسماء والصفات " ص ٤٢٠ عن ابن عباس قوله بلفظ: " تفَكَّروا في كُلِّ شيء ولا تفكَّروا في اللهِ ". وفي سنده عاصم بن علي، وأبوه، وهما ضعيفان، وعطاء بن السائب، وهو مختلط.
وأخرجه أبو نعيم في " الحلية " ٦/ ٦٦ - ٦٧ عن عبد الله بن سلام مرفوعاً بلفظ: " لا تفكَّروا في الله، وتفكروا في خلقِ الله ... " وفي سنده عبد الجليل بن عطية، وشهر بن حوشب، وكلاهما ضعيف.
وأخرجه اللالكائي في " السنة " (٩٢٧)، والبيهقي في " الشعب " من حديث ابن عمر مرفوعاً: " تفكروا في آلاء الله، ولا تفكروا في الله عز وجل " وفي سنده الوازع بن نافع، وهو متروك، وبعضهم اتهمه.

[٢] زيادة من فوقية .

[٣] أخرجه الترمذي رقم (٢٤١٩) في صفة القيامة، باب رقم (١) ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

[٤] عند فوقية : أتى .

[٥] رواه مسلم رقم (٥٣٧) في المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، وأبو داود رقم (٩٣٠) و (٩٣١) في الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة .

وهذا يدل على أن الله عز وجل على عرشه فوق السماء [١].

[١] قال شيخ الإسلام معقبا : " وهذا كله موافقة لما ذكره «ابن كلاب» فإنه استدل بهذا الخبر الذي فيه السؤال بأين والجواب بأنه في السماء، على أن الله فوق عرشه فوق السماء، فعلم أنه لا يمنع السؤال بأين، بل يثبته «ابن كلاب» فقد تبين بما ذكرناه من كلام «الأشعري» بلفظه، أنه موافق «لابن كلاب» في أن الله فوق خلقه، وأن ذلك واجب من طريق العقل، بحيث يكون من نفى ذلك معطلًا للصانع منكرًا لوحدانيته، كما صرح به «الأشعري» موافقة «لابن كلاب» وأنه موافق له في السؤال عنه بأين والجواب بأنه في السماء، كما ذكره «الأشعري» وأنه منكر لتأويل من تأول الاستواء على العرش بالاستيلاء والقهر والقدرة وغير ذلك، مما يشترك فيه العرش وغيره، وأن الاستواء يختص بالعرش، وأنه فوق العرش لا إنه مجرد شيء أحدث في العرش من غير أن يكون الله فوقه ." اهـــ بيان تلبيس الجهمية (١/١٣٥)

باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين

١- قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾القصص: ٨٨ ، وقال عز وجل: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ الرحمن: ٢٧، فأخبر أن له [سبحانه][1] وجها لا يفنى، ولا يلحقه الهلاك.

٢- وقال عز وجل: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ القمر: ١٤ ، وقال [تعالى][1]: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ هود: ٣٧ ،فأخبر عز وجل أن له وجها وعينا لا يكيف ولا يحدّ.

٣- وقال عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾الطور: ٤٨ ، وقال [تعالى][1]: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ طه: ٣٩ ، وقال [تعالى][1]: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ النساء: ١٣٤ .

٤- وقال لموسى وهارون [عليهما أفضل الصلاة والسلام][1]: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ طه: ٤٦ فأخبر [تعالى][1] عن سمعه وبصره ورؤيته.

---

[1] زيادة من فوقية

٥-ونفت الجهمية أن يكون لله [تعالى][1] وجه كما قال، وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين، ووافقوا النصارى؛ لأن النصارى لم تثبت أن الله سميعا بصيرا إلا على معنى أنه عالم، كذلك قالت الجهمية، ففي حقيقة قول الجهمية أنهم قالوا: إن الله عالم، ولا يقولوا سميعا بصيرا، على غير معنى عالم، وذلك قول النصارى.

[1] زيادة من فوقية

فصل

٦- قالت الجهمية: إن الله لا علم له، ولا قدرة، ولا سمع له، ولا بصر، وإنما قصدوا إلى تعطيل التوحيد، والتكذيب بأسماء الله عز وجل، فأعطوا ذلك [له][1] لفظا، ولم يحصلوا قولهم في المعنى، ولولا أنهم خافوا السيف؛ لأفصحوا بأن الله غير سميع ولا بصير ولا عالم، ولكن خوف السيف منعهم من إظهار زندقتهم.

٧- وزعم شيخ منهم [نحس][1] مقدم فيهم[2] أن علم الله هو الله، وأن الله عز وجل لم، فنفى العلم من حيث أوهم أنه أثبته، حتى ألزم أن يقول: يا علم اغفر لي؛ إذ كان علم الله عنده هو الله، وكان الله - على قياسه [الفاسد][1] - علما وقدرة. تعالى الله عن ذلك[3] علوا كبيرا.

قال الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري [رحمه الله ورضى عنه][1]: بالله نستهدي، وإياه نستكفي، ولا حول ولا قوة إلا بالله [العلي العظيم][1]، وهو الله المستعان أما بعد:

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] وهو أبو الهذيل العلاف . انظر : بيان تلبيس الجهمية (٣/٣٣٦)

[3] عند فوقية : عما يقولون .

٨- مسألة: فمن سألنا فقال: أتقولون إن لله سبحانه وجها؟

قيل له: نقول ذلك، خلافا لما قاله المبتدعون، وقد دل على ذلك قوله عز وجل: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾ الرحمن: ٢٧

٩- سؤال: فإن سئلنا أتقولون إن لله يدين؟ قيل: نقول ذلك [بلا كيف][1]، وقد دل عليه قوله عز وجل: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾الفتح: ١٠ ، وقوله عز وجل:﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ص: ٧٥.

١٠- وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه ذريته)[1] ، فثبت أن له يدين، وقوله عز وجل:﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ص: ٧٥.

١١- وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله [تعالى][2] خلق آدم بيده، وخلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس شجرة طوبى بيده)[3].

---

(١) مالك الموطأ ٢ / ٨٩٨ و ٨٩٩ في القدر، باب النهي عن القول بالقدر، والترمذي رقم (٣٠٧٧) في التفسير، باب ومن سورة الأعراف، وقال الترمذي: حديث حسن، ومسلم بن يسار: لم يسمع من عمر

(٢) زيادة من فوقية .

(٣) أخرجه مرسلاً: أبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٠١٧/١٥٥٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٦٩٢/١٢٥) وأخرجه موصولاً: الحاكم (٢/ ٣٩٢) ومن طريقه البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٦٩١/١٢٤) من طريق علي بن عاصم أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "خلق الله تعالى جنة عدن وغرس أشجارها بيده فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون". قال الحاكم: "صحيح الإسناد" ورد عليه الذهبي فقال: "بل ضعيف".

١٢- وقال عز وجل : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ المائدة: ٦٤ .

١٣- وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (كلتا يديه يمين)[١]

١٤- وقال عز وجل: ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ﴾ الحاقة: ٤٥ .

١٥- وليس يجوز في لسان العرب، ولا في عادة أهل الخطاب، أن يقول القائل: عملت كذا بيدي، وهو يعني به النعمة.

١٦- وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري وتجده مفهوما في كلامها، ومعقولا في خطابها، وكان لا يجوز في لسان[٢] أهل البيان[٣] أن يقول القائل: فعلت بيدي، ويعني النعمة؛ فبطل أن يكون معنى قول الله عز وجل : (بيدي) النعمة، وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل: لي عليه يدان، بمعنى: لي عليه نعمتان، ومن دافعنا عن استعمال اللغة ولم يرجع إلى أهل اللسان فيها ودفع ذلك دفع عن أن تكون اليد بمعنى النعمة؛ إذ كان لا يمكنه أن يتعلق في أن اليد النعمة إلا من جهة اللغة، فإذا دفع اللغة لزمه أن لا يحتج بها و أن لا يفسر القرآن من جهة، وأن لا يثبت لله اليد نعمة من قبلها؛ لأنه إن رجع في تفسير قول الله عز وجل: (بيدي) يعني : نعمتي إلى الإجماع فليس المسلمون على ما ادعى متفقين،

---

[١] أخرجه: أحمد (٢/ ١٦٠) ومسلم (٣/ ١٤٥٨/١٨٢٧) والنسائي (٨/ ٦١٢ - ٦١٣/ ٥٣٩٤) من طريق عمرو بن أوس عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

[٢] عند فوقية : خطاب .

[٣] عند فوقية : اللسان .

وإن رجع إلى اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل: بيدي يعني نعمتي، وإن رجع[١] إلى وجه ثالث سألناه عنه، ولن يجعل الله له سبيلاً[٢].

١٧- سؤال ويقال لأهل البدع: لم زعمتم أن معنى قوله تعالى: (بيدي) يعني نعمتي أزعمتم ذلك إجماعا أو لغة؟

فلا يجدون ذلك في الإجماع ولا في اللغة. وإن قالوا: قلنا ذلك من القياس. قيل لهم: ومن أين وجدتم في القياس أن قول الله تعالى: (بيدي) ولا يكون معناه إلا نعمتي؟ ومن أين يمكن أن يعلم بالعقل أن تفسير كذا وكذا مع أنا رأينا الله عز وجل قد قال في كتابه [العزيز][٣]، الناطق على لسان نبيه الصادق: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ إبراهيم: ٤، وقال [تعالى][٣]: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٞ ﴿١٠٣﴾ ﴾ النحل: ١٠٣، وقال [تعالى][٣]: ﴿ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ فصلت: ٣، وقال [تعالى][٣]: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ ﴾ النساء: ٨٢، ولو كان القرآن بلسان غير العرب لما أمكن أن نتدبره، ولا أن نعرف معانيه إذا سمعناه، فلما كان من لا يحسن لسان العرب لا يحسنه، وإنما يعرفه العرب إذا سمعوه على أنهم إنما علموه؛ لأنه بلسانهم نزل، وليس في لسانهم ما ادعوه.

---

[١] عند فوقية: لجأ.

[٢] عند فوقية: ولن يجد له سبيلا.

[٣] زيادة من فوقية.

١٨- سؤال :وقد اعتل معتل بقول الله عز وجل : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ الذاريات: ٤٧قالوا: الأيدي القوة، فوجب أن يكون معنى قوله تعالى: (بيدي) بقدرتي، وقيل لهم: هذا التأويل فاسد من وجوه:

أ- أحدها: أن الأيدي ليس بجمع لليد؛ لأن جمع يد أيدي، وجمع اليد التي هي نعمته أيادي، وإنما قال تعالى:﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ص: ٧٥ ، فبطل بذلك أن يكون معنى قوله: (بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ) .

ب- ثانيها: فلو كان أراد القوة لكان معنى ذلك بقدرتي، وهذا ناقض لقول مخالفنا، وكاسر لمذهبهم؛ لأنهم لا يثبتون قدرة واحدة، فكيف يثبتون قدرتين.

ج- ثالثها : وأيضا فلو كان الله عز وجل أراد[1] بقوله: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ القدرة لم يكن لآدم عليه السلام على إبليس في ذلك مزية ، والله عز وجل أراد أن يرى فضل آدم عليه السلام [عليه][2]؛ إذ خلقه بيديه دونه، ولو كان خالقا لإبليس بيده كما خلق آدم عليه السلام بيديه لم يكن لتفضيله عليه بذلك وجه، وكان إبليس يقول محتجا على ربه: فقد خلقتني بيديك كما خلقت آدم [صلى الله عليه وسلم][1] بهما، فلما أراد الله عز وجل تفضيله عليه بذلك، وقال له موبخا على استكباره على آدم [صلى الله عليه وسلم][1] أن يسجد له:﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ

---

[1] عند فوقية : عنى .

[2] زيادة من فوقية

بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ ﴾ ص: ٧٥ ، دل على أنه ليس معنى الآية القدرة؛ إذ كان الله عز وجل خلق الأشياء جميعا بقدرته، وإنما أراد إثبات يدين، ولم يشارك إبليس آدم عليه السلافي أن خلق بهما.

فصل

١٩-وليس يخلو قوله عز وجل: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أن يكون معنى ذلك:

أ- إثبات يدين نعمتين.

ب- أو يكون معنى ذلك إثبات يدين جارحتين. [تعالى الله عن ذلك][1].

ج- أو يكون معنى ذلك إثبات يدين قدرتين.

د- أو يكون معناه إثبات يدين ليسا نعمتين ولا جارحتين ولا قدرتين لا يوصفان إلا كما وصف الله عز وجل، فلا يجوز أن يكون معنى ذلك:

١- نعمتين؛ لأنه لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول القائل: عملت بيدي وهو يعنينعمتي ّ .

ب-ولا يجوز عندنا ولا عند خصومنا أن نعني جارحتين.

ج- ولا يجوز عند خصومنا أن يعني قدرتين.

---

[1] زيادة من فوقية

د- وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع؛ وهو أن معنى قوله تعالى: (بيدي) إثبات يدين ليسا جارحتين، ولا قدرتين، ولا نعمتين لا يوصفان إلا بأن يقال: إنهما يدان ليسا كالأيدي، خارجتان عن سائر الوجوه الثلاثة التي سلفت.

٢٠- سؤال :وأيضا فلو كان معنى قوله عز وجل: (بيدي) نعمتي لكان لا فضيلة لآدم عليه الصلاة والسلام على إبليس في ذلك على مذهب مخالفينا؛ لأن الله عز وجل قد ابتدأ إبليس على قولهم، كما ابتدأ بذلك آدم عليه الصلاة والسلام، وليس تخلو النعمتان أن يكونا هما:

أ- بدن آدم عليه السلام.

ب- أو يكونا عرضين خُلقا في بدن آدم عليه الصلاة والسلام.

١- فلو كان عين: بدن آدم عليه السلام فالأبدان عند مخالفينا من المعتزلة جنس واحد، وإذا كانت الأبدان عندهم جنسا واحدا فقد حصل في جسد إبليس على مذهبهم من النعمة ما حصل في جسد آدم عليه السلام.

٢- وكذلك إن عني عرضين فليس من عرض فعله في بدن آدم عليه السلام من لون، أو حياة، أو قوة، وغير ذلك إلا وقد فعل من جنسه عندهم في بدن إبليس، وهذا يوجب أنه لا فضيلة لآدم عليه السلام على إبليس في ذلك، والله عز وجل إنما احتج على إبليس بذلك ليريه أن لآدم عليه السلام في ذلك الفضيلة، فدل ما قلناه على أن الله عز وجل لما قال: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ لم يعن نعمتي .

٢١- مسألة: ويقال لهم: لم أنكرتم أن يكون الله عز وجل عنى بقوله: (بيدي) يدين ليسا نعمتين؟

فإن قالوا: لأن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة.

قيل لهم: ولم قلتم إن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة؟ فإن رجعونا إلى شاهدنا، وإلى ما نجده فيما بيننا من الخلق فقالوا: اليد إذا لم تكن نعمة في الشاهد لم تكن إلا جارحة.

قيل لهم:

أ- إن عملتم على الشاهد وقضيتم به على الله عز وجل، فكذلك لم نجد حيا في الخلق إلا جسما لحما ودما فاقضوا بذلك على الله عز وجل، وإلا بتم بقولكم ما وليس لاعتلالكم ناقضين.

ب-وإن أثبتم حيا لا كالأحياء منا فلم أنكرتم أن يكون يد الله اللتان أخبر الله عز وجل عنهما يدين ليسا نعمتي، ولا جارحتين، ولا كالأيدي؟

ج- وكذلك يقال لهم: لم تجدوا مدبرا حكيما إلا إنسانا، ثم أثبتم أن للدنيا مدبرا حكيما ليس كالإنسان، وخالفتم الشاهد ونقضتم اعتلالكم فلا تمنعوا من إثبات يدين ليسا نعمتين ولا جارحتين ولا حد جنس من أجل أن ذلك خلاف الشاهد.

٢٢- سؤال : فإن قالوا: إذا أثبتم لله عز وجل يدين لقوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ فلم لا أثبتم له أيدي لقوله [تعالى][1]: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ يس: ٧١ ؟

قيل لهم: قد أجمعوا على بطلان قول من أثبت لله أيدياً، فلما أجمعوا على بطلان قول من قال ذلك؛ وجب أن يكون الله عز وجل ذكر أيديا، ورجع إلى إثبات يدين؛ لأن الدليل قد دل على صحة الإجماع، وإذا كان الإجماع صحيحا وجب أن يرجع من قوله الأيدي إلى يدين؛ لأن القرآن على ظاهره، ولا نزيله عن ظاهره إلا بحجة، فوجدنا حجة أزلنا بها ذكر الأيدي عن الظاهر إلى ظاهر آخر، ووجب أن يكون الظاهر الآخر على حقيقته لا يزال عنها إلا بحجة.

٢٣- سؤال :فإن قال قائل: إذا ذكر الله [عز وجل][1] الأيدي وأراد يدين، فما أنكرتم أن يذكر الأيدي ويريد يدا واحدة؟

قيل له:

أ- ذكر الله عز وجل أيدي وأراد يدين؛ لأنهم أجمعوا على بطلان قول من قال أيد كثيرة، وقول من قال يدا واحدة.

ب- فقلنا يدان؛ لأن القرآن على ظاهره، إلا أن تقوم حجة بأن يكون على خلاف الظاهر.

---

[1] زيادة من فوقية .

٢٤- سؤال : فإن قال قائل: ما أنكرتم أن يكون قوله [تعالى][1]: ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ ﴾ يس: ٧١، وقوله [تعالى][1]: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ على المجاز؟

قيل له:

أ-حُكْم كلام الله عز وجل أن يكون على ظاهره وحقيقته، ولا يخرج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا بحجة.

ألا ترون أنه إذا كان ظاهر الكلام العموم، فإذا ورد بلفظ العموم والمراد به الخصوص، فليس هو على حقيقة الظاهر.

ب- وليس يجوز أن يعدل بما ظاهره العموم عن العموم بغير حجة، كذلك قول الله عز وجل: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ على ظاهره و حقيقته في إثبات اليدين، ولا يجوز أن يعدل به عن ظاهر اليدين إلى ما ادعاه خصومنا إلا بحجة.

ج- ولو جاز ذلك لما لجاز لمدع أن يدعي أن ما ظاهره العموم فهو على الخصوص، وما ظاهره الخصوص فهو على العموم بغير حجة، وإذا لم يجز هذا لمدعيه بغير برهان لم يجز لكم ما أدعيتم أنه مجاز بغير حجة.

د- بل واجب أن يكون قوله [تعالى][1]:﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ إثبات يدين لله تعالى في الحقيقة غير نعمتين إذا كانت النعمتان لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول قائلهم: فعلت بيدي، وهو يعني النعمتين.

---

[1] زيادة من فوقية .

باب الرد على الجهمية في نفيهم علم الله تعالى وقدرته وجميع صفاته

١- قال الله عز وجل: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾النساء: ١٦٦ ، وقال تعالى: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾فاطر: ١١، وذكر العلم في خمسة مواضع من كتابه [العزيز][1]، وقال [تعالى][1]: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾ هود: ١٤ ، وقال [تعالى][1]: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾البقرة: ٢٥٥ .وذكر القوة فقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾فصلت: ١٥ ، وقال [تعالى][1]: ﴿ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ الذاريات: ٥٨ ، وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىٍ۟ ﴾ الذاريات: ٤٧.

٢- وزعمت الجهمية أن الله عز وجل لا علم له، ولا قدرة، ولا حياة، ولا سمع، ولا بصر له، وأرادوا أن ينفوا أن الله [تعالى][1] عالم، قادر، حي، سميع، بصير، فمنعهم خوف السيف من إظهار نفي ذلك، فأتوا بمعناه؛ لأنهم إذا قالوا: لا علم لله ولا قدرة له، فقد قالوا: إنه ليس بعالم ولا قادر، ووجب ذلك عليهم، وهذا إنما أخذوه عن أهل الزندقة والتعطيل؛ لأن الزنادقة وقد قال كثير

---

[1] زيادة من فوقية

منهم: إن الله [تعالى][1] ليس بعالم، ولا قادر، [ولا حي][1]، ولا سميع، ولا بصير، فلم تقدر المعتزلة أن تفصح بذلك فأتت بمعناه، وقالت إن الله عالم، قادر، حي، سميع، بصير من طريق التسمية من غير أن يثبتوا له حقيقة العلم، والقدرة، والسمع، والبصر.

٣- سؤال :وقد قال رئيس من رؤسائهم - وهو أبو الهذيل العلاف -[إن][1] علم الله هو الله، فجعل الله عز وجل علمه ألزم، فقيل له: إذا قلت: إن علم الله هو الله فقل: [يا][1] علم الله اغفر لي وارحمني، فأبى ذلك فلزمه المناقضة.

واعلموا رحمكم الله أن من قال: عالم ولا علم كان مناقضا، كما أن من قال علم [الله][1] ولا عالم كان مناقضا، وكذلك القول في القدرة، والقادر، والحياة والحي، والسمع والبصر والسميع والبصير.

٤- جواب : ويقال لهم: خبرونا أن من زعم أن الله متكلم، قائل، لم يزل آمرا، ناهيا، لا قول له، ولا كلام، ولا أمر له، ولا نهى، أليس هو مناقض خارج عن جملة المسلمين؟ فلا بد من نعم .يقال لهم: فكذلك من قال: إن الله [تعالى][1] عالم ولا علم له، كان [ذلك][1] مناقضا خارجا عن جملة المسلمين.

---

[1] زيادة من فوقية .

٥- وقد أجمع المسلمون قبل حدوث الجهمية والمعتزلة والحرورية على أن لله علما لم يزل، وقد قالوا: علم الله لم يزل، وعلم الله سابق في الأشياء، ولا يمنعون أن يقولوا في كل حادثة تحدث ونازلة تنزل: كل هذا سابق في علم الله، فمن جحد أن لله علما [فقد][1] خالف المسلمين وخرج عن اتفاقهم.

٦- جواب : ويقال لهم: إذا كان الله مريدا أفله إرادة؟ فإن قالوا: لا، قيل لهم: فإذا أثبتم مريدا لا إرادة له فأثبتوا أن قائلا لا قول له، وإن أثبتوا الإرادة قيل لهم: فإذا كان المريد لا يكون مريدا إلا بإرادة، فما أنكرتم أن لا يكون العالم عالما إلا بعلم، وأن يكون لله علم كما أثبتم له الإرادة.

٧- مسألة: وقد فرقوا بين العلم والكلام فقالوا: إن الله عز وجل علم موسى وفرعون، وكلم موسى ولم يكلم فرعون، وكذلك قد يقال علَّم موسى الحكمة وفصل الخطاب، وآتاه النبوة، ولم يُعَلِّم ذلك فرعون فإن كان لله كلام؛ لأنه كلَّم موسى ولم يكلم فرعون، فكذلك لله علم؛ لأنه علَّم موسى ولم يعلِّم فرعون.

ثم يقال لهم: إذا وجب أن لله كلاما به كلم موسى دون فرعون؛ إذ كلم موسى دونه، فما أنكرتم إذا علمهما جميعا أن يكون له علم به علمهما جميعا.

ثم يقال: قد كلم الله الأشياء بأن قال لها: كوني، وقد أثبتم لله قولا، وإن علم الأشياء كلها فله علم.

---

[1] زيادة من فوقية .

٨- جواب : ثم يقال لهم: إذا أوجبتم أن لله كلاما وليس له علم؛ لأن الكلام أخص من العلم، والعلم أعم منه، فقولوا: إن لله قدرة؛ لأن العلم أعم عندكم من القدرة؛ لأن من مذاهب القدرية أنهم لا يقولون إن الله لا يقدر أن يخلق الكفر، فقد أثبتوا القدرة أخص من العلم، فينبغي لهم أن يقولوا على اعتلالهم إن لله قدر.

٩- جواب : ثم يقال لهم: أليس الله عالما، والوصف له بأنه عالم أعم من الوصف له بأنه متكلم مكلِّم؟ ثم لم يجب؛ لأن الكلام أخص من أن يكون الله [تعالى][1] متكلما غير عالم؟ فلم لا قلتم إن الكلام - وإن كان أخص من العلم - أن ذلك لا ينفي أن يكون لله علم، كما لم ينف بخصوص الكلام أن يكون الله عالما؟

١٠- جواب: ويقال لهم: من أين علمتم أن الله عالم؟ فإن قالوا: بقوله عز وجل :﴿ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ الشورى: ١٢ .قيل لهم: وكذلك فقولوا:

أ- إن لله علما بقوله:﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ ﴾النساء: ١٦٦ ، وبقوله:﴿ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ ﴾فاطر: ١١ .

ب- وكذلك قولوا: إن لله قوة لقوله [تعالى][1]: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ ﴾فصلت: ١٥.وإن قالوا: قلنا: إن الله عالم؛ لأنه صنع العالم على

---

[1] زيادة من فوقية .

ما فيه من آثار الحكمة وأسباب التدبير. قيل لهم: لم لا قلتم إن لله علما بما ظهر في العالم من حكمه وآثار تدبيره؟ لأن الصانع لحكمه لا يظهر إلا:

أ- من ذي علم، كما لا يظهر إلا من عالم.

ب- كما لا يظهر إلا من قادر[1].

ج- كما لا تظهر إلا من قادر.

١١- جواب : ويقال لهم: إذا قضيتم علم الله جهلاً[2] نفيتم أسماءه؟ ويقال لهم :إذا نفيتم علم الله فلم نفيتم أسماءه. فإن قالوا كيف ننفي أسماءه وقد ذكرها في كتابه؟ قيل لهم: فلا تنفوا العلم والقوة؛ لأنه تبارك وتعالى ذكر ذلك في كتابه العزيز.

١٢- جواب آخر :ويقال لهم: قد علَّم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلمالشرائع والأحكام، والحلال والحرام، ولا يجوز أن يُعَلِّمه ما لا يَعْلَمُه، فكذلك لا يجوزأن يُعَلِّم الله نبيه صلى الله عليه وسلم مالا علم الله به. تعالى الله عن قول الجهمية علوا كبيرا.

١٣- جواب آخر : ويقال لهم: أليس إذا لعن الله الكافرين، فلعنُه لهم معنى، ولعنُ النبي عليه السلام لهم معنى؟ فمن قولهم نعم. فيقال لهم: فما أنكرتم

---

[1] عند فوقية : ذي قوة .

[2] عند فوقية : فلم لا .

من أن الله [تعالى][1] إذا علم نبيه عليه السلام شيئا فكان للنبي عليه السلام علم، فالله سبحانه علم، وإذا كنا متى أثبتناه غضبانا على الكافرين فلا بد من إثبات غضب، وكذلك إذا أثبتناه راضيا عن المؤمنين فلا بد من إثبات رضى، وكذلك إذا أثبتناه حيا سميعا بصيرا فلا بد من إثبات حياة وسمع وبصر.

١٤- جواب: ويقال لهم: وجدنا:

أ- اسم عالم أسبق[2] من علم.

ب- واسم قادر أسبق[2] من قدرة.

ج- وكذلك اسم حي أسبق[2] من حياة.

د- واسم سميع أسبق[2] من سمع.

هـ- واسم بصير أسبق[2] من بصر.

ولا تخلو أسماء الله عز وجل من أن تكون مشتقة [إما][1] لإفادة معنى، أو على طريق التلقيب، فلا يجوز أن يسمى الله عز وجل عالم قادر وليس كذلك على طريق التقليب باسم ليس فيه إفادة معناه، وليس مشتقا من صفة.

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] عند فوقية : اشتق .

فإذا قلنا: إن الله عز وجل عالم قادر فليس تلقيبا، كقولنا زيد وعمر، وعلى هذا إجماع المسلمين.

وإذا لم يكن كذلك تلقيبا، كان مشتقا من علم، فقد وجب إثبات العلم، وإن كان ذلك لإفادة معنى، فلا تختلف ما هو لإفادة معناه واجب إذا كان على معناه العالم من أن له علما أن يكون: كل عالم فهو ذو علم، كما إذا كان قولي: موجود مقيدا فبالإثبات كان الباري تعالى واجبا إثباته؛ لأنه سبحانه وتعالى موجود.

١٥- مسألة : ويقال للمعتزلة والجهمية والحرورية: أتقولون إن لله علما بالأشياء سابقا فيها، وبوضع كل حامل، وحمل كل أنثى، وبإنزال كل ما أنزله؟

أ- فإن قالوا: نعم، أثبتوا العلم ووافقوا.

ب- وإن قالوا: لا، قيل لهم: جحدكم؛ لقول الله عز وجل: ﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ﴾النساء: ١٦٦ ، ولقوله: ﴿ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ﴾فاطر: ١١ ، ولقوله تعالى: ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾ هود: ١٤.

ج- وإذا كان قول الله عز وجل: ﴿ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ الشورى: ١٢ ، ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ الأنعام: ٥٩ يوجب أنه عليم يَعلم الأشياء،

---

(١) زيادة من فوقية .

فكذلك فما أنكرتم أن تكون هذه الآيات توجب أن لله علما بالأشياء سبحانه وبحمده.

١٦- جواب : ويقال لهم: أتقولون إن لله عز وجل علما بالتفرقة بين أوليائه وأعدائه؟ وهل هو مريد لذلك؟ وهل له إرادة للإيمان إذا أراد الإيمان؟

أ- فإن قالوا: نعم، وافقوا.

ب- فإن قالوا: إذا أراد الإيمان فله إرادة. قيل لهم: وكذلك إذا فرق بين أوليائه وأعدائه، فلا بد من أن يكون له علم بذلك.

ج- وكيف يجوز أن يكون للخلق علم بذلك، وليس للخالق عز وجل علم بذلك؟ ! وهذا يوجب أن للخلق مزية في العلم وفضيلة على الخلاق. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

١٧- جواب : ويقال لهم: إذا كان من له علم من الخلق أولى بالمنزلة الرفيعة ممن لا علم له، فإذا زعمتم أن الله عز وجل لا علم له لزمكم أن الخلق أعلى مرتبة من الخلاق. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

١٨- جواب : ويقال لهم: إذا كان من لا علم له من الخلق يلحقه الجهل والنقصان، فما أنكرتم من أنه لا بد من إثبات علم الله؟ وإلا ألحق به النقصان - جل وعز عن قولكم وعلا - ألا ترون أن من لا يعلم من الخلق يلحقه الجهل والنقصان، ومن قال ذلك في الله عز وجل فقد وصف الله سبحانه بما لا يليق به، فكذلك إذا كان من قيل له من الخلق لا علم له لحقه الجهل

والنقصان، وجب أن لا يُنفى ذلك عن الله عز وجل؛ لأنه لا يلحقه جهل ولا نقصان.

١٩- جواب: ويقال لهم: هل يجوز أن ينسق صنائع الحكمة من ليس يعلم؟ فإن قالوا: ذلك محال، ولا يجوز في وجود الصنائع التي تجري على ترتيب ونظام إلا من ذي علم وقدرة و حياة.

قيل لهم: وكذلك لا يجوز وجود الصنائع الحكمية التي تجري على ترتيب ونظام إلا من ذي علم وقدرة وحياة.فإن جاز ظهورها لأنه [من][1] ذي علم فما أنكرتم من جواز ظهورها لا من عالم قادر حي.وكل مسألة سألناهم عنها في العلم فهي داخلة عليهم في القدرة والحياة والسمع والبصر.

٢٠- مسألة : وزعمت المعتزلة أن قول الله عز وجل:﴿ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ لقمان: ٢٨ [إن][1] معناه عليم.

قيل لهم: فإذا قال الله عز وجل:﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ طه: ٤٦ ،وقال: ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا ﴾ المجادلة: ١ فمعنى ذلك عندهم علم. فإن قالوا: نعم. قيل لهم: فقد وجب عليكم أن تقولوا معنى قوله:﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ طه: ٤٦ أعلم وأعلم إذا كان بمعنى ذلك العلم.

---

[1] زيادة من فوقية .

٢١- ونفت المعتزلة صفات رب العالمين، وزعمت أن معنى ﴿ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ لقمان: ٢٨ أي بمعنى عليم، كما زعمت النصارى أن سميع وبصره رؤيته، وهو كلامه، وهو علمه، وهو الله عز وجل وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

فيقال للمعتزلة: إذا زعمتم أن معنى سميع وبصير معنى عالم، فهلا زعمتم أن معنى قادر بمعنى عالم؟ وإذا زعمتم أن معنى سميع وبصير بمعنى عالم قادر، فهلا زعمتم أن معنى قادر بمعنى عالم؟ وإذا زعمتم أن معنى حي بمعنى قادر، فلم لا زعمتم أن معنى قادر بمعنى عالم؟

فإن قالوا: هذا يوجب أن يكون كل معلوم مقدورا.

قيل لهم: ولو كان معنى سميع وبصير معنى عالم لكان كل معلوم مسموعا الكلام ، وإذا لم يجز ذلك بطل قولكم.

باب الكلام في الإرادة والرد على المعتزلة في ذلك

١- يقال لهم: ألستم تدّعون[١] أن الله عز وجل لم يزل عالما؟ فمن قولهم: نعم. قيل لهم: فلم لا قلتم: إن من لم يزل عالما أنه يكون في وقت من الأوقات لم يزل مريدا ألا يكون في ذلك الوقت، وما لم يزل عالما أنه لا يكون فلم يزل مريدا ألا يكون في ذلك الوقت، وأنه لم يزل مريدا أن يكون ما علم كما علم؟ فإن قالوا: لا نقول إن الله لم يزل مريدا؛ لأن الله تعالى مريد بإرادة مخلوقة.يقال لهم: ولم زعمتم أن الله عز وجل مريد بإرادة مخلوقة، وما الفصل بينكم وبين الجهمية في أعمالهم[٢] أن الله عالم بعلم مخلوق، وإذا لم يجز أن يكون علم الله محُدثا[٣]، لأن ذا مخلوقا فما أنكرتم ألا تكون إرادة الله مخلوقة؟

فإن قالوا: لا يجوز أن يكون علم الله محدثا؛ لأن ذلك يقتضي أن يكون حدث بعلم آخر كذلك لا إلى غاية.

قيل لهم: فما أنكرتم ألا يكون إرادة الله محدثة مخلوقة؛ لأن ذلك يقتضي أن يكون حدث عن إرادة أخرى، ثم كذلك لا إلى غاية.

---

[١] عند فوقية : تزعمون .

[٢] عند فوقية : زعمهم .

[٣] عند فوقية : مخلوقا .

وإن قالوا: لا يجوز أن يكون علم الله محدثا؛ لأن من لم يكن عالما ثم علم لحقه النقصان.

قيل لهم: ولما لا يجوز أن تكون إرادة الله محدثة مخلوقة؛ لأن من لم يكن مريدا ثم أراد لحقه النقصان، وكما لا يجوز أن تكون إرادته تعالى محدثة مخلوقة، كذلك لا يجوز أن يكون كلامه محدثا مخلوقا.

٢- دليل آخر : ويقال لهم: إذا زعمتم أنه قد كان في سلطان الله عز وجل الكفر والعصيان، وهو لا يريده، وأراد أن يؤمن الخلق أجمعون، فلم يؤمنوا فقد وجب على قولكم إن أكثر ما شاء الله أن يكون لم يكن، وأكثر ما شاء الله ألا يكون كان؛ لأن الكفر الذي كان وهو لا يشاؤه الله عندكم، أكثر من الإيمان الذي كان وهو يشاؤه، وأكثر ما شاء أن يكون لم يكن، وهذا جحد لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله أن يكون كان، وما لا يشاء لا يكون.

٣-حجة أخرى : ويقال لهم: يستفاد من قولكم: إن أكثر ما شاء أن يكون إبليس كان؛ لأن الكفر أكثر من الإيمان، وأكثر ما كان هو شاءه، فقد جعلتم إذاً مشيئة إبليس أنفذ من مشيئة رب العالمين جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، لأن أكثر ما شاءه كان، وأكثر ما كان فقد شاءه.

وفي هذا إيجاب أنكم قد جعلتم لإبليس مرتبة في المشيئة ليست لرب العالمين. تعالى الله عز وجل عن قول الظالمين علوا كبيرا.

٤- حجة أخرى :ويقال لهم: أيما أولى بصفة الاقتدار:

أ- من إذا شاء أن يكون الشيء كان لا محالة، وإذا لم يرده لم يكن.

ب- أو من يريد أن يكون ما لا يكون ويكون مالا يريد؟

فإن قالوا:

أ- من لا يكون أكثر ما يريده أولى بصفة الاقتدار كابروا،وقيل لهم: إن جاز لكم ما قلتموه جاز لقائل أن يقول: من يكون مالا يعلمه أولى بالعلم ممن لا يكون إلا ما يعلمه.

ب- وإن رجعوا عن هذه المكابرة، وزعموا أن من إذا أراد أمرا كان، وإذا لم يرده لم يكن[1] أولى بصفة الاقتدار، لزمهم على مذهبهم أن يكون إبليس - لعنه الله - أولى بالاقتدار من الله عز وجل؛ لأن أكثر ما أراده كان، وأكثر ما كان قد أراده.

وقيل لهم: إذا كان من إذا أراد أمرا كان، وإذا لم يرده لم يكن أولى بصفة الاقتدار، فيلزمكم أن يكون الله عز وجل إذا أراد أمرا كان، وإذا لم يرده لم يكن؛ لأنه أولى بصفة الاقتدار.

٥- مسألة: ويقال لهم: أيما أولى بصفة بالإلهية والسلطان:

---

[1] عند فوقية : لا يكون .

أ- من لا يكون إلا ما يعلمه، ولا يغيب عن علمه شيء ولا يجوز ذلك عليه.؟

ب- أو من يكون مالا يعلمه ويعزب عن علمه أكثر الأشياء؟

فإن قالوا:

أ- من لا يكون إلا ما يعلمه ولا يعزب عن علمه شيء أولى بصفة الإلهية.

قيل لهم: فكذلك من لا يريد كون شيء إلا [ما][1] كان، ولا يكون إلا ما يريده، ولا يعزب عن إرادته شيء، أولى بصفة الإلهية كما قلتم ذلك في العلم.

ب- وإذا قالوا ذلك تركوا قولهم، ورجعوا عنه، وأثبتوا الله عز وجل مريدا لكل كائن، وأوجبوا أنه لا يريد أن يكون إلا ما يكون.

٦- مسألة: ويقال لهم: إذا قلتم أنه يكون في سلطانه تعالى ما لا يريد، فقد كان إذن في سلطانه ما كرهه. فلا بد من نعم.

يقال لهم: فإذا كان في سلطانه ما يكرهه، فما أنكرتم أن يكون في سلطاته ما يأبى كونه. فإن أجابوا إلى ذلك، قيل لهم: فقد كانت المعاصي شاء الله أم أبى، وهذه صفة الضعف والفقر، وما يغضب عليهم إذا فعلوه فقد أكرهوه وهذه صفة القهر تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

---

[1] زيادة من فوقية .

٧- مسألة: ويقال لهم: أليس لما فعل العباد ما يسخطه تعالى وما يغضب عليهم إذا فعلوه، فقد أغضبوه وأسخطوه؟ فلا بد من نعم.

يقال لهم: فلو فعل العباد ما لا يريد وما يكرهه لكانوا قد أكرهوه، وهذه صفة القهر. تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

٨- مسألة: ويقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ البروج: ١٦ ؟ فلا بد من نعم.

يقال لهم: فمن زعم أن الله تعالى فعال لما يريد، وأراد أن يكون من فعله ما لا يكون، لزمه أن يكون قد وقع ذلك وهو ساه غافل عنه، أو أن الضعف أو أن التقصير عن بلوغ ما يريده لحقه. فلا بد من نعمٍ.

فيقال لهم: فكذلك من زعم أنه يكون في سلطانه عز وجل مالا يريده من عبيده؛ لزمه أحد أمرين:

أ- إما أن يزعم أن ذلك كان عن سهو وغفلة.

ب- أو أن يزعم أن الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده لحقه.

مسألة:

ويقال لهم: أليس من زعم أن الله عز وجل فعل ما لا يعلمه فقد نسب الله سبحانه إلى ما لا يليق به من الجهل؟

فلا بد من نعم.

فيقال لهم: فكذلك من زعم أن الله فعل ما لا يريده؛ لزمه أن ينسب الله سبحانه إلى السهو والتقصير عن بلوغ ما يريده. فإذا قالوا: نعم.

قيل لهم: وكذلك يلزم من زعم أن العباد يفعلون مالا يعلم الله نسب الله تعالى إلى الجهل. فلا بد من نعم.

يقال لهم: فكذلك إذا كان في كون فالكل فعل الله، وهو لا يريده إيجاب سهو و ضعف و تقصير عن بلوغ ما لا يريده، فكذلك إذا كان من غيره مالا يريده وجب إثبات سهو وغفلة، أو ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريد، لا فرق في ذلك بين ما كان منه وما كان من غيره.

٩- مسألة: ويقال لهم: إذا كان في سلطان الله مالا يريده وهو يعلمه، ولا يلحقه الضعف والتقصير عن بلوغ ما يريده فما أنكرتم أن يكون في سلطانه مالا يعلمه ولا يلحقه النقصان، فإن لم يجز هذا لم يجز ما قلتموه.

١٠- حجة أخرىإن قال قائل: لمِ قلتم: إن الله مريد لكل كائن أن يكون، ولكل مالا يكون ألا يكون؟

قيل له: الدليل على ذلك أن الحجة قد وصفت أن الله عز وجل خلق الكفر والمعاصي، وسنبين ذلك بعد عقد [هذا][1] الموضع من كتابنا، وإذا وجب أن الله سبحانه خالق لذلك، فقد وجب أنه مريد له؛ لأنه لا يجوز أن يخلق مالا يريده.

---

[1] زيادة من فوقية .

١١- وجواب آخر: أنه لا يجوز أن يكون في سلطان الله عز وجل من اكتساب العباد مالا يريده، كما لا يجوز أن يكون من فعله المجتمع على أنه فعله مالا يريده؛ لأنه لو وقع من فعله مالا يعلمه، لكان في ذلك إثبات النقصان. وكذلك القصد لو وقع من عباده مالا يعلمه فكذلك لا يجوز أن يقع من عباده مالا يريده؛ لأن ذلك يوجب:

أ- أن يقع عن سهو وغفلة.

ب- أو عن ضعف وتقصير عن بلوغ ما يريده، كما يجب ذلك لو وقع عن فعله المجتمع على أنه فعله مالا يريد.

وأيضا فلو كانت المعاصي - وهو لا يشاء أن تكون- لكان قد كره ألا تكون وأبى أن تكون، وهذا يوجب أن تكون المعاصي كائنة شاء الله أم أبى، وهذا صفة الضعف. تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وقد أوضحنا أن الله [سبحانه][1] لم يزل مريدا على حقيقته الذي[2] علمه عليها، فإذا كان الكفر مما يكون، وقد علم ذلك فقد أراد أن يكون.

١٢- مسألة: يقال لهم: إذا كان الله عز وجل علم أن الكفر يكون، وأراد ألا يكون، فقد كان أراد أن يكون ما علم على خلاف ما علم، وإذا لم يجز ذلك فقد أراد أن يكون ما علم كما علم.

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] عند فوقية : التي .

١٣- مسألة: ويقال لهم: لم أبيتم أن يريد الله الكفر الذي علم أنه يكون، أن يكون شيء قبيحا فاسدا متناقضا خلافا للإيمان؟

فإن قالوا: لأن مريد السفه سفيه.

قيل لهم: ولم قلتم ذلك؟ أو ليس قد أخبر الله تعالى عن ابن آدم أنه قال لأخيه: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ المائدة: ٢٨ - ٢٩ ، فأراد ألا يقتل أخاه لئلا يعذب، وأن يقتله أخاه حتى يبوء بإثم قتله له، وسائر آثامه التي كانت عليه، فيكون من أصحاب النار، فأراد قتل أخيه الذي هو سفه، ولم يكن بذلك سفيها، فلم زعمتم أن الله سبحانه إذا أراد سفه العباد وجب أن يكون[1] ذلك إليه؟

١٤- مسألة: ويقال لهم: قد قال يوسف عليه السلام: ﴿ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ ﴾يوسف: ٣٣ وكان سجنهم إياه معصية، فأراد المعصية التي هي سجنهم إياه دون فعل ما يدعونه إليه، ولم يكن بذلك سفيها، فما أنكرتم من ألا يجب إذا أراد الباري سبحانه سفه العباد أن يكون قبيحا منه، خلافا للطاعة أن يكون سفيها.

١٥- حجة أخرى: ويقال لهم: أليس من يرى منا جرم المسلمين كان سفيها، والله سبحانه يراهم ولا ينسُب إلى السَّفه؟ فلا بد من نعم.

---

[1] عند فوقية : ينسب .

يقال لهم: فيما أنكرتم أن من أراد السفه منا فكان سفيها، والله سبحانه يريد سفه السفهاء، ولا ينسب إلى الله عز وجل سفيه، تعالى الله عن ذلك.

١٦- حجة أخرى: ويقال لهم: السفيه منا إنما كان سفيها لما أراد السفه؛ لأنه نهى عن ذلك، ولأنه تحت شريعة من هو فوقه، ومن يحد له الحدود وترسم له الرسوم، فلما أتى ما نهي عنه كان سفيها، ورب العالمين جل ثناؤه وتقدست أسماؤه ليس تحت شريعة، ولا فوقه من يحد له الحدود، ويرسم له الرسوم، ولا فوقه مبيح ولا حاظر، ولا آمر ولا زاجر. فلم يجب إذا أراد ذلك أن يكون قبيحا أن ينسب إلى السفه سبحانه وتعالى.

١٧-ويقال لهم: أليس من خلى ً بين عبيده وبين إمائه منا يزني بعضهم ببعض، وهو لا يعجز عن التفريق بينهم يكون سفيها، ورب العالمين عز وجل قد خلى ً بينه وبين عبيده وإمائه يزني بعضهم ببعض، وهو يقدر على التفريق بينهم وليس سفيها. وكذلك من أراد الطاعة منا كان مطيعا، وكذلك من أراد السفه منا كان سفيها ، ورب العالمين عز وجل يريد السفه وليس سفيها.

١٨- حجة أخرى: ويقال لهم: من أراد طاعة الله منا كان مطيعا، كما أن من أراد السفه كان سفيها، ورب العالمين عز وجل يريد الطاعة وليس مطيعا، فكذلك يريد السفه وليس سفيها.

١٩- حجة أخرى: ويقال لهم: قال الله عز وجل: ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُواْ ﴾ البقرة: ٢٥٣ فأخبر أنه لو شاء أن لا يقتتلوا ما اقتتلوا، قال: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ البقرة: ٢٥٣ من القتال، فإذا وقع القتال فقد شاءه، كما أنه لما قال: ﴿

وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ﴾ الأنعام: ٢٨ فقد وجب أن الرد لو كان إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر، وأنهم إذا لم يردّهم إلى الدنيا لم يعودوا، فكذلك لو شاء الله ألا يقتتلوا ما اقتتلوا، وإذا اقتتلوا فقد شاء أن يقتتلوا.

٢٠- مسألة:

أ- ويقال لهم: قال الله عز وجل: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ السجدة: ١٣ وإذا حق القول بذلك فما شاء أن تؤتي كل نفس هداها؛ لأنه إذا لم يؤتها هداها بما حق القول بتعذيب الكافرين، وإذا لم يرد ذلك فقد شاء ضلالتها.

فإن قالوا: معنى ذلك لو شئنا لأجبرناهم على الهدى واضطررناهم إليه.

قيل لهم: فإذا أجبرهم على الهدى واضطرهم إليه ليكونوا مهتدين، فإن قالوا: نعم. قيل لهم: فإذا كان إذا فعل الله الهدى كانوا مهتدين، فما أنكرتم لو فعل كفر الكافرين لكانوا كافرين، وهذا يذم قولهم؛ لأنهم زعموا أنه لا يفعل كفر الكافر[1]

ب- ويقال لهم أيضا: على أي وجه ثبوتهم على الهدى لو آتاهم إياه، وشاء ذلك لهم؟ فإن قالوا: على الإلجاء. قيل لهم: وإذا ألجأهم إلى ذلك هل ينفعهم ما يفعلونه على طريق الإلجاء؟ فمن قولهم: نعم. قيل لهم: فإذا أخبر أنه لو شاء لآتاهم الهدى لولا ما حق منه من القول أنه يملأ بهم جهنم، وإذا كان لو

---

[1] عند فوقية : الكفر إلا كافر.

ألجأهم لم يكن نافعا لهم ولا مزيلا للعذاب عنهم، كما لم ينفع فرعون قوله الذي قاله عند الغرق والإلجاء، فلا معنى لقولكم، لأنه لولا ما حق من القول لأوتيت كل نفس هداها، وإتيان الهدى على الوجه الذي قلتموه لا يزيل العذاب.

ج- مسألة أخرى:

ويقال لهم: قال الله عز وجل: ﴿ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ الشورى: ٢٧ ، وقال [تعالى][1]: ﴿ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلۡنَا لِمَن يَكۡفُرُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ لِبُيُوتِهِمۡ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيۡهَا يَظۡهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الزخرف: ٣٣ فأخبر[2] أنه لولا أن يكون الناس مجتمعين على الكفر لم يبسط لهم الرزق، ولم يجعل للكافرين سقفا من فضة، فما أنكرتم من أنه [تعالى][1] لو لم يرد أن يكونوا كافرين[3] ما خلقهم مع علمه أنه إذا خلقهم كانوا كافرين، كما أنه لو أراد أن [لا][1] يكون الناس مجتمعين على الكفر لم يجعل للكافرين سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون؛ لئلا يكونوا جميعا على الكفر منطبقين، إذا كان في معلومة أنه لو لم يفعل ذلك لكانوا جميعا على الكفر منطبقين.

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] عند فوقية : مخبرا .

[3] عند فوقية : يكفر الكافرين .

باب الكلام في تقدير أعمال العباد والاستطاعة والتعديل والتجوير

١- يقال للقدرية: هل يجوز أن يعلّم الله عز وجل عباده شيئا لا يعلمه؟

فإن قالوا: لا يُعلِّم الله عباده شيئا إلا وهو به عالم.قيل لهم: فكذلك لا يقدرهم على شيء إلا وهو عليه قادر، فلا بد من الإجابة إلى ذلك.

قيل لهم: فكذلك لا يقدرهم على شئ إلا وهو عليه قادر ، فلا بد من الإجابة إلى ذلك .فيقال لهم :فإذا قدر بعضهم على الكفر، فهو قادر أن يخلق الكفر وإذا قدر على خلق الكفر لهم فلم أثبتم أن يخلق كفرهم فاسدا [متناقضا][1] باطلا متناقضا، وقد قال تعالى: ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ البروج: ١٦ وإذا كان الكفر مما أراد فقد فعله وقلوّه .

٢- مسألة:ورُدّ عليهم في اللطف. يقال لهم: أليس الله عز وجل قادرا على أن يخلق الخلقة[2] من بسط الرزق ما لو فعله بهم لبغوا في الأرض؟ وأن يفعل بهم ما لو فعله بالكفار لكفروا؟ كما قال [تعالى][1]:﴿ ۞ وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ الشورى: ٢٧ ، وكما قال: ﴿ وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] عند فوقية : يفعل بخلقه .

لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ الزخرف: ٣٣ الآية. فلا بد من نعم. يقال لهم: فما أنكرتم من أنه قادر أن يفعل بهم لطفا لو فعله بهم لآمنوا أجمعين، كما أنه قادر أن يفعل بهم أمرا لو فعله بهم لكفروا كلهم.

٣- مسألة أخرى:

ويقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ النساء: ٨٣، ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾ النور: ٢١، وقال: ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾ الصافات: ٥٥ يعني [في][1] وسط الجحيم: ﴿ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ الصافات: ٥٦ - ٥٧.

ما الفضل الذي فعله بالمؤمنين، الذي لو لم يفعله لاتبعوا الشيطان؟ ولو لم يفعله ما زكى منهم من أحد أبدا؟ وما النعمة التي لو لم يفعلها لكانوا من المحضرين؟ وهل ذلك شيء لم يفعله بالكافرين وخص به المؤمنين؟ فإن قالوا: نعم ، [فقد][1] تركوا قولهم، وأثبتوا لله عز وجل نعما وفضلا على المؤمنين ابتدأهم بجميعه، لم ينعم بمثله على الكافرين، وصار لنا[2] القول بالحق.

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] عند فوقية : وصاروا إلى

وإن قالوا: قد فعل [الله][1] ذلك أجمع بالكافرين كما فعله بالمؤمنين، قيل لهم: فإذا كان الله عز وجل قد فعل ذلك أجمع بالكافرين فلم يكونوا زاكين، وكانوا للشيطان متبعين، وفي النار محضرين.

وهل يجوز أن يقول للمؤمنين: لولا أني خلقت لكم أيد وأرجل لكنتم للشيطان متبعين؟ وهو قد خلق الأيدي والأرجل للكافرين وكانوا للشيطان متبعين؟

فإن قالوا: لا يجوز ذلك. قيل لهم: وكذلك لا يجوز ما قلتموه. وهذا يبين أن الله عز وجل اختص المؤمنين من النعم والتوفيق والتسديد بما لم يؤت[2] الكافرين، وفضّل عليهم المؤمنين.

٤- مسألة في الاستطاعة: ويقال لهم: أليست استطاعة الإيمان نعمة من الله عز وجل فضلا وإحسانا؟ فإذا قالوا: نعم. قيل لهم: فما أنكرتم أن يكون توفيقا وتسديدا، فلا بد من الإجابة إلى ذلك. يقال لهم: فإذا كان الكافرون قادرين على الإيمان، فما أنكرتم [من][1] أن يكونوا موفَّقين للإيمان، ولو كانوا موفَّقين مسدَّدين لكانوا ممدوحين؛ وإذ لم يجز [ذلك][1] لم يجز أن يكونوا على الإيمان قادرين، وجب أن يكون الله عز وجل اختص بالقدرة على الإيمان للمؤمنين.

٥- مسألة أخرى:

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] عند فوقية : يعط .

يقال لهم: لو كلك القدرة على الكفر قدرة على الإيمان، فقد رّ غب الله في أنقيدُ ره على الكفر، فلما رأينا المؤمنين يرغبون إلى الله عز وجل في قدرة الإيمان، ويزهَدون في قدرة الكفر؛ علمنا أن الذي رغبوا فيه غير الذي زهدوا فيه.

٦- مسألة أخرى:

ويقال لهم: أخبرونا عن قوة الإيمان، أليست فضلا من الله عز وجل؟ فلا بد من نعم. يقال لهم: فالتفضل، أليس هو ما للمتفضل أن لا يتفضل به، وله أن يتفضل به؟ فلا بد من الإجابة إلى ذلك؛ لأن ذلك هو الفرق بين الفضل وبين الاستحقاق. ويقال لهم: وللمتفضل إذا أمر بالإيمان أن يرفع التفضل، ولا يتفضل به فيأمرهم بالإيمان، وإن لم يعطهم قدرة الإيمان وخذلهم، وهذا هو قولنا ومذهبنا.

٧- جواب:

ويقال لهم: هل يقدر الله على توفيق يوفق به الكافرين حتى يكونوا مؤمنين؟ فإن قالوا: لا. نطقوا بتعجيزهم، الله عز وجل تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. وإن قالوا: نعم يقدر على ذلك، ولو فعل بهم التوفيق لآمنوا، تركوا قولهم، وقالوا بالحق.

٨- مسألة: وإن سألوا عن قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ ﴾ غافر: ٣١ ، وعن قوله: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٠٨ .

قيل لهم: معنى ذلك أنه لا يريد أن يظلمهم؛ لأنه قال: وما الله يريد ظلما لهم ولم يقل: لا يريد ظلم بعضهم لبعض، فلم يرد أن يظلمهم وإن كان أراد أن ظلم بعضهم لبعض ، أي فلم يرد أن يظلمهم . وإن كان أراد أن يتظالموا.

٩- مسألة:

وإن سألوا عن قول الله تعالى: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾الملك: ٣ ، قالوا: والكفر متفاوت، فكيف يكون من خلق الله؟

١٠- والجواب عن ذلك: أن الله عز وجل قال: ﴿ خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ ﴾ الملك: ٣ - ٤ فإنما عنى ما ترى في السماوات من فطور[1]؛ لأنه ذكر خلق السماوات، ولم يذكر الكفر، وإذا كان هذا على ما قلناه بطل ما قالوه. والحمد لله رب العالمين.

١١- جواب: ويقال لهم: هل تعرفون لله عز وجل نعمة على أبي بكر الصديق رضي الله عنه خصَّ بها دون أبي جهل ابتدافإن قالوا: لا، فحُش قولهم.

وإن قالوا: نعم، تركوا مذاهبهم، لأنهم لا يقولون إن الله خص المؤمنين في الابتداء بما لم يخص به الكافرين.

---

[1] فطور : شقوق وصدوع .

١٢- مسألة: وإن سألوا عن قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ﴾ ص: ٢٧، فقالوا: هذه الآية تدل على أن الله عز وجل لم يخلق الباطل. والجواب عن ذلك: أن الله عز وجل أراد بذلك تكذيب المشركين الذين قالوا: لا حشر ولا نشور ولا إعادة، [فكأنه][1] قال تعالى: ما خلقت ذلك، و[أنا][1] لا أثيب من أطاعني، ولا أعاقب من عصاني، كما ظن الكافرون أنه لا حشر ولا نشور ولا ثواب ولا عقاب، ألا تراه قال: ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ ص، وبين ذلك بقوله: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ ص: ٢٨ أي لا يسوين بينهم في أن نفسهم أجمعين ولا نعذبهم، فيكون سبيلهم سبيلا واحدا.

١٣- مسألة: وسألوا عن قول الله عز وجل: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ النساء: ٧٩ .

والجواب عن ذلك: أن الله عز وجل قال: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ ﴾ النساء: ٧٨ يعني الخصب والخير، ﴿ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ النساء: ٧٨ يعني الجدوبة والقحط والمصائب، ﴿ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ﴾ النساء: ٧٨ أي لشؤمك، قال الله عز وجل يا محمد: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ النساء: ٧٨ في قولكم: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ النساء: ٧٩ فحذف " قولهم " لأن ما تقدم من الكلام يدل عليه؛ لأن القرآن لا يتناقض، ولا يجوز أن يقول في آية: إن الكل من عند الله، ثم يقول في الآية الأخرى التي تليها:

---

[1] زيادة من فوقية .

إن الكل ليس من عند الله، على أن ما أصاب الناس هو غير ما أصابوه، وهذا يبين بطلان تعلقهم بهذه الآية، ويوجب عليهم الحجة.

١٤- وإن سألوا عن قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ .

فالجواب عن ذلك: أن الله عز وجل إنما عنى المؤمنين دون الكافرين؛ لأنه أخبرنا أنه ذرأ لجهنم كثيرا من خلقه، فالذين خلقهم لجهنم، وأحصاهم، وعدَّهم، وكتبهم بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء أمهاتهم؛ غير الذين خلقهم للعبادة.

١٥- مسألة في التكليف: ويقال لهم: أليس قد كلف الله عز وجل الكافرين أن يسمعوا الحق ويقبلوه ويؤمنوا بالله؟ وقد كلفهم استماع الحق فلا بد من نعم .يقال لهم: فقد قال الله عز وجل: ﴿ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ ﴾ هود: ٢٠ ، وقال: ﴿ وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ﴾ الكهف: ١٠١، وقد كلفهم استماع الحق.

١٦-جواب : ويقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ القلم: ٤٢ ، أليس قد أمرهم عز وجل بالسجود في الآخرة؟

وجاء في الخبر: (أن المنافقين يجعل في أصلابهم كالصياصي فلا يستطيعون السجود)[1] ، وفي هذا تثبيت ما نقوله من أنه لا يجب لهم على الله عز وجل إذا أمرهم أن يقدرهم، وهو بطلان قول القدرية.

---

[1] أورده الطبري في " جامعه " عن ابن مسعود رضي الله عنه . (١٩٨/١٢)

١٧- مسألة في إيلام الأطفال: ويقال لهم: أليس قد آلم الله عز وجل الأطفال في الدنيا بآلام أوصلها إليهم، كنحو جُذام الذي يَقْطعُ أيديهم وأرجلهم وغير ذلك -[أعاذنا الله من ذلك][1] - مما يؤلمهم به، وكان ذلك سائغا جائزا؟ فإذا قالوا: نعم.

قيل لهم: فإذا كان هذا عدلا فما أنكرتم أن يؤلمهم في الآخرة، ويكون ذلك منه عدلا. فإن قالوا: آلمهم في الدنيا ليعتبر بهم الآباء.

قيل لهم: فإذا فعل بهم ذلك في الدنيا ليعتبر بهم الآباء، وكان ذلك منه عدلا فلم لا يؤلم أطفال الكافرين في الآخرة ليغيظ بذلك آباءهم، ويكون ذلك منه عدلا؟ وقد قيل في الخبر: (إن الأطفال تؤجج لهم نار يوم القيامة ثم يقال لهم اقتحموها، فمن اقتحمها ادخل الجنة، ومن لم يقتحمها أدخل النار)[2].

مسألة :وقد قيل في الأطفال، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن شئت أسمعتك ضغاءهم في النار)[3] .

١٨- جواب:

ويقال لهم: أليس قد قال الله تبارك وتعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ المسد: ١ - ٣، وأمره مع ذلك بالإيمان، فأوجب عليه أن يعلم أنه لا يؤمن، وأن الله صادق في إخباره

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] سبق .

[3] أخرجه أحمد (٤٨٤/٤٢) قال ابن الجوزي في العلل (١٥٤١) : " هذا حديث لا يصح ." اهـ

عنه أنه لا يؤمن، وأمره مع ذلك أن يؤمن ولا يجتمع الإيمان والعلم بأنه لا يكون ولا يقدر القادر على أن يؤمن، وأن يعلم أنه لا يؤمن.وإذا كان هذا هكذا فقد أمر الله سبحانه أبا لهب بما لا يقدر عليه؛ لأنه أمره أن يؤمن، وأنه يعلم أنه لا يؤمن.

١٩- مسألةويقال لهم: أليس أمرَ الله عز وجل بالإيمان من علم أنه لا يؤمن؟ فمن قولهم نعم، يقال لهم: فأنتم قادرون على الإيمان، ويتأتى لكم ذلك.

فإن قالوا: لا، وافقونا، وإن قالوا: نعم، زعموا أن العباد يقدرون على الخروج من علم الله، تعالى الله عز وجل عن ذلك علوا كبيرا.

٢٠- مسألة الرد على المعتزلة: قال [الشيخ][1] أبو الحسن الأشعري [رحمة الله عليه][1]: ويقال لهم: أليس المجوس أثبتوا الشيطان يقدر على الشر الذي لا يقدر الله عز وجل عليه فكانوا بقولهم هذا كافرين؟ فلا بد من نعم. يقال لهم: فإذا زعمتم أن الكافرين يقدرون على الكفر، والله عز وجل لا يقدر عليه، فقد زدتم على المجوس في قولهم؛ بذلك لأنكم تقولون معهم: إن الشيطان يقدر على الشر، والله لا يقدر عليه، فقد زدتم وهذا ما بينه الخبر عن رسول صلى الله عليه وسلم، " إن القدرية مجوس هذه الأمة"، وإنما صاروا مجوس هذه الأمة؛ لأنهم قالوا بقول المجوس.

٢١- مسألة: وزعمت القدرية أنا نستحق اسم القدر؛ لأنا نقول إن الله عز وجل قدر الشر والكفر، فمن يثبت القدر كان قدريا دون من لم يثبته.

---

[1] زيادة من فوقية

يقال لهم: القدري هو من يثبت القدر لنفسه دون ربه عز وجل، وأنه يقدر أفعاله دون خالقه، وكذلك هو في اللغة؛ لأن الصائغ: هو من زعم أنه يصوغ دون من يقول[1] أنه يصاغ له، ذكر وأنثى ، والنجار: هو من يضيف النجارة إلى نفسه دون من زعم أنه ينجر له، فلما كنتم تزعمون أنكم تقْرونَ أعمالكم وتفعلونها دون ربكم، وجب أن تكونوا قدرية، ولم نكن نحنَ قدرية؛ لأنا لم نضف الأعمال إلى أنفسنا دون ربنا عز وجل، ولم نقل إنا نقدرها دونه، وقلنا: يقدر لنا.

٢٢- جواب: ويقال لهم: إذا كان من أثبت التقدير لله عز وجل قدريا، فيلزمكم إذا زعمتم أن الله عز وجل قدر السماوات والأرض، وقدر الطاعات أن تكونوا قدرية، فإذا لم يلزم هذا فقد بطل قولكم وانتقض كلامكم.

٢٣- مسألة في الختم[2]: يقال لهم: أليس قد قال الله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ البقرة: ٧ ، وقال عز وجل: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ الأنعام: ١٢٥ ، فخبرونا عن الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم، أتزعمون أنه هداهم وشرح للإسلام صدورهم وأضلهم؟ فإن قالوا: نعم، تناقض قولهم.

وقيل لهم: كيف تكون الصدور مشروحة للإيمان، وهي ضيقة حرجة مختوم عليها، وكيف يجتمع القُفْل الذي قال الله عز وجل: ﴿ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ

---

[1] عند فوقية : يزعم .

[2] الختم : هو الطبع .

﴿٢٤﴾ ﴾ محمد: ٢٤ مع الشرح، والضيق مع السعة، والهدى مع الضلال؟ إن كان هذا جائزا أن يجتمع التوحيد والإلحاد الذي هو ضد التوحيد، والكفر والإيمان معا في قلب واحد. إن لم يجز هذا لم يجز ما قلتموه.

فإن قالوا: الختم والضيق والضلال لا يجوز أن تجتمع مع شرح الله الصدر. قيل لهم: وكذلك الهدى لا يجتمع مع الضلال، وإذا كان [هذا][1] هكذا فما شرح الله صدور الكافرين للإيمان، بل ختم [الله][1] على قلوبهم وأقفلها عن الحق، وشدد عليها.

٢٤- كما دعا نبي الله موسى عليه السلام على قومه فقال: ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ ﴾ يونس: ٨٨ قال الله عز وجل: ﴿ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا ﴾ يونس: ٨٩ ، وقال عز وجل مخبرا عن الكافرين إنهم قالوا: ﴿ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ ﴾ فصلت: ٥ ، فإذا خلق الله الأكنة في قلوبهم، والقفل والزيغ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ ﴾الصف: ٥ والختم وضيق الصدر ثم أمرهم بالإيمان الذي علم أنه لا يكون، فقد أمرهم بما لا يقدرون عليه، وإذا خلق الله في قلوبهم ما ذكرنا من الضيق عن الإيمان، قيل لا يضيق عن الإيمان إلا الكفر الذي في قلوبهم، وهذا يبين أن الله خلق كفرهم ومعاصيهم.

---

[1] زيادة من فوقية .

٢٥- جواب: ويقال لهم: فإن الله عز وجل قال لنبيه عليه السلام: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ ﴾ الإسراء: ٧٤، وقال تعالى مخبرا عن يوسف [صلى الله عليه وسلم][1]: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾ يوسف: ٢٤فحدثونا عن ذلك التثبيت والبرهان، هل فعل الله عز وجل بالكافرين، ما هو مثله؟ فإن قالوا: لا، تركوا القول بالقدر. وإن قالوا: نعم. قيل لهم: فإذا كان لم يركن إليهم من أجل التثبيت فيجب لو كان فعل ذلك بالكافرين أن يثبتوا عن الكفر، وإذا لم يكونوا عن الكفر مفترقين فقد بطل أن يكون فعل بهم مثل ما فعله بالنبي صلى الله عليه وسلم من التثبيت الذي لما فعله به لم يركن إلى الكافرين.

٢٦- مسألة في الاستثناء: [و][1]يقال لهم: خبرونا عن مطالبة رجل بحق، فقال له: والله لأعطينك ذلك غدا إن شاء الله تعالى، أليس الله شائيا أن يعطيه حقه؟ فمن قولهم: نعم. يقال لهم: أرأيتم[2] إن جاء الغد فلم يعطه حقه، أليس لا يحنث؟ فلا بد من نعم. يقال لهم: فلو كان الله مشيئا[3] أن يعطيه حقه يحنث[4] إذا لم

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] عند فوقية : أفرأيتم .

[3] عند فوقية : شاء .

[4] عند فوقية : لحنث .

يعطه، كما لو قال: والله لأعطينك حقك إذا طلع الفجر غدا، ثم طلع الفجر ولم يعطه أنه يكون حنثا[١].

٢٧- مسألة في الآجال: يقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ النحل: ٦١ ، وقال [تعالى][٢]: ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ﴾المنافقون: ١١ ؟ فلا بد من نعم. يقال لهم: فخبرونا عمن قتله قاتله ظلما، أتزعمون أنه قتل في أجله، أو بغير أجله؟ فإن قالوا: نعم، وافقوا وقالوا بالحق، وترك القدر، وإن قالوا: لا. قيل لهم: فمتى أجل هذا المقتول؟ فإن قالوا: الوقت الذي علم الله أنه لو لم يقتل لتزوج امرأة علم أنها امرأته، وإن لم يبلغ لأن[٣]يتزوجها، وإذا كان في معلوم الله أنه لو لم يُقتل وبقي لكفَر أن تكون النار داره. وإذا لم يجز هذا لم يجز أن يكون الوقت الذي لم يبلغ الله أجلا له، على أن هذا القول مضاد[٤] لقول الله عز وجل: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ النحل: ٦١ .

٢٨- مسألة أخرى: ويقال لهم: إذا كان القاتل عندكم قادرا على أن لا يقتل هذا المقتول فيعيش، فهو قادر على قطع أجله وتقديمه قبل أجله، وهو قادر على تأخيره إلى أجله، فالإنسان على قولكم يقدر أن يقدم آجال العباد ويؤخرها، ويقدر أن يبقي العباد ويبلغهم ويتلفهم ويخرج أرواحهم، وهذا إلحاد في الدين.

---

[١] عند فوقية : حانثا .

[٢] زيادة من فوقية .

[٣] عند فوقية : إلى أن .

[٤] عند فوقية : مقيد .

٢٩- مسألة في الأرزاق: ويقال لهم: خبرونا عمن اغتصب طعاما فأكله حراما، هل رزقه الله ذلك الحرام؟ فإن قالوا: نعم، تركوا القدر. وإن قالوا: لا. قيل لهم: فمن أكل جميع عمره الحرام، فما رزقه الله شيئا اغتذى به جسمه.

ويقال لهم: إذا كان غيره يغتصب له ذلك الطعام ويطعمه إياه إلى أن مات فأجْرَا رزق هذا الإنسان عندكم غير الله؟ وفي هذا إقرار منهم أن للخلق رازقين:

أ- أحدهما يرزق الحلال.

ب- والآخر يرزق الحرام.

وأن الناس نبتت[1] لحومهم ونشأت[2] عظامهم، والله غير رازق لهم ما اغتذوا به. وإذا قلتم:إنَّ أميركم يرزقه الحرام ، وإن الله لم يرزقه الحرام، لزمكم أن الله لم يغذه به، ولا جعله قواما لجسمه، وأن لحمه وجسمه قام، وعظمه اشتد بغير الله عز وجل، وهو ممن رزقه الحرام، وهذا كفر عظيم إن احتملوا.

٣٠- مسألة أخرى في الأرزاق: ويقال لهم: لم أبيتم أن يرزق الله الحرام؟ فإن قالوا: لأنه لو رزق الحرام تملّك[3] الحرام. يقال لهم: خبرونا عن الطفل الذي يتغذى من لبن أمه، وعن البهيمة التي ترعى الحشيش، من يرزقهما ذلك؟ فإن

---

(١) عند فوقية : تنبت .

(٢) عند فوقية : تشد .

(٣) عند فوقية : لملك .

قالوا: الله [تعالى][1].قيل لهم: فمن ملَّكهما؟ وأينَ للبهيمة مـ ـلك؟ فإن قالوا: لا. قيل لهم: فلم زعمتم أنه لو رزق الحرام لملك الحرام، وقد يرزق الله الشيء ولا يُمـَلِّكُه؟ ويقال لهم: هل أقدر الله العبد على الحرام و إنلم يُملَّكْه إياه؟ فإن قالوا : نعم.يقال لهم: فما أنكرتم أن يرزقه الحرام، وإن لم يملِّكه إياه.

٣١- جواب: يقال لهم: إذا كان توفيق المؤمنين بالله، فما أنكرتم أن يكون خذلان الكافرين من قبل الله [تعالى][2]، وإلا فإن زعمتم أن الله وفق الكافرين للإيمان فقولوا: عصمهم من الكفر، وكيف يعصمهم من الكفر وقد وقع الكفر منهم؟ فإنثَبَّتوا[3] أن الله خذلهم، قيل لهم: فالخذلان من الله أليس هو الكفر الذي خلقه فيهم؟ فإن قالوا: نعم، وافقوا. وإن قالوا: لا. قيل لهم: فما ذلك الخذلان الذي خلقه؟ فإن قالوا: تخليته إياهم والكفر. قيل لهم: أو ليس من قولكم: إن الله عز وجل خلى ّ بين المؤمنين وبين الكفر؟ فمن قولهم: نعم.

قيل لهم: فإذا كان الخذلان التخلية بينهم وبين الكفر، فقد لزمكم أن يكون خذل المؤمنين؛ لأنه خلى ّ بينهم وبين الكفر، وهذا خروج عن الدين، فلا بد لهم أن يثبتوا [لهم][1] الخذلان للكفر الذي خلقه الله فيهم ، فيتركوا القول بالقدر.

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] عند فوقية : وهل .

[3] عند فوقية : أثبتوا

٣٢- مسألة أخرى إن سأل سائل م ن أهل القدر، فقال: هل يخلو العبد من أن يكون بين نعمة يجب عليه أن يشكر الله عليها، أو بلية يجب عليه الصبر عليها؟ قيل له: العبد لا يخلو من نعمة وبلية، والنعمة يجب على العبد أن يشكر الله عليها، والبلايا على ضربين:

أ- منها ما يجب الصبر عليها كالأمراض والأسقام وما أشبه ذلك.

ب- ومنها ما يجب عليه الإقلاع عنها كالكفر والمعاصي.

٣٣- مسألة: إن سألوا فقالوا: أيما خير، الخير أو م َن ْ الخير منه؟ قيل لهم: من كان الخير منه متفضلا به فهو خير من الخير. فإن قالوا: فأيما شر، الشر أو من الشر منه؟ قيل لهم: من كان الشر منه جائزا به فهو شر من الشر، والله عز وجل يكون منه الشر خلقا، وهو عادل به، فكذلك لا يلزمنا ما سألتم عنه. على أنكم ناقضون لأصولكم؛ لأنه إن كان من كان الشر منه فهو شر من الشر، وقد خلق الله عز وجل إبليس الذي هو شر من الشر الذي يكون منه، فقد خلق ما هو شر من الشرور كلها، وهذا نقض دينكم وفساد مذهبكم.

٣٤- مسألة في الهدى: يقال للمعتزلة: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ﴾ البقرة: ١ - ٢ فأخبر أن القرآن هدى للمتقين؟ فلا بد من نعم. يقال لهم: أو ليس قد ذكر الله عز وجل القرآن فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ ﴾ فصلت: ٤٤ فخبر أن القرآن عليهم[1]

[1] عند فوقية : على الكافرين .

عمى؟ فلا بد من نعم يقال لهم: فهل يجوز أن يكون من خبر الله عز وجل أن القرآن له هدى هو عليه عمى؟ فلا بد من لا. يقال لهم: فكما لا يجوز أن يكون القرآن عمى على من أخبر الله [تعالى][1] أنه له هدى، كذلك لا يجوز أن يكون القرآن هدى لمن أخبر الله أنه عليه عمى.

٣٥- مسألة أخرى: ثم يقال لهم: إذا جاز أن يكون دعاء الله إلى الإيمان هدى لمن قَبِل ولمن لم يقبل، فما أنكرتم دعاء إبليس إلى الكفر والضلال[2] لمن قبل ولمن لم يقبل، فإن كان دعاء إبليس إلى الكفر إضلالا للكافرين الذين قبلوا عنه، دون المؤمنين لم يقبلوا عنه، فما أنكرتم أن دعاء الله تعالى إلى الإيمان هدى للمؤمنين الذين قبلوا عنه، دون الكافرين الذين لم يقبلوا عنه، وإلا فما الفرق بين ذلك؟

٣٦- مسألة أخرى: ويقال لهم: أليس قال الله تعالى: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾البقرة: ٢٦ قيل[3] يدل قوله: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾على أنه لم يضل الكل؛ لأنه لو أراد الكل لقال: يضل به الكل، فلما قال: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ علمنا أنه لم يضل الكل؟ فلا بد من نعم. يقال لهم: فما أنكرتم أن قوله [تعالى][1]: ﴿ وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾دليل على أنه لم يرد به الكل؛ لأنه لو أراد الكل لقال: ويهدي به الكل، فلما قال تعالى: ﴿ وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾علمنا أنه لم يهد الكل، وفي هذا إبطال قولكم: إن الله هدى الخلق أجمعين.

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] عند فوقية : إضلالا .

[3] عند فوقية : فهل .

٣٧- مسألة أخرى: ويقال لهم: إذا قلتم إن دعاء الله إلى الإيمان هدى للكافرين الذين لم يقبلوا عن الله أمره، فما أنكرتم أن يكون دعاء الله إلى الإيمان نفعا وصلاحا وتسديدا للكافرين الذين لم يقبلوا عن الله أمره، وما أنكرتم أن يكون عصمة لهم من الكفر وإن لم يكونوا من الكفر معتصمين، وأن يكون توفيقا للإيمان وإن لم يوفقوا للإيمان، وفي هذا ما يجب أن الله سدد الكافرين وأصلحهم وعصمهم ووفقهم للإيمان وإن كانوا كافرين، وهذا محال[٢] لا يجوز؛ لأن الكافرين مخذولون. وكيف يكونون موفقين للإيمان وهم مخذولون؟ فإن جاز أن يكون الكافر موفقا للإيمان، فما أنكرتم أن يكون الإيمان له متفقا، فإن استحال هذا، فما أنكرتم أن يستحيل ما قلتموه.

٣٨- مسألة في الضلال: يقال لهم: أضل الله [تعالى][١] الكافرين عن الإيمان، أو عن الكفر؟

أ- فإن قالوا: عن الكفر. قيل لهم: فكيف يكونون ضالين عن الكفر ذاهبين عنه، وهم كافرون؟

ب- فإن قالوا: أضلهم عن الإيمان، تركوا قولهم.

ج- وإن قالوا: نقول: إن الله أضلهم، ولم يضلهم عن شيء. قيل لهم: ما الفرق بينكم وبين من قال: إن الله هدى المؤمنين لا إلى شيء؟ فإن استحال أن

---

[٢] عند فوقية : ما .

يهدي المؤمنين لا إلى الإيمان، فما أنكرتم من أنه محال أن يُضِلَّ الكافرين لا إلى الإيمان.

٣٩- مسألة أخرى: ويقال لهم: ما معنى قول الله عز وجل: ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ إبراهيم: ٢٧ ؟ فإن قالوا: معنى ذلك أنه يسميهم ضالين، ويحكم عليهم بالضلال. قيل لهم: أليس خاطب الله العرب بلغتهم فقال: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٥ ،وقال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ ﴾ إبراهيم: ٤ ؟ فلا بد من نعم. يقال لهم: فإذا كان أنزل الله عز وجل القرآن بلسان العرب، فمن أين وجدتم في لغة العرب أن يقال: أضل فلان فلانا أي سماه ضلالاً ؟ فإن قالوا: وجدنا القائل يقول: إذا قال رجل لرجل ضال قد ضللته. قيل لهم: قد وجدنا يلعمري القائل: ضلَّل فلان فلانا إذا[1] سماه ضالا، ولم نجدهم يقولون: أضل فلان فلانا بهذا المعنى، فلما قال الله عز وجل: ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ إبراهيم: ٢٧ لم يجز أن يكون ذلك معنى الاسم، والحكم إذا لم يجز في لغة العرب أن يقال: أضل فلان فلانا، بأن سماه ضالا، بطل تأويلكم إذا كان خلاف لسان العرب.

٤٠- مسألة أخرى: ويقال لهم: إذا قلتم: إن الله أضل الكافرين بأن سماهم ضالين، وليس ذلك في اللغة على ما ادعيتموه، يلزمكم إذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم قوما ضالين فاسدين بأن يكون قد أضلهم وأفسدهم بأن

---

[1] عند فوقية : أنه .

سماهم ضالين فاسدين، وإذا لم يجز هذا بطل أن يكون معنى ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾الاسم والحكم كما ادعيتم.

٤١- جواب: ويقال لهم: أليس قد قال الله تعالى: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ الكهف: ١٧ ، وقال عز وجل: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ آل عمران: ٨٦ فذكر أنه يهديهم، وقال [تعالى](١): ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ يونس: ٢٥ فجعل الدعاء عاما، والهدى خاصا، وقال [تعالى](١): ﴿ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٤فإذا أخبر الله عز وجل أنه لا يهدي القوم الكافرين، فكيف يجوز لقائل أن يقول: إنه يهدي القوم الكافرين مع إخباره بأنه لا يهديهم، ومع قوله [تعالى](١): ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾القصص: ٥٦ ، ومع قوله [تعالى](١): ﴿ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾البقرة: ٢٧٢ ، ومع قوله [تعالى](١): ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا ﴾ السجدة: ١٣ ؟

وإن جاز هذا جاز أن يقال: أضل المؤمنين، مع قوله [تعالى](١): ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾الإسراء: ٩٧ ، ومع قوله: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ البقرة: ٢ ، فإن لم يكن

(١) زيادة من فوقية .

ذلك، فما أنكرتم أنه لا يجوز أن الله يهدي الكافرين مع قوله [تعالى][1]: ﴿ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٤ومع سائر الآيات التي طالبناكم بها.

٤٢- جواب: ويقال لهم: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً ﴾ الجاثية: ٢٣ ؟فلا بد من نعم. يقال لهم: فأضلهم ليضلوا أو ليهتدوا؟ فإن قالوا: أضلهم ليهتدوا. قيل لهم: وكيف يجوز أن يضلهم ليهتدوا، إذا جاز أن يهديهم ليضلوا، وإذا لم يجز أن يهدي المؤمنين ليضلوا، فما أنكرتم من أنه لا يجوز أن يضل الكافرين ليهتدوا.

٤٣-جواب:ويقال لهم: إذا زعمتم أن الله هدى الكافرين فلم يهتدوا، فما أنكرتم أن ينفعهم فلا ينتفعوا، وأن يصلحهم فلا ينصلحوا، وإذا جاز أن ينفع من لا ينتفع بنفعه فما أنكرتم من أن يضر من لا يلحقه المضرة، فإن كان لا يضر إلا من يلحقه الضرر، فكذلك لا ينفع إلا منتفعا، ولو جاز أن ينفع من ليس منتفعا، ويهدي من ليس مهتديا؛ جاز أن يقدر من ليس مقتدرا، وإذا استحال ذلك استحال أن ينفع من ليس منتفعا، ويهدي من ليس مهتديا.

٤٤- مسألة يسألون عنها: تقولون: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ ﴾ البقرة: ١٨٥ فما أنكرتم أن يكون القرآن هدى للكافرين والمؤمنين.

---

[1] زيادة من فوقية .

قيل لهم: الآية خاصة؛ لأن الله عز وجل قد بين لنا أنه هدًى للمتقين، وخبرنا أنه لا يهدي القوم الكافرين، والقرآن لا يتناقض، فوجب أن يكون قوله: ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ أراد المؤمنين دون الكافرين.

٤٥- مسألة: فإن قال قائل: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ ﴾ يس: ١١ ، وقال [تعالى][1]: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ ﴾ النازعات: ٤٥ ، وقد أنذر النبي صلى الله عليه وسلم من اتبع الذكر ومن لم يتبع، ومن أحسن ومن لم يحسن ، ومن خشي ومن لم يخش.

قيل له: نعم. فإن قالوا: فما أنكرتم أن يكون قوله [تعالى][1]: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ البقرة: ٢ أراد به هدى لهم ولغيرهم. قيل لهم: إن معنى قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ ﴾ يس: ١١ إنما أراد به ينتفع بإنذارك من اتبع الذكر، وقوله [تعالى][1]: ﴿ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ ﴾ النازعات: ٤٥ أراد أن الإنذار ينتفع به من يخشى الساعة، ويخاف العقوبة فيها، إن الله عز وجل قد أخبر في موضع آخر من القرآن أنه أنذر الكافرين، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ البقرة: ٦وهذا هو خبر عن الكافرين، وقال [تعالى][1]: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ الشعراء: ٢١٤ ، وقال [تعالى][1]: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ فصلت: ١٣ وهذا خطاب للكافرين.

---

[1] زيادة من فوقية .

فلما أخبر الله عز وجل في آيات من القرآن أنه أنذر الكافرين، كما فيخبر الله في آياته أنه أنذر من يخشاها، وأنذر من اتبع الذكر؛ وجب بالقرآن أن الله قد أنذر المؤمنين والكافرين، فلما أخبرنا الله أنه هدى للمتقين وعمى على الكافرين، وأخبرنا أنه لا يهدي الكافرين؛ وجب أن يكون القرآن هدى للمتقين دون الكافرين.

٤٦- سؤال: إن سأل سائل عن قول الله عز وجل: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ فصلت: ١٧ يقال لهم: أليس ثمود كانوا كافرين، وقد أخبر الله [تعالى][1] أنه هداهم؟ قيل له: ليس الأمر كما ظننت. والجواب في هذه الآية على وجهين:

أ- أحدهما: أن ثمود كانوا فريقين كافرين و مؤمنين.

وهم الذين أخبر [الله][1] أنه نجاهم مع صالح [صلى الله عليه وسلم][1] بقوله عز وجل: ﴿ نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا ﴾ هود: ٦٦ فالذين عنى الله عز وجل من ثمود أنه هداهم هم المؤمنون دون الكافرين؛ لأن الله عز وجل قد بين لنا في القرآن أنه لا يهدى الكافرين، والقرآن لا يناقض بعضه بعضا، بل يُصدق بعضه بعضا، فإذا أخبرنا في موضع أنه لا يهدي الكافرين، ثم أخبر في موضع آخر أنه هدى ثمود، علمنا أنه إنما أراد المؤمنين من ثمود دون الكافرين.

---

[1] زيادة من فوقية .

ب- والوجه الآخر: أن الله عز وجل عنى قوما من ثمود وكانوا مؤمنين، ثم ارتدوا، فأخبر أنه [تعالى][1] هداهم فاستحبوا بعد الهداية الكفر على الإيمان، وكانوا في حال ما هداهم مؤمنين.

فإن قال قائل معترضا في الجواب الأول: كيف يجوز أن يقول: (فهديناهم) ويعني المؤمنين من ثمود، ويقول: (فاستحبوا) يعني الكافرين منهم وهم غير مؤمنين؟

يقال له: هذا جائز في اللغة التي ورد بها القرآن أن يقول: (فهديناهم)ويعني المؤمنين من ثمود، ويقول: ﴿ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾ فصلت: ١٧ يعني الكافرين منهم، وقد ورد القرآن بمثل هذا، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾الأنفال: ٣٣ يعني الكافرين، ثم قال [تعالى][1]: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأنفال: ٣٣ يعني المؤمنين، ثم قال تعالى: ﴿ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ الأنفال: ٣٤ يعني الكافرين، ولا خلاف عند أهل اللغة في جواز الخطاب بهذا أن يكون ظاهره لجنس، والمراد به جنسان. فبطل ما اعترض به المعترض، ودل على جهله.

---

[1] زيادة من فوقية .

باب ذكر الروايات في القدر

١- روى معاوية بن عمرو، قال ثنا زائدة، قال: حدثنا سليمان الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود [رضي الله عنه][1]، قال: أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق المصدوق -: (إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين ليلة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله الملك، قال: فيؤمر بأربع كلمات، يقال: اكتب أجله، ورزقه، وعمله، وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح) .

٢- [قال صلى الله عليه وسلم][1]: (فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها) .[2] [لا حرمنا الله منها][1].

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] رواه البخاري ١١/ ٤١٧ في القدر، باب في القدر، وفي بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، وفي الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، وفي التوحيد، باب {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين} ، ومسلم رقم (٢٦٤٣) في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وأبو داود رقم (٤٧٠٨) في السنة، باب في القدر، والترمذي رقم (٢١٣٨) في القدر، باب ما جاء أن الأعمال بالخواتيم.

٣- وروى معاوية بن عمرو قال: ثنا زائدة، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة [رضي الله عنه][1] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (احتج آدم وموسى صلوات الله وسلامه عليهما فقال موسى عليه السلام: يا آدم أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه، أغويت الناس وأخرجتهم من الجنة، قال: [فقال][1] آدم [صلى الله عليه وسلم][1]: لموسى أنت الذي اصطفاك الله بكلماته، أتلومني على عمل كتبه الله علي قبل أن يخلق الله السماوات، قال: فحج آدم موسى)[2].

٤- وروى حديث (حج آدم موسى) مالك عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يدل على بطلان قول القدرية الذين يقولون: إن الله عز وجل لا يعلم الشيء حتى يكون؛ لأن الله عز وجل إذا كتب ذلك وأمر بأن يكتب فلا يكتب شيء لا يعلم - جل عن ذلك وتقدس - وقال الله عز وجل: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ الأنعام: ٥٩ ، وقال [تعالى][1]: ﴿۞ وَمَا

---

[1] زيادة من فوقية

[2] رواه البخاري ١١/ ٤٤١ في القدر، باب تحاج آدم وموسى عند الله، وفي الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعده، وفي تفسير سورة (طه) ، باب قوله: {واصطنعتك لنفسي} ، وباب قوله: {فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى} ، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: {وكلم الله موسى تكليماً} ، ومسلم رقم (٢٦٥٢) في القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، والموطأ ٢ / ٨٩٨ في القدر، باب النهي عن القول في القدر، وأبو داود رقم (٤٧٠١) في السنة، باب في القدر، والترمذي رقم (٢١٣٥) في القدر، باب رقم (٢) .

مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾ هود: ٦ ،وقال [تعالى][1]: ﴿ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ المجادلة: ٦ ، وقال [تعالى][1]: ﴿ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾ ﴾ مريم: ٩٤ ، وقال تعالى: ﴿ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾ ﴾ الطلاق: ١٢ ، ﴿ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدٗا ﴿٢٨﴾ ﴾ الجن: ٢٨ ، وقال تعالى ﴿ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾ ﴾ البقرة: ٢٣١ ، فذلك يبين أنه يعلم الأشياء كلها.

وقد أخبر الله عز وجل أن الخلق يبعثون ويحشرون، وأن الكافرين في النار يخلدون، وأن الأنبياء والمؤمنين في الجنان يدخلون[1] ، وأن القيامة تقوم ولم تقم القيامةبعدُ ، فذلك يدل على أن الله تعالى يعلم ما يكون قبل أن يكون، وقد قال الله عز وجل في أهل النار: ﴿ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ ﴾ الأنعام: ٢٨، فأخبر عما لا يكون أنه لو كان كيف يكون، وقال [تعالى][2]: ﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ﴾ طه: ٥١ - ٥٢ ، ومن لا يعلم الشيء قبل كونه لا يعلمه بعد تقضيه، تعالى الله عن قول الظالمين علوا كبيرا.

٥- وروى معاوية بن عمرو، قال: حدثنا زائدة، عن سليمان الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن عبد الله بن ربيعة، قال: عند عبد الله، قال: فذكروا رجلا فذكروا من خُلُقِه، فقال القوم: أما له

---

[1] عند فوقية : يخلدون .

[2] زيادة من فوقية .

من يأخذ على يديه؟ قال عبد الله: أرأيتم لو قطع رأسه كنتم تستطيعون أن تجعلوا لهيداً [١]؟ قالوا: لا. قال عبد الله: إن النطفة إذا وقعت في المرأة مكثت أربعين يوما، ثم انحدرت دما، ثم تكون علقة مثل ذلك، ثم تكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث ملكا فيقول: اكتب أجله، وعمله، ورزقه، وأثره، وخلقه، وشقي أو سعيد، وأنكم لن تستطيعوا أن تغيروا خَلْقه حتى تغيروا خَلْقه[٢].

٦- وروى معاوية بن عمرو، قال: حدثنا زائدة عن منصور، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبد الرحمن، عن علي رضي الله عنه، قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقعد ونحن حوله، ومعه مخصرة له فنكت بها الأرض ورفع رأسه، فقال: (ما منكم من نفس منفوسة إلا وقد كُتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة) ، فقال رجل من القوم: يا رسول الله أفلا نتكل[٣] على كتابنا وندع العمل، فمن كان منا من أهل السعادة سيصير من أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فيصير من أهل الشقا، فقال: (اعملوا فكل ميسر أما أهل الشقاوة فميسرون لعمل الشقاوة، وأما أهل السعادة فميسرون لعمل السعادة) ، ثم قال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ الليل: ٥ - ١٠[٤].

---

[١] عند فوقية : رأسا .

[٢] أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢٦/٣)

[٣] عند فوقية : نمكث .

[٤] رواه البخاري ٧ / ٥٤٤ في تفسير سورة {والليل إذا يغشى} ، وفي الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر

٧- وروى موسى بن إسماعيل قال: حدثنا حماد، قال: انا هشام بن عروة، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، [وعن أبويها][1] أن رسول الله صلى الله عليه السلام قال: (إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة، وإنه مكتوب في الكتاب من أهل النار، فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل النار، فمات فدخل النار، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار، وأنه مكتوب في الكتاب أنه من أهل الجنة، فإذا كان قبل موته تحول فعمل بعمل أهل الجنة، فمات فدخل الجنة)[2].

وهذه الأحاديث تدل على أن الله تعالى علم ما يكون أنه يكون وكتبه، وأنه قد كتب أهل الجنة وأهل النار، وخلقهم فريقين فريقا في الجنة وفريقا في السعير، وبذلك نطق كتابه العزيز؛ إذ يقول: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾الأعراف: ٣٠ ، وقال تعالى: ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ الشورى: ٧ ، وقال تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ هود: ١٠٥ فخلق الله الأشقياء للشقاء، والسعداء للسعادة، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ﴾الأعراف: ١٧٩

= وقعود أصحابه حوله، وفي الأدب، باب الرجل ينكت الشيء بيده في الأرض، وفي القدر، باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وفي التوحيد، باب قول الله تعالى: {ولقد يسرنا القرآن للذكر} ، ومسلم رقم (٢٦٤٧) في القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، وأبو داود رقم (٤٦٩٤) في السنة، باب في القدر، والترمذي رقم (٢١٣٧) في القدر، باب ما جاء في الشقاء والسعادة، ورقم (٣٣٤١) في التفسير، باب ومن سورة {والليل إذا يغشى} .

[1] زيادة من فوقية .

[2] أخرجه أحمد ١٢٠/٣ و (عبد بن حميد) ١٣٩٣

٨- وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أن الله عز وجل جعل للجنة أهلا وللنار أهلا)[١] [أعاذنا الله منها][٢].

دليل في القدر :ومما يدل على بطلان قول القدرية قول الله عز وجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ الأعراف: ١٧٢.

٩- وجاءت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أن الله عز وجل مسح ظهر آدم فأخرج ذريته من ظهره ،كأمثال الذر، ثم قررهم بوحدانيته وأقام الحجة عليهم)[٣] ؛ لأنه قال تعالى: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ﴾الأعراف: ١٧٢ ،قال الله عز وجل: ﴿ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٧٢ فجعل تقريرهم بوحدانيته لما أخرجهم من ظهر آدم [صلى الله عليه وسلم][٢] حجة عليهم إذا أنكروا في الدنيا ما كانوا عرفوه في الذر الأول، ثم من بعد الإقرار جحدوه.

---

[١] رواه مسلم رقم (٢٢٦٢) في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، والنسائي ٤ / ٥٧ في الجنائز، باب الصلاة على الصبيان، وأبو داود رقم (٤٧١٣) في السنة، باب في ذراري المشركين.

[٢] زيادة من فوقية .

[٣] أخرجه أحمد ٢٧٢/١ والحاكم ٥٤٤/٢ وصححه ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في مجمعالزوائد ٢٥/٧: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

١٠- وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن الله[١] قبض قبضة للجنة، وقبض قبضة للنار، فميز بعضها من بعض، فقلبت الشقوة على أهل الشقوة، والسعادة على أهل السعادة) .[٢]قال الله عز وجل مخبرا عن أهل النار – [أعاذنا الله منها][٣] – أنهم قالوا: ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ المؤمنون: ١٠٦، وكل ذلك بأمر قد سبق في علم الله عز وجل، ونفذت فيه إرادته، وتقدمت فيه مشيئته.

١١- وروى معاوية بن عمرو قال: نا زائدة، قال: نا طلحة بن يحيى القرشي، قال: حدثتني عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها [وعن أبويها][٣] أن النبي صلى الله عليه وسلم دعي إلى جنازة غلام من الأنصار يصلي عليه، فقالت عائشة رضي الله عنها: طوبى لهذا يا رسول الله، عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوءا ولم يدركه، قال: (أو غير ذلك يا عائشة، إن الله عز وجل قد جعل للجنة أهلا وهم في أصلاب آبائهم، وللنار أهلا جعلهم لها وهم في أصلاب آبائهم)[٤] ، وهذا يبين أن السعادة قد سبقت لأهلها، والشقاء قد سبق لأهله.

---

[١] عند فوقية : سبحانه وتعالى .

[٢] أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣٤٢٢) وفيه الحكم بن سنان وهو ضعيف . انظر : لسان الميزان (٢٠١/٧)

[٣] زيادة من فوقية

[٤] رواه مسلم رقم (٢٢٦٢) في القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، والنسائي ٤ / ٥٧ في الجنائز، باب الصلاة على الصبيان، وأبو داود رقم (٤٧١٣) في السنة، باب في ذراري المشركين.

١٢- وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)[١]

١٣- دليل آخر: وقد قال الله عز وجل: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ الكهف: ١٧ ، وقال تعالى: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ البقرة: ٢٦ ، فأخبر [تعالى][٢] أنه يضل ويهدي، وقال الله[٣]: ﴿ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ إبراهيم: ٢٧، فأخبرنا أنه ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ البروج: ١٦ .

وإذا كان الكفر مما أراده فقد فعله، وقدره، وأحدثه، وأنشأه، واخترعه، وقد تبين ذلك بقوله [تعالى][٢]: ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الصافات: ٩٥ - ٩٦ فلو كانت عبادتهم للأصنام من أعمالهم كان ذلك مخلوقا لله تعالى، وقد قال الله تعالى: ﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ السجدة: ١٧ يريد أنه [تعالى][٢] يجازيهم على أعمالهم، فكذلك إذا ذكر عبادتهم للأصنام وكفرهم بالرحمن، ولو كان مما قدروه وفعلوه لأنفسهم لكانوا قد فعلوا وقدروا ما خرج عن تقدير ربهم وفعله، وكيف يجوز أن يكون لهم من التقدير والفعل والقدرة ما ليس لربهم؟

---

[١] سبق .

[٢] زيادة من فوقية

[٣] عند فوقية : تعالى .

فمن زعم ذلك فقد عجَّز الله. تعالى الله عز وجل، وتعالىعن قول المعجِّزين له علوا كبيرا.

ألا ترى أن من زعم أن العباد يعلمون مالا يعلمه الله عز وجل لكان قد أعطاهم من العلم ما لم يدخل في علم الله، وجعلهم لله نظراء، فكذلك من زعم أن العباد يفعلون ويقدرون ما لم يقدر عليه، ويقدرون على ما لم يقدر عليه، فقد جعل لهم من السلطان والقدرة والتمكن ما لم يجعله للرحمن. تعالى الله عن قول أهل الزور والبهتان، والإفك والطغيان علوا كبيرا.

١٤- جواب: ويقال لهم: هل فعل الكافر الكفر فاسد باطل متناقضا؟ فإن قالوا: نعم. قيل لهم: وكيف يفعل[1] فاسدا متناقضا قبيحا، وهو يعتقده حسنا صحيحا أفضل الأديان؟

وإذا لم يجز ذلك؛ لأن الفعل لا يكون إلا فعلا على حقيقته لا ممن هو عليه ما هو عليه من حقيقته، كما لا يجوز أن يكون فعلا ممن لم يعلمه فعلا، فقد وجب أن الله عز وجل هو الذي قدر الكفر وخلقه كفرا فاسدا باطلا متناقضا، خلافا للحق والسداد.

---

[1] عند فوقية : يفعله .

باب الكلام في الشفاعة والخروج من النار

١- ويقال لهم: قد أجمع المسلمون أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم شفاعة فلمن الشفاعة:

أ- أهي للمذنبين المرتكبين للكبائر.

ب- أم للمؤمنين المخلصين؟ فإن قالوا: للمذنبين المرتكبين للكبائر وافقوا. وإن قالوا: للمؤمنين المبشرين بالجنة الموعودين بها.

قيل لهم: فإذا كانوا بالجنة موعودين وبها مبشرين، والله عز وجل لا يخلف وعده، فما معنى الشفاعة لقوم لا يجوز عندكم ألا يدخلهم الله جناته؟

أ- ومن قولكم [أنهم][1] قد استحقوها على الله عز وجل، واستوجبوها عليه [سبحانه][1]، وإذا كان الله عز وجل لا يظلم مثقال ذرة، وكان تأخيرهم عن الجنة ظلما، وإنما يشفع الشفعاء إلى الله عز وجل في ألا يظلم على مذهبكم. تعالى الله عن افتراءكم عليه علوا كبيرا.

ب-فإن قالوا: يشفع النبي [صلى الله عليه وسلم][1] إلى الله عز وجل في أن يزيدهم من فضله، لا إلى[2] أن يدخلهم جناته.

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] عند فوقية : في .

قيل لهم: أو ليس قد وعدهم الله عز وجل ذلك فقال [تعالى][1]: ﴿ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾النساء: ١٧٣ والله عز وجل لا يخلف وعده، فإنما يشفع إلى الله عز وجل عندكم في ألا يخلف وعده، وهذا جهل قولكم، وإنما الشفاعة المعقولة فيمن استحق عقابا أن يوضع عنه عقابه، أو فيمن لم يعده شيئا أن يتفضل به عليه، فإذا كان الوعد بالتفضل سابقا فلا وجه لهذا.

٢- سؤال :فإن سألوا عن قول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ الأنبياء: ٢٨

فالجواب عن ذلك: إلا ﴿ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ أن يشفعوا له، وقد روي أن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر[2]، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (أن المذنبين يخرجون من النار)[3] .

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] رواه الترمذي رقم (٢٤٣٧) في صفة القيامة، باب ما جاء في الشفاعة، وأبو داود رقم (٤٧٣٩) في السنة، باب في الشفاعة، ورواه أيضاً ابن ماجة رقم (٤٣١٠) في الزهد، باب ذكر الشفاعة، وهو حديث صحيح.

[3] سبق .

باب الكلام في الحوض

وأنكرت المعتزلة الحوض، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه [رضي الله عنهم أجمعين][١] بلا خلاف.

١- وروي عن عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن الحسن، عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه ذُكر الحوض عند عبيد الله بن زياد فأنكره، فبلغ أنسا رضي الله عنه فقال: لا جرم لأسوءنَّه[٢]، قال: فأتاه فقال: ما أنكرتم[٣] من الحوض، قال عبيد الله: هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يذكره؟ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من كذا وكذا مرة يقول: (ما بين طرفيه - يعني الحوض - ما بين أيلة[٤] ومكة، أو ما بين صنعاء ومكة، وإن آنيته أكثر من نجوم السماء)[٥] اللهم اسقنا منه شربة لا نظمأ بعدها أبدا.

---

[١] زيادة من فوقية .

[٢] عند فوقية : والله لأفعلن به .

[٣] عند فوقية : ذكرتم .

[٤] مدينة هي آخر الحجاز وأول الشام .

[٥] أخرجه أحمد ٣/٢٣٠

٢-وروى أحمد بن عبد الله بن يونس قال: حدثنا زائدة، عن عبد الملك بن عمير عن جندب بن سفيان، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (أنا فرطكم على الحوض)[1] في أخبار كثيرة.

[1] رواه البخاري ١١ / ٤١٤ في الرقاق، باب في الحوض، ومسلم رقم (٢٢٨٩) في الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم.

باب الكلام في عذاب القبر

وأنكرت المعتزلة عذاب القبر [أعاذنا منه][1]وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة، وروي عن أصحابه رضي الله عنهم [أجمعين][1]، وما روي عن أحد منهم أنه أنكره ونفاه وجحده، فوجب أن يكون إجماعا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

١-وروى أبو بكر بن أبي شيبة قال: حدثنا معاوية عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة [رضي الله عنه][1]، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تعوذوا بالله من عذاب القبر)[2].

٢-وروى أحمد بن إسحاق الحضرمي، قال: حدثنا وهيب، قال: حدثنا موسى بن عقبة قال: حدثتني أم خالد بنت خالد بن سعيد بن العاص [رضي الله عنها][1] أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (يتعوذ من عذاب القبر)[3] [أعاذنا الله منه][1].

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] أخرجه مسلم رقم (٢٨٦٧) في صفة الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

(٣) رواه البخاري ٣ / ١٩٢ في الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر، ومسلم رقم (٥٨٨) في المساجد، باب ما يستعاذ منه في الصلاة .

٣-وروى أنس بن مالك [رضي الله عنه][1] عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لولا أن تدافنوا لسألت الله عز وجل أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمعني).[2]

٤-دليل آخر:

ومما يبين عذاب الكافرين في القبور قول الله عز وجل: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ غافر: ٤٦ ،فجعل عذابهم يوم تقوم الساعة بعد عرضهم على النار في الدنيا غدوا وعشيا، وقال [تعالى][1]: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ التوبة: ١٠١ مرة بالسيف، ومرة في قبورهم، ثم يردون إلى عذاب غليظ في الآخرة.

وأخبر الله عز وجل أن الشهداء في الدنيا يرزقون ويفرحون بفضل الله [تعالى][1]، قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٩ - ١٧٠ وهذا لا يكون إلا في الدنيا؛ لأن الذين لم يلحقوا بهم أحياء لم يموتوا ولا قتلوا.

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] أخرجه مسلم رقم (٢٨٦٧) في صفة الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه.

باب الكلام في إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

١-قال الله تبارك وتعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ﴾النور: ٥٥ ، وقال الله عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾الحج: ٤١ .

٢-وأثنى الله عز وجل على المهاجرين والأنصار والسابقين إلى الإسلام، وعلى أهل بيعة الرضوان، ونطق القرآن بمدح المهاجرين والأنصار [رضي الله عنهم أجمعين][1] في مواضع كثيرة، وأثنى على أهل بيعة الرضوان فقال الله عز وجل: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ الفتح: ١٨ .

٣-وقد أجمع هؤلاء الذين أثنى الله عليهم ومدحهم على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، وسموه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه وانقادوا له، وأقروا له بالفضل، وكان أفضل الجماعة في جميع الخصال التي يستحق بها الإمامة من العلم والزهد وقوة الرأي، وسياسة الأمة وغير ذلك.

---

[1] زيادة من فوقية .

٤-دليل آخر من القرآن على إمامة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

وقد دل [الله تعالى][1] على إمامة أبي بكر الصديق [رضي الله عنه][1] في سورة براءة فقال تعالى للقاعدين عن نصرة نبيه صلى الله عليه وسلم والمتخلفين عن الخروج معه: ﴿ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا ﴾التوبة: ٨٣ ، وقال تعالى في سورة أخرى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾الفتح: ١٥يعني قوله: ﴿ لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا ﴾ ، ثم قال [تعالى][1]: ﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الفتح: ١٥ ، وقال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْاْ ﴾ الفتح: ١٦ يعني تعرضوا عن إجابة الداعي لكم إلى قتالهم ﴿ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الفتح: ١٦ .

والداعي لهم إلى ذلك غير النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال الله عز وجل له: ﴿ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا ﴾التوبة: ٨٣ .

٥- وقال [تعالى][1] في سورة الفتح: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ فمنعهم الخروج مع نبيه عليه السلام وجعل خروجهم معه تبديلا لكلامه، فوجب بذلك أن الداعي الذي يدعوهم إلى القتال داع يدعوهم بعد نبيه صلى الله

---

[1] زيادة من فوقية .

عليه وسلم، وقد قال الناس: هم أهل فارس، وقالوا: أهل اليمامة، فإن كانوا أهل اليمامة فقد قاتلهم [بعد نبيه صلى الله عليه وسلم][1] أبو بكر الصديق رضي الله عنه ودعا إلى قتالهم، [وإن كانوا الروم فقد قاتلهم الصديق أيضا][1]، وإن كانوا أهل فارس فقد قوتلوا في أيام أبي بكر [رضي الله عنه][1]، وقاتلهم عمر [رضي الله عنه][1] من بعده وفرغ منهم.

٦-وإذا وجبت إمامة عمر رضي الله عنه وجبت إمامة أبي بكر [رضي الله عنه][1]، كما وجبت إمامة عمر رضي الله عنه؛ لأن العاقد له الإمامة أبو بكر رضي الله عنه، فقد دل القرآن على إمامة الصديق والفاروق رضوان الله عليهما. وإذا وجبت إمامة أبي بكر [رضي الله عنه][1] بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب أنه أفضل المسلمين رضي الله عنه.

٢٥- دليل آخر من الإجماع على إمامة أبي بكر الصديق [رضي الله عنه][1]:

ومما يدل على إمامة الصديق رضي الله عنه أن المسلمين جميعا تابعوه[2] وانقادوا لإمامته، وقالوا له: يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] عند فوقية : بايعوه .

ورأينا عليا والعباس رضي الله عنهما بايعاه رضي الله عنهما وأقرا له بالإمامة.

٨- وإذا كانت الرافضة يقولون: إن عليا [رضي الله عنه][1] هو المنصوص على إمامته، والراوندية[2] تقول: العباس هو المنصوص على إمامته، ولم يكن في الناس في الإمامة إلا ثلاثة أقوال:

أ-من قال منهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم نص على إمامة أبي بكر الصديق [رضي الله عنه][1]، وهو الإمام بعد الرسول.

ب-وقول من قال: نص على إمامة علي [رضي الله عنه][1].

ج-وقول من قال: الإمام بعده العباس.

وقول من قال: هو أبو بكر الصديق [رضي الله عنه][1]، هو بإجماع المسلمين والشهادة له بذلك. ثم رأينا عليا [رضي الله عنه][1] والعباس [رضي الله

---

[1] زيادة من فوقية .

[2] الراوندية أو الريوندية أتباع ابن الريوندى، وهي إحدى فرق الكيسانية، يزعمون أن الامامة كانت أولا حقا للعباس، انظر: إعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: ٦٣) ، ت النشار. وابن الريوندي هو: أحمد بن يحيى بن إسحاق، أبو الحسن، فيلسوف مجاهر بالالحاد، توفي سنة ٢٩٨ هـ، انظر وفيات الأعيان (٩٤/١) ، والمنتظم (٩٦/٦) ، ولسان الميزان (٣٢٣/١) .

عنه][1] قد بايعاه وأجمعا على إمامته، وجب أن يكون إماما بعد النبي صلى الله عليه وسلم بإجماع المسلمين.

ولا يجوز لقائل أن يقول: كان باطن علي والعباس خلاف ظاهرهما، ولو جاز هذا لمدعيه لم يصح إجماع، وجاز لقائل أن يقول ذلك في كل إجماع للمسلمين.

وهذا يسقط حجة الإجماع؛ لأن الله عز وجل لم يتعبدنا في الإجماع بباطن الناس، وإنما تعبدنا بظاهرهم، وإذا كان ذلك كذلك، فقد حصل الإجماع والاتفاق على إمامة أبي بكر الصديق [رضي الله عنه][1].

٩-وإذا ثبتت إمامة الصديق [رضي الله عنه][1]، ثبتت إمامة الفاروق [رضي الله عنه][1]؛ لأن الصديق [رضي الله عنه][1] نص عليه وعقد له الإمامة، واختاره لها. وكان أفضلهم بعد أبي بكر رضي الله عنه.

١٠-وثبتت إمامة عثمان رضي الله عنه بعد عمر [رضي الله عنه][1] بعقد من عقد له الإمامة من أصحاب الشورى؛ الذين نص عليهم عمر [رضي الله عنه][1]، فاختاروه ورضوا بإمامته، وأجمعوا على فضله وعدله.

---

[1] زيادة من فوقية .

١١-وتثبت إمامة علي بعد عثمان رضي الله عنهما بعقد من عقد له من الصحابة [رضي الله عنهم][1] من أهل الحل والعقد، ولأنه لم يدعها أحدا بعد من أهل الشورى غيره في وقته، وقد أجمع على فضله وعدله، وأن امتناعه عن دعوى الأمر لنفسه في وقت الخلفاء قبله كان حقا؛ لعلمه أن ذلك ليس بوقت قيامه، وأنه قلما كان لنفسه في وقت الخلفاء قبله، ثم لما صار الأمر أظهر وأعلى[1] ولم يقصر حتى إذا مضى إلى السداد والرشاد، كما مضى من قبله من الخلفاء، وأئمة العدل على السداد والرشاد متبعين لكتاب ربهم وسنة نبيهم.

هؤلاء هم الأئمة الأربعة المجمع على عدلهم وفضلهم رضي الله عنهم [أجمعين][2].

١٢-وقد روى شريح بن النعمان قال: ثنا حشرج بن نباته عن سعيد بن جمهان ، قال حدثني سفينة قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملك بعد ذلك) ، ثم قال لي سفينة: أمسك خلافة أبي بكر ، ثم قال وخلافة عمر وخلافة عثمان، ثم قال أمسك خلافة علي بن أبي طالب [رضي الله عنهم أجمعين][2]، قال فوجدتها ثلاثين سنة.[3] فدل ذلك على إمامة الأئمة الأربعة رضي الله عنهم [أجمعين][2].

---

(١) عند فوقية : وأعلن .

(٢) زيادة من فوقية .

(٣) الترمذي رقم (٢٢٢٧) في الفتن، باب ما جاء في الخلافة، وأبو داود رقم (٤٦٤٦) و (٤٦٤٧) في السنة، باب في الخلفاء، وإسناده حسن، قال الحافظ في " الفتح ": أخرجه أصحاب السنن، وصححه ابن حبان، وقال الترمذي: وفي الباب عن عمر وعلي قالا: لم يعهد النبي صلى الله عليه وسلم في الخلافة شيئاً.

فأما ما جرى من علي والزبير وعائشة رضي الله عنهم [أجمعين][٢]، إنما كان عن تأويل واجتهاد، وعلي الإمام، وكلهم من أهل الاجتهاد، وقد شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة والشهادة، تدل على أنهم كلهم كانوا على حق في اجتهادهم، وكذلك ما جرى بين [سيدنا][١] علي ومعاوية رضي الله عنهما، كان[٢] على تأويل واجتهاد.

وكل الصحابة أئمة مأمونون غير مُتَّهمين في الدين، وقد أثنى الله ورسوله على جميعهم، وتعبَّدنا بتوقيرهم وتعظيمهم وموالاتهم، والتبري من كل من تنقص أحدا منهم رضي الله عنهم أجمعين.

وقد قلنا في الإقرار[٣] قولا وخبراً[٤]، والحمد الله أولا وآخرا.

---

[١] زيادة من فوقية .

[٢] عند فوقية : فدل .

[٣] عند فوقية : الأبرار .

[٤] عند فوقية : وجيزا .